محطات من أنفال به هدينان

ناظم ختاري

تأليف: ناظم ختاري

الفهرست

ماقبل المحطات

المحطة الأولى والثانية

المحطة الثالثة والرابعة

المحطة الخامسة والسادسة

المحطة السابعة والثامنة

المحطة التاسعة والعاشرة

المحطة / 11 & 12

المحطة / 13 & 14

المحطة/ 15 & 16

المحطة/ 17 & 18

المحطة/ 19 & 20

بحزاني للثقافة والنشر

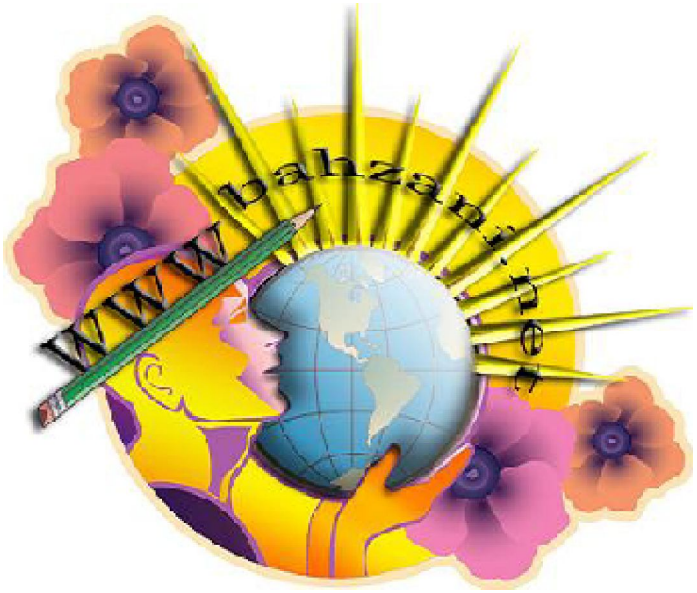

ما قبل المحطات

بيننا وبين عام 1988 ما يقارب عقدين من الزمن مليئان بآلام مرة وحسرات تعتصر القلوب وأحيانا ببعض الأمل الذي لم يتحقق لذوي العوائل المفقودة في تلك الفترة عندما أرتكب نظام البعث جريمته القذرة تحت أسم عمليات الأنفال.

أن الكتابة عن هذه العمليات التي نفذتها قوات النظام البائد في كوردستان وفضحها تعتبر مهمة نضالية تكميلية وضرورية لكل من عاصرها أو شاهدها أو سمع عنها وخصوصا أبطال قوات البيشمه ركه والأنصار الذين حملوا السلاح لمقارعة الدكتاتورية البغيضة والتي سيمثل بعض رموزها أمام محكمة الجنايات الخاصة المشكلة وفق القانون في الأيام المقبلة وسيوجه الادعاء العام في هذه المحكمة تهم قتل الآلاف من المواطنين الأكراد في أحداث وعمليات الأنفال في

مناطق مختلفة من كوردستان إلى هؤلاء رموز الدولة العراقية البوليسية البائدة ، وبذلك فإنها تعد أيضا أي الكتابة عن هذه العمليات مساهمة فاعلة في تقديم أدلة دامغة ضد هذا النظام وقادته لإدانتهم ونيل جزاءهم جراء ما أرتكوبوه من جرائم بشعة خلال هذه الفترة . راح ضحيتها عشرات الآلاف من المواطنين الأكراد الأبرياء والعديد من المناضلين الشجعان في سبيل الحرية من الأنصار والبيشمه ركه وعوائلهم ، عشنا معا حاملين السلاح ضمن قوات أنصار الحزب الشيوعي العراقي نعاني قسوة الحياة وخطورة الأوضاع في وديان وجبال منطقة (به هدينان) التي كانت آخر محطات أنفال السلطة الهمجية .

تجولت وعانيت في قرى هذه المنطقة وخصوصا في منطقة جبل (كارة) لسنوات عديدة مع عدد كبير من رفاق دربي الذين لازالوا على قيد الحياة يواصلون مسيرتهم ويعون تماما أن هذا الوطن المستباح لما يزل بحاجة إلى صلابة مواقفهم الوطنية الصائبة ، ويعيش العديد منهم في الشتات والآخرون في زوايا مختلفة من الوطن الجريح يتقاسمون معه ويلات المفخخات والقتل على الهوية والحرب الطائفية والتدمير الهمجي لكل شرايين الحياة فيه .

وما سأضعه بين أيدي القراء هنا ليست مذكرات بقدر ما هي مشاهداتي الشخصية لازالت الكثير من أحداثها المهمة تتراءى أمام عيني رغم طول الفترة التي تفصلني عنها والتي استطاعت أن تحجب بعض هذه المشاهدات عنها . التي تتحدث عن حصار وقتل ودمار ومعانات الجماهير والأنصار من جوع وعطش وخوف إلى جانب الإصرار والعزيمة واقتحام الأخطار المحيطة بنا وما إلى ذلك .

وفي الواقع هناك أسباب عديدة دفعتني لرواية هذه المشاهدات للقراء الأعزاء رغم بساطة تناولها ، لعل أبرزها هو حجم الماسات التي تتضمنها هذه المحطات من الأنفال من قتل ودمار وضرورة تقديمها كأدلة و شهادة عيانية ضد قادة نظام البعث على تلك الجرائم هذا أولا ، وتذكير القيادات العراقية والكوردستانية بالعديد من ضحاياها وأبطالها اجترحو المآثر في التصدي لهذه الهمجية وضرورة تعويضهم و تكريمهم على اعتبارهم رموز التضحية والفداء

والبسالة ومفخرة للعراق ولكوردستان وهذا ثانيا .

فاسر كاملة أبيدت لم يبقى منها إلا أفرادا قليلون وعوائل كثيرة انخرطت في العمل لإنقاذ أرواح المناضلين وتنظيمات حزبية تحدت جبروت السلطة ووحشيتها وخوفها الشديد ، تحركت كخلايا النحل لتقدم أي شيء في سبيل إنقاذ هؤلاء المناضلين وحققوا الكثير في هذا المجال ، ورغم هذا فأنهم لازالوا جنودا مجهولين بعيدين عن كل عناية أو رعاية أو تعويض بل يتعرضون في الغالب للضغوطات والكثير من التجريح والشماتة من لدن جبناء انتهازيون يتربعون على عرش الانتصار المصنوع بدمائهم وشجاعتهم النادرة .

وثمة حاجة إلى القول أن كتابة المذكرات في الواقع تحتاج إلى جهد لا أستطيع القيام به لأسباب عديدة ضمنها تلف الأوراق التي كنت أدون عليها بعض ما كان يمكنه أن يساعدني في نقل الصورة الأقرب للحقيقية عن الجوانب التي أود التحدث عنها والتي عشت وسط أحداثها في نفس تلك الأيام عندما كنا محاصرين من كل الجهات بوحدات الجيش العراقي المدجج بالأسلحة الكيماوية الرهيبة والتي عرفنا معناها بالملموس في حلبجة و(باليسان وشيخ وه سان وزى شين وآفوكى وكانيا باسكا)* ومناطق عديدة من (به هدينان) ، وهذا ما يجعل من الصعوبة بمكان أن أتذكر العديد من المواقف بجوانبها المهمة وتقديمها إلى القارئ الكريم كمذكرات، فمهما كانت ذاكرة المرء خصبة فإنها لن تكون قادرة على تسجيل تفاصيل أحداث عاشها هو وآخرون كثيرين وخصوصا في الحالة التي سأتحدث عنها وهي مأساة الآلاف كانوا يجابهون حدثا واحدا ومصيرا مشتركا وفي مكان وزمان محددان يعتري الجميع شعورا وخوفا متشابهان ولكنه ربما لم يكن متساويان بالنسبة إليهم بحكم تجربة البعض في مواجهة الموت وعدم وجود هذه التجربة لدى البعض الأخر وبحكم وجود النساء والأطفال والشيوخ تمنعهم أوضاعهم الخاصة على القدرة ومناورة هذا الخوف الجديد والغير مألوف والقادم من بغداد دائما وأبدا . ولكنهم كانوا يواجهونه بأجسادهم على نفس القدر الذي يواجه به البيشمه ركه المسلح كون ذلك السلاح الذي كان يحمله هذا البيشمه ركه لم يكن قادرا على التصدي لمواد كيماوية تنطلق من فوهة مدفع يطلقها جندي عراقي بأمر قادة فقدوا كل ذرة من الإنسانية ، ثم تهب مع الريح نحو صدور الجميع إن

كان نصيرا يحمل السلاح أو رضيعا في عمر (رفين)* ، فالكل واجه هذا الاحتمال بمعرفة تامة حتى الأطفال عدا الرضع منهم الذين كانوا لا يعرفون غير صدور أمهاتهم وطنا كبيرا يقيهم من أي غدر كما كان يقيهم من الجوع أو البرد في ليالي جبل كارة العارية ، و لم يشعروا أبدا بحجم القلق الذي تحبسه هذه الصدور التي حمتهم إلى النفس الأخير .

هذا من جانب وأما من الجانب الآخر فإن وضعي الصحي لا يساعدني على الخوض مطولا في قضية كهذه علاوة على عدم وجود أية كتابات تتحدث عن القضية نفسها تحت يدي أو وسائل أخرى وثقت تلك الأيام العصيبة لأسباب معروفة تأتي في مقدمتها الحصار الذي مفروضا على القضية العراقية بصورة عامة والقضية الكوردية بصورة خاصة إلى جانب العزلة الشديدة التي أوقعتنا بها قوات الجيش و(الجحوش) *، كي تساعد المرء للخوض في مغامرة عظيمة كالتي أتحدث عنها ، ولذلك ليس غريبا إن لم يسمع أحدا بأنه كان هنالك هذا العدد الهائل من المواطنين وأبناءهم الأنصار والبيشمه ركه محاصرون في منطقة ما ، ولم نسمع نحن أنفسنا حينها سوى مرة واحدة من إحدى الإذاعات الأجنبية الناطقة بالعربية أن هنالك الآلاف من الأكراد تحاصرهم القوات العسكرية العراقية في أحد جبال منطقة العمادية وهذا الخبر لوحده رغم إنه لم يفعل أي شي بالمرة أعطى الكثير من الأمل للمحاصرين بأن تناقل أخبارهم عبر الإعلام ربما يتلقفها المجتمع الدولي وبالتالي يسرع لنجدتهم ولكن هذا لم يحصل أبدا للأسف الشديد كما في أغلب المحن التي عاشها ويعيشها العراقيون وخصوصا الأكراد قبل أن يحققوا هذا النصر الذي يعيشون في ظله بفضل تلك التضحيات والتي كانت امتدادا لتضحيات سنين طويلة من الكفاح المرير .

ولذا فأن أمام حدث كهذا تكون كتابة مذكرات ترسم الصورة الحقيقية الكاملة لحجم وحشية النظام وهذا الخوف الرهيب والمخترع في مختبرات كيماوية من قبل نظام صدام حسين لوحده أشبه بمعجزة وخصوصا إنها مسؤولية أخلاقية تصيب الحدث ومكانه وزمانه وشخوصه، ولذا فإن ما أكتبه لا يتعدى كونه مشاهدات تعتمد على ذاكرة مليئة بآلام تلك الفترة وما بعدها إلى الآن والتي أصبحت تعاني الضعف في بعض جوانبها . ومن هنا قد أخطأ في أيراد بعض الأسماء

أو بعض التواريخ أو أشياء أخرى ولكنني لم أخطأ في أن ما حصل كان حقيقة وقعت بالفعل وما أدونه هنا ليس إلا القليل جدا لأن التفاصيل تظهر عندما يكتبها عدد أكبر كونهم سيتذكرون ويتناولون جوانب لم استطع مشاهدتها أنا أو غيري ، فرغم أن بعض الرفاق الذين عاشوا هذه العمليات كتبوا عنها كالنصير أبو الفوز والنصير سلام فواز والنصير أبو ناتاشا الذي تحدث في حلقات ثلاث عن أحداث الأنفال ببعض جوانبها في منطقة كارة والتي سأتحدث عن بعض جوانبها الأخرى ، فإنها لازالت بحاجة إلى المزيد من الكتابات .

أرجو أن تكون هذه الكتابات مع محطاتي المتواضعة تحفيزا للمزيد من رفاقي الآخرين وأصحاب الذاكرة الحية من أبناء تلك القرى وشبيبتهم على تدوين هذه الصفحات المأساوية من تاريخ منطقتهم التي روت أرضها دماء أبناء العراق من أنصار ومناضلي الحزب الشيوعي العراقي والأحزاب الكوردستانية من مختلف الأعراق والأطياف دون أن يكون هنالك أي شعور بين هؤلاء جميعهم بأنهم ينتمون إلى هذه الطائفة أو تلك أو هذا العرق أو ذاك، كلنا كنا نتحمل نفس القدر من المسؤولية الأخلاقية في داخله تجاه هذه البشاعة في جانب التصدي لها وعدم الرضوخ لقوانينها رغم المعرفة التامة بأن أخف عواقب هذا الموقف هو الموت لو لم تكن هنالك معجزة تحرر المرء منه ومن رياحه الصفراء التي أصبحت تهب في أكثر من منطقة بكوردستان.

– (باليسان وشيخ وه سان وزى شين وآفوكى وكانيا باسكا)*قرى ومناطق تتواجد في به هدينان سوران تعرضت إلى ضربات بالأسلحة الكيماوية .

– (رفين)* ابنة النصير الشيوعي صبحي خضر حجو (ابو سربست) كان عمرها 45 يوما فقط عندما فقدت مع أفراد عائلتها في هذه العمليات .

– (الجحوش)* وحدات عسكرية غير نظامية تتشكل عادة من العشائر الكوردية الموالية للحكومات الشوفينية في كل من العراق وإيران وتركيا وكانت تسمى في العراق بالأفواج الخفيفة وبسبب ارتزاقهم للحكومات وخيانتهم لقضية الشعب الكوردي أطلقت الجماهير الكوردية هذه

التسمية عليهم .

(المحطة الأولى)

بعد أن قررت قيادة حزبنا الشيوعي العراقي دمج التنظيم المحلي مع وحدات قوات الأنصار في منتصف عام 1988 قبل إيقاف الحرب العراقية – الإيرانية التي كان الحزب يدعو إلى إنهائها .. وبعدما كانت منظمات الحزب المدنية (الكوادر العاملة في هذه المنظمات) تعمل منفصلة عن الوحدات العسكرية كان بينها تنسيقا لم يكن يرتقي إلى مستوى المهام الملقاة على عاتق الجانبين ، تشكلت بعد ذلك مباشرة مفاصل عمل أخرى وهنا أنا أتحدث عن المنطقة التي كنا نعمل فيها وكانت مقراتنا تتركز في (كه لي مه رانى)* كان يعمل فيها الفوج الأول لأنصار الحزب والذي كان يعمل عسكريا في حدود المناطق المحيطة من جهة الشمال الشرقي بمدينة دهوك وثم مناطق (د هـ شت الموصل)* وبالتحديد شيخان و تلكيف ومناطق أتروش وعقرة ولم تكن مفارزها تتلكأ في الوصول إلى أية منطقة أخرى عندما كانت الحاجة تتطلب ذلك .

و من الجدير بالذكر أن مفارز هذا الفوج حققت العديد من الانتصارات في عملياتها العسكرية استطاعت من خلالها توجيه ضربات موجعة في مناطق مختلفة من التي جاء ذكرها أعلاه لقوات العدو وأجهزته القمعية وكانت تحظى هذه المفارز بتقدير جماهير المنطقة واحترامها ، وقدمت في هذا السبيل تضحيات غالية عندما فقدت في معاركها العديد من الأنصار الأعزاء والأبطال ، وفي الواقع كان هذا هو الثمن الذي يقبل به كل نصير بطل عمل في أية وحدة عسكرية تابعة للحركة الأنصارية للحزب الشيوعي العراقي .

وكذلك كانت هناك لجنة محلية نينوى وهي هيئة حزبية كانت تقود العمل الحزبي التنظيمي والسري على مستوى المحافظة بالإضافة إلى مهام أخرى كانت تتكلف بها من قبل قيادة الحزب وطبقا لهذا القرار والذي كان يعتبر مطلبا ملحا للغالبية العظمى من الرفاق الأنصار تشكلت هيئة قيادية موحدة تقود العمل في الجانبين كان يعمل فيها رفاق يمتلكون خبرات تنظيمية

وآخرين أصبحوا قادة عسكريين مجربين في معارك هامة مع قوات النظام . وسميت هذه الهيئة من جديد بلجنة محلية نينوى أنيطت مسؤوليتها الأولى(بأبو سالار) لبيد عباوي الذي كان عضوا في اللجنة المركزية للحزب وأنيطت مسؤوليتها العسكرية بالرفيق توفيق (خيري درمان) وتوزعت المسؤوليات الأخرى على رفاق آخرين كانوا ضمن هذه اللجنة ربما يقودنا الحديث لاحقا الإشارة إلى أسماءهم أو أدوارهم وخصوصا إننا عملنا معا فيما بعد واضعين الخطط حول كيفية التخلص من حصار قوات الجيش والجحوش مع العديد من الرفاق ، وقد أمتنع عن ذكر بعض الأسماء تحسبا لهذه الظروف الغير طبيعية في عموم العراق .

والجدير بالذكر ارتبطت بهذه اللجنة لجان موحدة تقود العمل العسكري والتنظيمي على مستوى الأقضية لم يكتمل نصاب أية لجنة منها غير لجنة تلكيف التي أتمت ترتيباتها قبل الآخرين ، وعلى أثر هذه التغيرات التي أخذت وقتا ليس بقصير وجهدا كبيرا كلفت للعمل في لجنة تلكيف التي أصبحت تعمل انطلاقا من مقر (بير موس) وهو من المقرات القديمة يعود تاريخ العمل فيه إلى فترة الستينيات عندما كان رفاق الحزب يشاركون الشعب الكوردي انتفاضاته المسلحة فارتبط اسم هذه القرية ببطولات الشيوعيين ومآثرهم وكان ينطلق منها الشيوعيون نحو القرى والمدن لبناء خلايا حزبية فيها . وأستطاع الأنصار قبل عملية الدمج أعادة تأهيله لممارسة العمل البارتيزاني وها صرنا ننطلق منه لمواصلة بناء وتقوية منظمات الحزب في مناطق (الده شت) بعد عملية الدمج .

وثمة حاجة إلى القول بأن هذه منظمات (الده شت) كانت بحق من المنظمات الحزبية النشيطة وخلال مسيرتها استطاعت تحقيق الكثير ولم تكن تدخر جهدا في المبادرة لتنفيذ مهامها إلى جانب تلك التي كانت تكلف بها من قبل الهيئات الأعلى وكانت خدماتها بالنسبة إلى الحزب عظيمة وتشكل عصبا مهما فيه .

كلفت ضمن هذه اللجنة بقيادة العمل التنظيمي في حدود القضاء مع رفاق آخرين وكانت اللجنة بقيادة الرفيق أبو ظاهر وكان بين رفاق هذه اللجنة أيضا الرفيق أبو أمل الذي كلف بمسؤولية

اللجنة في الجانب العسكري وكان ضمن هذه اللجنة رفاق آخرين مكلفين بمهام أخرى يتطلبها عملنا الأنصاري والتنظيمي . وهكذا بدأنا بترتيب أمورنا ووضع خططنا العملية للتحرك وفقها في المستقبل وربما كان هناك بعض الخلل يرافق عملنا لأن تجربة العمل المشترك كانت جديدة وفي بداياتها وكانت تحتاج إلى وقت أطول لإيجاد أفضل السبل للعمل والتناغم معها ، بالرغم من أن الغالبية من الرفاق والأنصار كانت تجيد الكثير في مجال العمل العسكري والتنظيمي ومناورة العدو ، ومن هنا أصبحت الأمور تسير و تترتب بشكل معين .

ورغم أن وتيرة الضربات الموجعة والموجهة ضد مختلف مناطق كوردستان وقوات الأنصار والبيشمه ركه من قبل قوات الجيش العراقي التي بدأت تنسحب من جبهات الحرب مع إيران كانت تتصاعد بشكل جنوني بات فيها استخدام الأسلحة الكيماوية أمرا معروفا ، صار (صارت) كل واحد أو مجموعة منا يتوجه (تتوجه) إلى عمله (عملها) بعد الاجتماع الأول للجنتا وكان هذا في منتصف شهر آب أغسطس . حينما توجهت إلى حيث عملي في عمق ريف تلكيف وذلك لمتابعة العمل الحزبي وترتيبه في هذه القرى والذي كان يمتاز بدرجة عالية من الانضباط والمتانة والذي عصى على أجهزة أمن النظام لاختراقه . وبالنسبة لي لم أكن أحتاج إلى إجراءات تنظيمية أستلم بواسطتها التنظيم مجددا فرغم انقطاعي عن المنطقة لفترة معينة التقيت بسهولة برفاق المنظمة (لجان مصغرة وخلايا وعلاقات فردية أو خيطية) ، ولكن الأمر في كل اللقاءات التي أجريتها كان مختلفا هذه المرة فكان هناك خشية شديدة من تحركات السلطة وما ستؤول إليه هذه التحركات ، وجدت جميع الرفاق في هذه الخلايا يشتركون في حدس واحد هو أن السلطة الدكتاتورية عازمة هذه المرة على إنهاء وجود حركة الأنصار والبيشمه ركه ومن خلال القضاء على الحياة في ريف كوردستان ولذلك كانوا يعيشون قلقا كبيرا على مستقبلهم ومصيرنا ويتوقعون تصاعدا خطيرا من قبل أجهزة النظام القمعية لملاحقة تنظيمات الحزب وجماهيره في مختلف المناطق بموازاة بدء حملة تطهير كوردستان من الأنصار والبيشمه ركه ، وتصاعدت مطالبة هؤلاء الرفاق بتصميم ودراية تامة على ضرورة الانسحاب إلى خلف الحدود وإنقاذ حياة البيشمه ركه وعوائلهم وحياة جماهير المنطقة التي ستتعرض إلى الهلاك والدمار .

ومن الواضح أن إجلاء سكان ريف كوردستان من أرض آباءهم و أجدادهم إلى أرض دولة أخرى ووسط هذه الحشود العسكرية التي عملت على قطع كل الطرق المؤدية إلى داخل الأراضي التركية قضية في غاية التعقيد وبقاءهم متشبثين بأرضهم يعد هو الآخر شبه انتحار جماعي، وخصوصا بعدما تأخر الوقت ولم يعد لصالحنا في مناطق كثيرة كما كان الحال عندنا في بهدينان ..!! ويمكنني الحديث عن هذه المسألة في المحطات التالية بشئ من التفصيل لأن هذا الأمر كان على صلة وثيقة بقرارات وإجراءات غير متأنية اتخذت في خضم الحدث .

مكثت هناك في هذه القرى أياما قلقة مرت سريعا و أجبرتني تصاعد ورود أخبار سيئة من جميع المصادر حول الأعداد الهائلة من قوافل الجيش العراقي التي كانت تتوجه إلى كوردستان بكافة أسلحتها قادمة من جبهات القتال مباشرة لتنفيذ هذه الجريمة التي أصبح يدرك خطورتها البالغة كل المواطنين . زرت خلال هذه الأيام أهلي وكانوا يشاركون كل الذين التقيتهم الإحساس بخطورة الوضع وأبدوا قلقا بالغا لمصيرنا المجهول وخصوصا كانت تربطهم علاقات وثيقة بأعداد كبيرة من العوائل الموجودة في الحصار وأبناءهم الأنصار قبل التحاقهم بصفوف البيشمه ركه ، ودعتهم وهم يقولون وكيف سيكون الأمر بالنسبة لك ..؟ فقلت لهم ما كانوا مقتنعين به تماما وهو أما سأتحرر من قبضة عساكر النظام وعندها ستكون وجهتي الخارج ، وأما سأقع في فخ لهم وعندها تكون النتائج معروفة . وهذا ما أحزنهم أشد حزن .

– (كه لي مه رانى)* كه لى (وادي) .. مه رانى قرية تقع ضمن هذا الوادي تركها أهلها قبل سنوات طويلة من تأسيس مقرنا فيها ، سأحاول ضمن هذه المحطات الحديث عن بدايات تأسيس مقرنا في هذه القرية .

– (د ه شت الموصل)* سهل الموصل وأستخدمت كلمة الده شت في التعامل اليومي والمخاطبة بشكل طبيعي إلى جانب العديد من الكلمات الكوردية من قبل رفاقنا العرب وكذلك في الكتابة سواء من قبل الكتاب الأنصار أوالمجالات الأخرى.

(المحطة الثانية)

إذن كان علي أن أعود بسرعة والالتحاق برفاقي لأن الجميع تيقن وأنا كنت معهم في هذا اليقين من أن العمليات العسكرية الفعلية بدأت في مناطقنا وإنها تختلف هذه المرة عن سابقاتها التي كان يتقدم فيها الجيش والجحوش لغرض تحقيق أهداف محددة عبارة عن الاعتداء على بعض القرى أو المقرات أو ملاحقة مفارز البيشمه ركه ،أما هذه المرة فان الحرب التي أنهت عامها الثامن وضعت أوزارها وتوقفت بعد أن أشغلت العالم وأحرجت القوى السياسية العراقية عندما أرتبكت في رسم سياساتها وأهدافها ووضع شعاراتها إزاءها ، فعملت بعضها في مراحل معينة مباشرة مع القوات الإيرانية في عمق الأراضي العراقية وحددت الأخرى موقفا مناهضا للحرب كما كان الحال عندنا في الحزب الشيوعي الذي رفع شعار إنهاء الحرب وإسقاط الدكتاتورية ، وبالرغم من أن إنهاء الحرب أو استمرارها لا يتوقفان على شعار يرفعه الحزب ، كونها كانت أكبر من أن تكون حرب صدام ضد دولة جارة فأن الموقف منها كان ينبغي أن يأخذ بنظر الاعتبار طبيعة النظام العدوانية والتي أوصلت الأوضاع في البلاد إلى ما هي عليها الآن وهي تتوغل في حرب طائفية غير معلومة النتائج ونيرانها أصبحت تتصاعد مشتعلة وهي تطحن بالعراقيين في طاحونتها و تحرق وتدمر ثروات البلاد بشكل جنوني ، فأن قاعدة الحزب وخصوصا الأنصار وأزعم إن منظمات الحزب في الداخل هي الأخرى ارتبكت ووجدت عدم دقة هذا الشعار كون وقوفها (الحرب) سيعطي للنظام الفرصة الكافية للقضاء على المعارضة بنفس تلك القوة القادمة من جبهات الحرب ، وفي نفس الوقت فأن استمرارها يعني استنزاف المزيد من الطاقات البشرية إلى جانب ثروات البلاد وبنيتها التحتية . ولذلك كانت تدور نقاشات حامية في الهيئات الحزبية المختلفة وفي الاجتماعات العامة ترفض فيها قاعدة الحزب وجماهيره الحجج التي كانت قيادة الحزب تتكأ عليها وتسوقها وهي ترفع هذا الشعار وتدافع عنه ، وهي أن فرص سقوط النظام ستزداد عندما تواجه هذه الأعداد الهائلة من الجنود المسرحين والقادمين من حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، إضافة إلى المأساة التي خلفتها هذه الحرب من تفاقم في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وعدم قدرة النظام على مواجهتها ومعالجتها، إلى جانب جملة من الأمور الأخرى من مخلفاتها ، كلها مجتمعة ستشكل عوامل ضغط لا يستطيع النظام مقاومتها وينهار بسبب أعباءها .

وكان هاجس القضاء على قوات الأنصار والبيشمه ركه يشغل بال الدكتاتورية بالرغم من انشغالها في هذه الحرب التي طحنت أرواح مئات الآلاف من الشبيبة العراقية ولذلك فأنها لم تكن تتوانى في استخدام كل ما لديها من إمكانيات ضد مناضلي الحرية في كوردستان ، ولأجل ذلك كانت تجند المزيد من وحدات الجحوش تحت اسم الأفواج الخفيفة أو أفواج الدفاع الوطني المتكونة عادة من العشائر الكوردية (رؤساء الغالبية العظمى من العشائر الكوردية ساهموا أو شاركوا في هذه الوحدات وجندوا أفراد عشائرهم ضمن هذه التشكيلات) علاوة على إشراك قوات الأمن العراقية ووحدات من أعضاء حزب البعث في ما يسمى بالجيش الشعبي في المعارك ضد هذه القوات.. وكان من المستحيل اقتلاع هذه القوات من أرض كوردستان ما لم تستطع السلطة الدكتاتورية القضاء على المصدر الأول والأهم لإدامتها ورفدها بالدماء الجديدة ولذلك قررت القضاء على جماهير المنطقة واقتلاعها من قراها ، وثمة حاجة إلى القول أن السلطة أدركت إنها لا تستطيع تحقيق هذا الهدف دون أن تستخدم سلاحا جديدا وفتاكا ألا وهو السلاح الكيماوي الذي لا يستطيع جسد الإنسان مقاومته حتى لو استطاعت إرادته ذلك ، لأن هذه الإرادة الفولاذية الحقة وقفت قبل ذلك عائقا أمام مخططات السلطة وأسلحتها التقليدية في القضاء على الحركة المسلحة في كوردستان .

وهكذا عدت إلى مقر بير موس مرة أخرى وبرفقة رفيق آخر كان قادما من الداخل من أحدى أقضية نينوى أضطر هو الآخر للتوجه إلى المقرات لنقل تصوراته إلى قيادة اللجنة المحلية ، وإن لم أخطأ التقدير كان ذلك في 19- 8- 1988 وسرعان ما أبلغنا الرفاق بتصوراتنا عن تطورات الوضع والتحرك العسكري المكثف والغير اعتيادي بالنسبة إلى قوات النظام من الجيش والجحوش بكامل معداتها قادمة من حرب يائسة لم تحقق فيها شيئا غير جر وطننا إلى المزيد من الخراب وشعبنا إلى المزيد من الويلات ، طليعتها كانت في زاخو تنتشر وتتوجه صوب أهدافها ونهايتها تتمول بالمزيد من الوحدات عند الأطراف الشمالية من مدينة الموصل حسب شهود عيان تحدثوا لنا في تلك الفترة . بقيت مع أنصار لجنة تلكيف في بير موس فيما واصل الرفيق الآخر مشواره نحو (مه رانى) و كان لابد لنا أن نبلغ قيادة اللجنة في (مه رانى)

بتفاصيل ما يدور وما تقوم به السلطة من تحشيد لقواتها لتحقيق هذه الأهداف التي أشرنا إليها في سياق الحديث .

وكان من بين مقترحاتنا التي أرسلناها في برقيات لاسلكية متتالية ضرورة الإسراع بإنقاذ عوائل الأنصار المتواجدة هناك في المقر ومحيطه وإرسالها صوب الحدود ، وفي نفس اليوم تلقينا برقية جوابية تؤكد أن القيادة أصبحت تشكل مجاميع من هذه العوائل وترسلها عن طريق (آشه وه)* باتجاه الحدود التركية ، ولكن تبين فيما بعد أن الوقت كان متأخرا وعادت هذه المجاميع ثانية إلى (مه رانى) عندما وجدت إن كل الطرق مغلقة بوجهها تماما بوحدات الجيش والجحوش العراقيين .

صرنا نتباحث في ما يحصل كثيرا ولم يخطر في بال بعضنا أن ننسحب إلى الوراء أبدا وفي الواقع كنت أنا من بين الذين يدركون بوضوح بأننا سنضطر إلى الانسحاب باتجاه الحدود مع تركيا أو إيران ولكننا لم نتوقع أن ننسحب على الأقل في الأيام الأولى دون أن نتصدى فيها للقوات المتقدمة أو إشغالها لكي لا نضطر إلى إنسحاب تحت ضغط الهلع والخوف وتوفير الفرص اللازمة لقواتنا الأخرى على الانسحاب بسلام وهم بدورهم يعملون على تغطية انسحابنا أيضا في المناطق الحدودية ..وهكذا كان أنصارنا التقوا لعدة مرات بمفارز الحزب الديمقراطي الكوردستاني المتواجدة في المنطقة و مفارز المقاومة الشعبية (به ركرى ملى)* ووضعوا خططا حسبما عرفت منهم ، مفادها كيفية مقاومة القوات المتقدمة وتشخيص مواقع المعارك المحتملة و المفارز التي تتصدى للقوة التي تتقدم من كل جهة ، والأمر كان إلى هنا يعد جيدا وهو أن تتوحد جميع المفارز للتصدي لهذا الهجوم الشرس ، ولكن الأمر الذي عكر صفوة كل هذه الخطط هو الاختفاء التدريجي لمفارز حدك والمقاومة الشعبية التي صرنا نسأل عنها و لا نجد إلا القليل من أفرادها يتوزعون بين هذه القرى لا يعرفون الكثير عن ما يدور غير القلق والحيرة حتى صرنا لا نجد أحدا قبل يومين من انسحابنا .

المحطة الثالثة

إذن قوام لجنة غير مكتمل من الأنصار البيشمه ركه تشكلت منذ أيام معدودات يتواجدون في مقر (بير موس) والمنطقة كلها لوحدهم يراقبون أو ينتظرون تطورات الوضع وما ستؤول إليه الأحداث وينتظرون كذلك قرارا يصدر من اللجنة القيادية لمحلية نينوى يقرر مصيرهم أما البقاء لخوض معركة غير متكافئة مع قوات النظام التي يكفي قوامها لخوض معركة مع جيوش دولة أخرى بكامل عدتها وعددها وبهذا تكون أخطأت التقدير أو الانسحاب إلى الخطوط الخلفية وعندها يتقرر مصيرهم مع مصير بقية القوات المتواجدة في (مه رانى) وهذا ما كنا ننتظره في ظل وضع معقد وصعب جدا من الناحية العسكرية والسياسية أصبح كل شئ فيه لصالح النظام . إن لم تفاجأ هم هذه القوات المتقدمة في استغلال الفرصة وتوجيه ضربة كيماوية مميتة تبيدهم عن بكرة أبيهم قبل الانسحاب أو الدخول في أية معركة .

ورغم ذلك انشغل الرفاق في حياتهم الأنصارية اليومية ولكنه بحذر شديد وأضيفت إليها مهام أخرى ، و لم تغادرهم الشجاعة والعزم فيما لو قررت اللجنة القيادية الدخول في المعركة والتصدي كما في باقي المعارك لقوات النظام رغم الإدراك التام وكما قلت من أن هذه المعركة ستكون نهاية هذه المجموعة من الأنصار فيما لو دخلتها .. فكنت تجد من ينظف بندقيته أو من يحصن موقعه للقتال أو من يقرأ لعبد الرحمن منيف روايته مدن الملح أو غيرها من الروايات والأشعار لكتاب معروفين استزاد الأنصار منهم حبا لوطنهم وشجاعة للدفاع عن قضيتهم أمثال لوركا و همنغواي وطاهر الوطار وماركيز وتشيخوف والعشرات غيرهم من عمالقة الأدب العالمي ، وانشغل بعضنا أيضا في إخفاء بعض الأشياء التي كان ينبغي إخفاءها وآخرون في البحث وتقصي الأخبار ومعرفة ما كان يدور في هذه القرى القريبة من المقر وتيقنا بشكل قطعي إنها أصبحت فارغة تماما وتوجه سكانها صوب الحدود التركية أو الإيرانية وتيقنا إننا فعلا وحدنا هنا لا نجد بشرا غيرنا إلا نادرا عندما يمر شخصا عبر هذه القرى متخلفا عن أهله وهو يسرع اللحاق بهم وآخر يبحث عن وجهة أخرى تنقذه من مصير مجهول ، وعادة ما كانوا مرتبكين مذعورين ويؤكدون أن حملة إبادة فعلية بدأت في كوردستان وينقلون لنا أخبارا غير مترابطة حول قتال دار في كذا منطقة أو المنطقة الفلانية تعرضت لضربة بالأسلحة

الكيماوية وما إلى ذلك .

و كانت تتخلل جميع أوقاتنا الكثير من النقاش وحول مختلف المواضيع فوجد بعض الأنصار عدم وجود أية حاجة لمثل هذا الاستعدادات وعلق أحدهم قائلا ونحن نخبئ هذه الحاجيات سنعود بعد فترة قصيرة فلماذا هذا الإخفاء المحكم لهذه الأشياء التي سنحتاجها بعد أن تتقهقر هذه القوات وتعود إلى مواقعها ثانية ؟ وآخرون تنبؤا وعبروا بوضوح عن قناعتهم بعدم وجود أية أمكانية للعودة إلى بير موس ثانية وممارسة الحرب البارتيزانية والعمل الحزبي في عمق الأراضي العراقية بما فيها بغداد التي كان يتحرك إليها رفاقنا من بير موس لإعادة بناء منظمات الحزب المدمرة أثناء الحملة التي قامت بها اجهزة القمع التابعة للنظام في سنة 1978. فتحققت نبوءة الطرف الثاني عندما قتل الفاشيست كل أنواع الحياة في ريف كوردستان مما حال دون القدرة على خوض مثل هذا الأسلوب النضالي إلا في مناطق محدودة وبصعوبة بالغة جدا ، و في نفس الوقت تحقق حلم الرفيق بالعودة إلى هذا المكان بعد أيام من مغادرته له ولكنه (حلمه) كان هذه المرة محفوفا بمخاطر جمة أقلها خطورة هو خوض معركة خاسرة ومواجهة خطر الموت ، و كانت هذه العودة في هذه المرة لأجل التسلل و اختراق مواقع العدو و تحصيناته وإيجاد منافذ للعبور إلى سوريا ، فلم يتسنى له أو لغيره من الأنصار البحث عن الأشياء التي جرى إخفاءها بل حتى المكوث في هذا المكان لأكثر من نصف ساعة من الوقت وذلك للتزود بالماء أو عدة ثمرات من الطماطم والباذنجان والشجر أو غيرها من مزرعتهم التي حرثوها بآلات يدوية بدائية وزرعوها لكي تساهم في أغناء وجباتهم الغذائية وهم يؤدون مهامهم الحزبية والعسكرية . وذلك لأن وحدات الجيش العراقي التي انتشرت بكثافة في عموم المنطقة كثيرا ما كانت تتردد إلى هذا المقر لغرض تفجير كل ما له علاقة بالبيشمه ركه. وتدمر حاجياتهم كالأرزاق و الأفرشة إضافة إلى الأسلحة و الأعتدة في حالة العثور عليها في مخابئها .

خلال هذه الأيام وفي ظل هذه الأوضاع المعقدة كان لنا رفاق آخرون يتواجدون في قرى وقصبات المنطقة كالشيخان وألقوش و(دوغات)* وبعشيقة وبحزانى وغيرها ، كان بعضهم مرتبطا بمواعيد العودة إلى المقر وكنا ننتظر عودتهم متمنين أن تكون مواعيد عودتهم متقدمة

وأما الآخرون فلم تكن لديهم أية مواعيد للعودة وتوقعنا أن تدفع تطورات الأحداث بهم للمجيء والالتحاق بنا لأن بقاءهم في قرى وقصبات تخضع للمراقبة الشديدة من قبل أجهزة السلطة القمعية أمر محفوف بالمخاطر ويعرض الركائز الحزبية إلى الكشف وهذا يشكل كارثة كبيرة لأنه في مثل هذه الحالات لا تتوانى السلطة في استخدام أقسى وأبشع الوسائل ضدهم .

في صبيحة يوم الرابع والعشرين من آب أغسطس استلمنا برقية قصيرة من اللجنة المحلية تقول فيها (تقرر انسحابكم فورا) إذن كان هذا هو القرار الصحيح رغم تأخره بعض والشئ ولكنه أنقذنا من مصاعب و إرباكات جمة إن لم يكن سببا لخلاصنا من الموت المحقق ، وهكذا بدأنا نستعد للانسحاب رغم وجود رأي آخر هناك مفاده أن يتأجل الانسحاب إلى وقت مبكر من فجر اليوم التالي ولكن هذا الرأي لم يؤخذ به بسبب إدراك الغالبية أن الوقت أصبح متأخرا جدا وفي الوقت نفسه واجهتنا مشكلة أخرى في هذه المرة وهي موعد عودة أحد رفاقنا من ألقوش ففي حالة ترك المقر والانسحاب قبل وصوله سيصبح وضعه حرجا عندما لا يجدنا هناك . ومع هذا عملنا كل جهدنا من أجل أن نكون على أتم الاستعداد بعد الظهر من نفس اليوم لتنفيذ الانسحاب منتظرين على أمل أن يصل رفيقنا ومنشغلين ثانية بإخفاء ما لا نستطيع أخذه معنا بما فيه الأعتدة الزائدة وخصوصا كانت لدينا دابة واحدة نحمل على ظهرها كل ما نحتاجه .

وكل شئ كان يسير بسرعة فمع استعدادنا للانسحاب أكمل الرفيق أبو فلاح استعداده للذهاب إلى الده شت والبقاء هناك وجرى الاتفاق بيننا على كلمة سر في حالة الاتصال به عند الحاجة وجرى تسمية الأماكن التي ينبغي أن يتواجد فيها وكذلك الأشخاص الوسطاء بيننا . وجرى الاتفاق أيضا على ضرورة الاتصال بالرفيق أبو ليلى الذي كان يتواجد في قرية (دوغات) كان برفقته الرفيق سامي وضرورة التنسيق معا في الحالات الطارئة وجرى تكليف الرفيق حميد بمرافقة أبو فلاح وعاش حميد بعدها قصة مثيرة استمرت لعدة أيام بعدما أضطر للتوجه إلى جبل (خورزان وكرسافا)* بعد أن تركه أبو فلاح مسلما نفسه للسلطة عبر وساطات من وجهاء المنطقة مقابل الحفاظ على حياته .

وضعنا خطة الانسحاب وأسرع عدد من الأنصار لإعداد وجبة غداء وكمية من الخبز تساعدنا في الطريق ، وتقرر ضمن الخطة أن ننقسم إلى مجموعتين تتحرك الأولى في تمام الساعة الثانية بعد الظهر وهي مجموعة صغيرة تتكون من 7 أو 8 أنصار كنت من بينهم وكان من مهام هذه المجموعة استطلاع الطريق والتأكد من سلامتها وكان على المجموعة الثانية و التي تتكون من مجموع الرفاق الباقيين وهم ملاك لجنة تلكيف الذين التحقوا بها قبل أن تكتمل بشكل نهائي ، أن تتحرك بعدها بعدة ساعات .

بينما كانت كل الاستعدادات تتم بشكل منتظم وصل رفيقنا القادم من ألقوش وبهذا فأن مشكلته لم تعد تواجهنا ، ودون أن يكون له موعدا وفي آخر ساعة وصل أحد رفاقنا العاملين في تنظيمات قضاء الشيخان إلى المقر منظما إلينا يحمل معه الكثير من الأنباء عن التحشدات العسكرية في الشيخان وأتروش .

– (دوغات)* قرية تابعة إداريا لناحية ألقوش – تلكيف سكانها أيزيديون ، انخرط العديد من أبناء القرية في صفوف الحزب الشيوعي منذ عقود طويلة ، والتحق العديد من أبناءها بصفوف الأنصار وقدمت العديد من الشهداء الأبطال وراحت العديد من عوائلها ضمن حملة الأنفال التي نتحدث عنها عبر هذه المحطات وسيجري الحديث عن كل ذلك بمزيد من التفاصيل . ومن الجدير بالذكر أن الغالبية العظمى من جماهير هذه القرية لازالت تلتف حول منظمة الحزب الشيوعي الكوردستاني العاملة هناك .

– (خورزان وكرسافا)* قريتان تابعتان أيضا لناحية ألقوش يفصلهما واد صغير ، في عام 1987 جرى ترحيل سكانها بشكل قسري إلى مجمعات شيخكة ونسيرية وسويت القريتان إلى جانب قرى طفطيان وكابارا وملاجه برا مع الأرض . وذلك بسبب تعاون سكان هذه القرى مع الحركة المسلحة في كوردستان من الأنصار والبيشمه ركه ومساهمتهم فيها بكل مباشر وقدمت هذه القرى بدورها العديد من الشهداء بينهم عدة عوائل ضمن حملة الأنفال كنت على معرفة مباشرة بهم مع وجود علاقات عائلية وثيقة بيننا ، وقبلها تعرضت هذه القرى في العديد من المرات إلى

التدمير والغارات المتكررة لقوات النظام البائد .

المحطة الرابعة

تحركت مجموعتنا في موعدها المحدد ، ووجدت جميع القرى التي في طريقها خالية من السكان ، فلا أتذكر إننا التقينا بشرا في كل هذا المشوار إلا عندما وصلنا إلى مه رانى ، وكان ذلك في الواقع أمرا غريبا رغم معرفتنا به قبل هذا الوقت ولكننا كنا نتصور أن نجد ناسا في القرى الخلفية وهذا لم يحصل أبدا ، فكما كانت (جه مانكى وباله ته وبازيركى ودزى)* والقرى القريبة منها (قرى منطقة عملنا) خالية من السكان كانت القرى الأخرى أيضا خالية والتي تقع على طريقنا وحواليها باتجاه المقر مثل (بيناريكى وكاني باسكا وكابنيركى وخوربينيا وباك باكى وسوارى وسبينداري وميزى وبانيا ته علا وجه مانى) *و(القرى البديلة)* عنها التي جرى بناؤها للتمويه وتجنب الهجمات الكيماوية أو القصف العادي الذي أصبح أمرا شبه يومي ، وكان عادة يجري بناء هذه القرى بطريقة يصبح الجزء الغالب من حيطانها مطمورا في عمق الأرض لمقاومة شدة انفجار القذائف وشظاياها وكان يجري اختيار بناء هذه القرى في مناطق حسب اعتقاد الأهالي بأنها غير معروفة للسلطة وهي تقع في وديان تتميز بصعوبة الوصول إليها من قبل مشاة الجيش العراقي بسبب وعورتها وعلى اعتبارها أهدافا غير قابلة للإصابة بقذائف المدفعية والهاونات .

وقبل حلول الظلام وصلنا إلى قرية بيناريكى البديلة والتي تبعد عن القرية الأصلية مسافة عدة كيلومترات قليلة لا تتجاوز 3 أو 4 منها ، فكان علينا أن نأخذ قسطا من الراحة والانتظار لتقريب المسافة بيننا وبين المجموعة التي تتبعنا وخصوصا أن الظلام سيحل قريبا و علينا أن نواصل المسير ونكون على معرفة ببعضنا الآخر نحن المجموعتان وأين وصلنا.. لمواجهة الاحتمالات الطارئة لأن وقوعها أصبح واردا بسبب بدء التقدم العملي في المناطق التي كنا ننسحب منها وعبر المنافذ الأخرى للوصول إلى قرى المنطقة وثم مقراتنا فكانت أصوات الإنفجارات المتتالية تشق السكون المخيم على هذه المنطقة في كل صوب واتجاه معلنة حربا شرسة عليها .

كانت هناك حاجة لأن نستغل هذا الوقت لإعداد طعام ما لنا وللمجموعة الثانية ، نتناوله نحن لحد ملأ بطوننا تحسبا لاحتمالات الجوع القادمة ونترك حصة المجموعة الثانية ونتركهم عندما يصلون حتى يشبعوا بطعام شهي والذي سنشتاق إليه كثيرا عندما تصبح كسرة خبز حسرة كبيرة للآلاف من الناس المحصورين من أهالي هذه القرى في قمم ووديان جبل كارة ، وهكذا صعد أحدنا إلى الشجرة التي كان عليها عددا من الديوك الرومية والتي تركها أهل القرية مع كل أشياءهم وحاجياتهم الأخرى واخترنا واحدا منهم بعد أن نزل سربهم طائرا مفزوعا.

وبسرعة شديدة أكتمل كل شئ بعد أن كانت جميع مستلزمات الطبخ متوفرة في كل بيت تذهب إليه وتجده مفتوحا وأصبح القدر الكبير والذي يحمل الكثير من اللحم والرز وأشياء أخرى على موقد تشتعل فيه النيران الملتهبة من حطب البلوط . وانتظارا لإنضاج وجبة الطعام هذه بحثنا عن طعام آخر نكسر بها جوعنا الشديد فتذكرت أن العائلة التي كنت أزورها في هذه القرية وفي ظل الظروف الطبيعية لا تبقى بدون عسل جبلي قط يجمعونه من خلايا النحل الجبلية المنتشرة في مناطق وعرة جدا ولما كانت كوردستان غنية بخضرة وديانها وجبالها فأن العسل الذي تنتجه هذه الخلايا عادة ما يكون من أفخر أنواعه ... فقلت لأحد الرفاق لابد أن يكون هناك في هذا البيت عسلا . فقال وكيف تعرف ذلك .؟ شرحت له علاقتي الطيبة بهذه العائلة وغيرها من العوائل التي لم تعز أي شئ إلا وقدمت للأنصار والبيشمه ركه طيلة السنوات التي كنا نعمل فيها ضمن منطقتهم وقبلنا الآخرون منذ سنوات طويلة ، ليس هذا فقط بل يرفدون الحركة بدماء أبناءهم ، فأية عائلة ليس لديها شهيدا أو مقاتلا في صفوف البيشمه ركه في كل هذه المنطقة ، فكيف تريدني أن أنسى ما كانت تقدمه لي والدتهم ..؟ وتقول لي كل يا بني فأن طريقا طويلة أمامكم !.. فلازمنا صمت مطبق شابه الكثير من الحزن ونحن نتذكر هذه العوائل الفلاحية الطيبة التي كانت بمثابة أهالي حقيقية لنا نحن البيشمه ركه .. ولما انشغلت بتوزيع النار في الموقد وتحت القدر لكي ينضج الطعام الذي يحتويه بشكل متساوي أبلغني الرفيق بأنه لم يجد العسل الذي تحدثت عنه فأسرعت إلى حيث مكان المؤن المتروكة لهذه العائلة وفتحت أول علبة تنيدو للحليب سعة 5 لترات التي عادة ما كانت تستخدم هذه العلب لحفظ بعض المواد الغذائية

فيها في مختلف مناطق كوردستان بسبب مقاومتها للرطوبة وعملية إحكامها بشكل جيد ، وجدتها مليئة بالعسل تناولنا منها شيئا وملأنا منها علبة (كيكوز)* صغيرة لأخذها معنا لأننا سنحتاجها في مقاومة الجوع المنتظر وتركنا ما تبقى في مكانها الأصلي .

بعد أن وصلت المجموعة الثانية واستلمت حصتها من وجبة الطعام بدأ أفراد مجموعتنا بمواصلة المسير نحو (كه لي مه رانى) وهي المحطة التي ستحدد وجهتنا ما بعد الوصول واللقاء ببقية الرفاق وما ستؤول إليه الأحداث .

اتفقنا مرة أخرى على أن لا نتوقف إلا في المقر عدا في الحالات الطارئة التي ربما تواجهنا ، فاستمر المسير إلى الصباح وسط قلق بالغ في الساعات الأخيرة منه بسبب تزايد أصوات الإنفجارات واقترابها أواستهدافها رفاقنا في المجموعة الثانية ولكنها لما كانت تطلق من مدافع قصيرة المدى والظلام لم يكن قد انقشع تماما فإنها لم تصب أهدافها وهكذا تبين أن طليعة قوات العدو بدأت تصل إلى مسافات قريبة من مقراتنا في(كه لي مه رانى) حيث مقر لجنة محلية نينوى لحزبنا الشيوعي ومقر (سى ده را) العائد للجنة الشيخان للحزب الديمقراطي الكوردستاني عبر منافذ (سوارى وسبينداري) وهما قريتان تابعتان إداريا لناحية سرسنك وتقعان إلى الغرب من مقراتنا و(كانيكا) وهي قرية تابعة إلى ناحية أتروش وتقع إلى الجهة الجنوبية من مقراتنا .

وكان تقدم هذه القوات يتواصل عبر منافذ أخرى لتصفية القرى التابعة إلى ناحية زاويتة و سواره توكه وبعض القرى الأخرى التابعة إلى ناحية أتروش من جهتها الغربية إضافة إلى التقدم الواسع لقوات الجحوش في منطقة نهلة عبر باكرمان ودينارته في الجهة الشمالية من قضاء عقرة والتي تقع في جبالها ووديانها العديد من القرى التي تتصل في نهايتها بمناطق تواجدنا .

أما من الجهة الشمالية فإن قوات النظام كانت تتقدم جنوبا نحونا منطلقة من سرسنك ومعسكرات بامرنى والعمادية وديرالوك ، كل هذه القوات التي كانت تتقدم كانت تستهدف إضافة إلى القرى التي أشرنا إليها منطقة (به رى كاره (*وقراها مع مقراتنا التي كانت تقع ضمن هذا الجبل من

جهته الجنوبية .

****

- (جه مانكى وباله ته وبازيركى ودزى)* هذه القرى كانت تقع على الطريق التي توصلنا إلى منطقة به روارى زيرى وكانت قريبة إلى مقرنا في بير موس.

- (بينارينكى وكاني باسكا وكابنيركى وخوربينيا وباك باكى وسوارى وسبينداري وميزى وبانيا ته علا وجه مانى) *مجموعة قرى تعود إلى منطقة به روارى زيرى وأيضا تقع على الطريق إلى مه رانى .

- (القرى البديلة)*عاشت الغالبية العظمى من سكان قرى مناطق به هدينان في مثل هذه لقرى ، ولكنها كانت أصغر من القرى الأصلية وأقل كثافة سكانية لأن كل مجموعة عوائل كانت تبني لها مساكن في واد ما بالقرب من مزارع الفاكهة التابعة لهم (ربما يقول محامو لدفاع عن الطاغية إذن كانوا في أصطياف) على (وزن إذن كانت رائحة الثوم التي كانت شتريه من السوق وتستخدمه في البيت) ، في الواقع لم يكن الأمر كذلك فكانت هذه القرى عاني من نقص شديد في مستلزمات الحياة الضرورية ، وأقيمت لتجنب عمليات القصف لمستمرة ويمكننا القول بأنها كانت متحركة ، فعند تعرض أحداها للقصف ينتقل أهلها إلى واد خر لبناء قرية أخرى وكانت تحمي هذه البيوتات صخور كبيرة يجري السكن تحتها ، فعلى لإنسان أن يتصور كم كان حجم معانات الناس في ريف كوردستان أثناء حملة الأنفال القذرة هذه ...!!؟

- (به رى كاره (* حوض جبل كارة ، وكم عظيما كان هذا الجبل وأهله ، استطاع في أحلك لظروف حماية الأنصار والبيشمه ركه ، وقدم سكان قرى هذا الحوض للثوار ما عجز عنه لآخرون عندما كان نظام صدام في أوج قوته ، كانت ضمن هذا الحوض القرى التالية (ئيكماله - زيوكا شيخا - شيرانه - ردينيا - بهى - كووزى- به لووتى- زيوه - كارة - به ر كارة) إضافة إلى قرى كانت تقع في وديان تشق هذا الحوض . وتشتهر هذه القرى بطيبة أهلها

وكرمهم ومساندتهم للثوار . ولا ننسى أنها تنتج أفضل أنواع التبوغ وخصوصا قرية به لووتى .

المحطة الخامسة

وفي لحظات معينة وبعد دخولنا مقر مه رانى مباشرة شعرنا برهبة شديدة هرعنا اثر ذلك صعودا مسرعين مرتبكين نحو مواقع مضاداتنا الجوية (الدوشكه) المتواجدة في قمة قريبة في مواجهة المقر وهي تسيطر بعلوها على كافة أرجاء المنطقة وتحمي المقر من غارات الطيران الغادرة وجدنا رفيقين لنا ينحدران نزولا من نفس تلك المواقع وهما ينتظران وصولنا بعد أن قررت قيادة المحلية الانسحاب في عصر يوم الرابع والعشرون من أب أي قبل وصولنا بليلة واحدة ، وخففا في الحال من مخاوفنا بعد أن قالا أن هذه الرائحة الكريهة والتي تملأ الوادي هي لبقايا عجل تعفنت كان يعود للنصير(عبد مام أحمد)* ذبحه استعدادا للانسحاب والتزود بلحمه والاستفادة منه في الطريق ، وليس لأي أسلحة كيماوية لأننا لم نتلقى أية ضربة بواسطة هذه الأسلحة لحد انسحاب رفاقنا عصر البارحة وإلى هذا اليوم ، وفي الحقيقة كان قد تولد لدينا شعور جماعي عند دخولنا المقر وسط هذه الروائح الكريهة التي شقت طريقها سريعا إلى أنوفنا ، بأن قوات النظام ربما نالت من كل رفاقنا وعوائل أنصارنا بواسطة أسلحة كيماوية ، والذين يبلغ عددهم أكثر من ثلاثمائة شخص مع العوائل ماعدا مجموعتنا التي دخلت المقر للتو ، وقالا لكن الطائرات العراقية استخدمت هذه الأسلحة وألقت بها قبل أيام قليلة بالقرب من آفوكى وعلى الطريق بينها وقرية سوارى وقتلت إمرأة من أهالي هذه الأخيرة وألحقت أضرارا بقطيع غنم كان هناك فأنفقت العديد منها علاوة على نفوق أعداد من الطيور البرية تساقطت على الأرض في المنطقة نفسها ، وقالا أن رفاقنا الأطباء ذهبوا إلى هنالك لمعاينة الوضع بعد ساعات من القصف وأكدوا أن كل ما يحصل هناك يدل وبشكل قاطع كون هذه القنابل التي سقطت في هذه المنطقة كانت عبارة عن مواد كيماوية وغازات سامة أدت إلى إحداث هذه الخسائر ، وقيل إضافة إلى ذلك ان رجلا من سكان قرية سوارى حاول استخدام بعض القطع من هذه الصواريخ المتفجرة لحاجة ما فأصيب بورم غير إعتيادي لونه أحمر في عيناه الاثنتان ، عولج وعلى حد قول أحد أنصارنا في مقر مه رانى . وذكر فيما بعد أن أسلحة كيماوية استخدمت في وادي كانيا باسكا والتي مررنا فيها (القرية) ليلا ، وفي الواقع مرا من هناك أيضا بعد القصف بعدة

ساعات رفيقين لنا في نفس يوم انسحابنا ولكننا لم نلتقي بهما وكانا متوجهان إلى الداخل أحدهم إلى بغداد والآخر إلى أحدى أقضية محافظة نينوى وهما أكدا قصف الطائرات العراقية لهذه المنطقة بالأسلحة الكيماوية .

زالت مخاوفنا وشعرنا بارتياح إلى حد ما وتوجهنا نحو النهر الذي كان يتوسط المقر للاغتسال والشرب وعلى بعد عدة أمتار من منبعه ، لم يكن هناك ما يوازي مياه هذه العين من جهة صفاءها وبردوتها وكان الجميع يقول وبشهادة أهالي قرى المنطقة بأنها تساعد على صرف الطعام الذي يتناوله المرء في الحال فكنت تشعر وأنت تشرب قليلا منها بعد تناول الطعام بالجوع مرة أخرى مباشرة ويتحدث الناس على أن هذه العين بين كل عدة سنوات يصيبها الجفاف مرة واحدة وهذا ما أشعرنا بالقلق ولكن لحسن الحظ فأن كل السنوات التي قضيناها هناك على هذه العين كانت معطاءة وظلت المياه تتدفق منها دون توقف وأحيانا كثيرة كانت تتعدد الينابيع من على المصدر الرئيسي لها وخصوصا في السنوات التي كانت تكثر فيها الأمطار والثلوج .. جرى تبادل الأحاديث كثيرا تركزت على سرعة تطور الأحداث التي أدت إلى هذه النتيجة والتي مفادها الانسحاب دون معرفة نتائجه بسبب عدم احتساب الوقت المناسب له وذلك لأسباب عديدة منها وقبل كل شئ عدم التوصل إلى حقيقة ما كانت تريده قوات النظام من تقدمها بهذه الأعداد الكبيرة من قبل مجموع الأحزاب العاملة على الساحة الكوردستانية إذ لم يجر الاستعداد لاحتمال أن تكون هذه الحملة على هذا القدر من الشدة وعواقبها الكارثية على المنطقة وقدرتها على دفع الحركة المسلحة في كوردستان إلى خارج الحدود وتدمير الريف الكوردستاني بعد أن يلحق بسكانها أفدح الأضرار من قتل وتهجير ،هذا من جانب أما من الجانب الآخر كان هناك ضعف واضح في التنسيق بين الفصائل التابعة لهذه الأحزاب وكانت قوات كل حزب تتصرف دون الآخرين أو قوات الأحزاب الأخرى وهذا ما حدث عندنا على مستوى العلاقة بين المجاميع التابعة للحزبين الشيوعي والديمقراطي الكوردستاني حتى في ظل هذه الأوضاع الصعبة ، ففي الوقت الذي كان أنصارنا يتوجهون إلى القرى لشحذ همم السكان وتشجيعهم على المقاومة كنت تجد في الجانب الآخر عدم وضوح في الموقف إزاء هذه القضية وعدم وجود أية رغبة في التنسيق مع قواتنا وخصوصا في اليومين الأخيرين قبل الانسحاب

بالرغم من اللقاءات التي سبقت هذا الانسحاب والتي أختلف وتناقض التعامل الحقيقي مع ما كانت تصدرها هذه اللقاءات من قرارات تدعو إلى المقاومة كما حصل في منطقة خواكورك على سبيل المثال حيث قاوم الأنصار والبيشمه ركه في معارك تلك المنطقة لما يقارب شهرا كاملا . ولم يجر تدارك هذا الأمر إلا عندما أصبحت المنطقة فارغة تماما من السكان والقوات أي بعد ما ظهر كل شئ جليا أما الأعين ، فالجيش بعديده وعدته يتقدم والقرار هو عدم المقاومة والانسحاب أو النزوح جماعيا صوب الحدود.

أن التنسيق الجيد والعمل معا بين أحزاب الجبهة الكوردستانية على مختلف المستويات والوحدات العسكرية التابعة لها في جميع مناطق تواجدها كان من شأنهما أن يؤديا إلى نتائج أخرى غير التي نتحدث عنها والتقليل من هذه الخسائر المهولة التي أصبحت ثمنا لوحشية النظام وتصميمه على إنهاء وجود الحركة المسلحة في كوردستان من خلال أتباع سياسة الجينوسايد هذا أولا و ضعف أو انعدام التنسيق المطلوب بين أحزاب الجبهة الكوردستانية وعدم القدرة على التوصل لنوايا السلطة وفهمها التي أعدت لمثل هذه الحملة على ما يبدو منذ فترة غير قصيرة وهذا ثانيا ، ناهيك عن عدم التأني في توقيت اتخاذ قرار النزوح الجماعي وخطأ التقدير بشأنه بالرغم من أهميته إزاء هذا الجنون التي تقدمت به قوات النظام .

وبعد وصول المجموعة الثانية من مفرزتنا إلى مه رانى كان ينبغي أن يتركز الحديث حول الوجهة التالية وكيفية اللحاق برفاقنا المتوجهين صوب الحدود عن طريق قرية كافيا التي كان يوجد فيها المقر القيادي للجنة أقليم كوردستان للحزب الشيوعي ، ثم باتجاه منطقة بارزان وهي الطريق الوحيدة التي من المفترض أن تكون مفتوحة أمام انسحاب الآلاف من أبناء هذه المناطق والأنصار والبيشمه ركه ، بينما كان أحد هذين الرفيقين يحمل رسالة من اللجنة القيادية إلى الرفيق الذي ألتحق بنا من تنظيمات قضاء الشيخان في بير موس في الساعة الأخيرة من وقت انسحابنا تؤكد على ضرورة عودته إلى نفس منطقة عمله مرة أخرى ومتابعة الأوضاع برفقة حامل الرسالة ، في الواقع كان الأمر في غاية الصعوبة بسبب إغلاق كافة المنافذ التي تؤدي إلى هناك بقوات الجيش والجحوش المتقدمة ، وكيف سيتصرفان في هذه المنطقة في حال

الوصول إليها بسلام وبمعزل عن تواجد قوات الحزب أو حتى قيادته التنظيمية وفي الوقت الذي أصبح فيه عملية إيواء أنصار أو كوادر تنظيمية من قبل الشيوعيين وعوائلهم في هذه المناطق عبئا ثقيلا ومخيفا جدا ..؟ ورغم كل هذا لم يتردد الرفيقان في قبول المهمة واستعدا لاختراق هذه القوات والوصول إلى الده شت ومعايشة هذه الخطورة الأنفة الذكر ومصاعبها كما كان الأمر بالنسبة إلى مجاميع أخرى كانت تعيش هناك وتعاني الملاحقة المستمرة ومنقطعة الصلات بالحزب ، بعضها قاومت بكل جرأة ولها ألف حكاية وحكاية أرجو أن يستطيع أبطالها روايتها في ظل ظروف أفضل ، و كانت هناك مجاميع أخرى لم تفلح في مقاومة شراسة الأجهزة الهمجية القمعية للنظام .

كان علينا أن نستعد لسفر لم يستطع أحدنا التكهن بنتائجه أو في الواقع لم تكن هناك معلومات حول الأعداد الكبيرة التي توجهت إلى تلك المنطقة لغرض العبور ، وهل استطاعت العبور أم لا..؟ . وبسبب عدم معرفتنا التامة بمدى تقدم قوات الجيش والجحوش و إلى أي المناطق القريبة من مقراتنا وصلت ..! ، عموما تأكد لنا بشكل قاطع أن هذه القوات أصبحت على مقربة من مقراتنا وهي تطوقنا من جميع الجهات وكنا نتأكد من ذلك بسبب تزايد اقتراب أصوات الإنفجارات من كل جهة ولذا تقرر أن يبدأ تحركنا مساءا عبر مقر (سى ده را) للحزب الديمقراطي الكوردستاني – لجنة الشيخان وهي الطريق الوحيدة التي يجب علينا اتخاذها ، ولكن ليس عبر قرية (آطوش)*، وعادة ما يكون الظلام في مثل هذه الحالات أفضل صديق للبيشمه ركه ولذلك كان علينا أن نجتاز (سى ده را) أثناء الظلام ...

واستعدادا لهذه الجولة من الانسحاب تقرر الإبقاء على عدد من الأنصار لإعداد كمية من الخبز وخصوصا أن مخازن المقر كانت مليئة بكل أنواع الأرزاق لأن موسم تساقط الأمطار والثلوج أصبح قريبا و كان لابد من تجهيز المقر بهذه الأرزاق لشتاء كامل كالمعتاد . وهكذا ذهب بقية الأنصار إلى وادي آخر يقع في منطقة قريبة من الجهة الشمالية للمقر لأن البقاء في المقر بهذا العدد لم يعد أمينا ، وذلك انتظارا لانقضاء هذا اليوم ولحين حلول الظلام . وهناك قمنا مرة أخرى بإخفاء بعض الأسلحة الزائدة عن الحاجة وثم كان لابد لنا ننام بعض الوقت كي

نتمكن من مواصلة المسير ليلا .

المحطة السادسة

في عصر يوم 25-8- 1988 وقبل أن يحل الظلام تهيأت مجموعتنا مرة أخرى وشدت الرحال للخوض في رحلة مجهولة ووسط مخاطر مجهولة أيضا وكنا في الواقع نتوقع أن تكون هذه المخاطر كبيرة ومتأكدين من إنها جدية ولكننا لم نكن نعرف عنها شيئا سوى أن أعدادا كبيرة من قوات النظام أصبحت تحاصرنا وهي مدججة بأسلحة كيماوية لا يمكن للمقاتلين مقاومتها مهما كانت عزيمتهم ومهما كان اندفاعهم وإخلاصهم لقضيتهم . فالمرء عندما يحمل السلاح يدافع من الضمير والقناعة ودفاعا عن قضية حق يؤمن بها إيمانا مطلقا يمكنه أن يحقق مآثر و بطولات في أشرس المعارك مع العدو ، ولكنه قد لا يستطيع تحقيق ذلك عندما يستخدم عدوه أسلحة كالأسلحة الكيماوية والتي أستخدمها نظام صدام حسين في العديد من المعارك مع قوات الأنصار والبيشمه ركه وضد الشعب الكوردي في مناطق عديدة من كوردستان . ورغم ان مناضلي الحرية من الأنصار والبيشمه ركه و قوات المقاومة الشعبية كانوا يدركون أن مقاومة مثل هذه الأسلحة مستحيلة فإنهم امتنعوا عن الاستسلام لها وكانوا يشعرون أنهم بحاجة إلى أسلوب آخر من النضال للتصدي لهذه الهمجية وفي الواقع أصبح واضحا أن هذه المهمة لا يمكن لها أن تتحقق دون أن تنتقل قضية الشعب العراقي بشكل عام والشعب الكوردي بشكل خاص و بجهودهم وعلى أكتافهم وبدمائهم وتضحياتهم وتضحيات الجماهير الكوردستانية إلى العالم الخارجي لكي تجد لنضالهما العادل سندا ودعما دوليان يساهم في ذلك كل المجتمع الدولي و القوى المحبة للسلام والإنسانية والحريصين على العراق وأصدقاء شعبه كوردا وعربا. ولكن يبدو أن المجتمع الدولي هذا كان ظالما لم يتحرك ساكنا وصادقا إزاء قضيتنا ولم يتألم أو يؤنبه ضميره عندما كان يراقب معاناتنا وفجائعنا إلا عندما تعرضت مصالحه إلى التهديد والخطر.

نعم كان من الحكمة أن يتم الإعداد لهذا الأمر عبر دراسة علمية ووضع خطط عملية للبحث

عن مساندة دولية لهذه القضية العادلة التي كانت تفتقر إليها وخوض نضال لا هوادة فيه من أجل فضح نهج النظام الدكتاتوري وطبيعته العدوانية لغرض فرض عزلة دولية عليه ، لأنه أصبح واضحا إن إمكانية إسقاط هذا النظام غير متوفرة لدى المعارضة العراقية لأسباب 1- آلته العسكرية الهائلة بما في ذلك الأسلحة الكيماوية ألتي أصبح يستخدمها دون أي رادع في شتى المعارك في كوردستان بل ضد السكان الأبرياء في ريفها وقصباتها وأكبر دليل على ذلك مدينة حلبجة الشهيدة والعديد من المناطق الأخرى التي جاء ذكرها في محطات سابقة . 2- الدعم الدولي الذي كان يحصل عليه وبشكل خاص الدعم العربي فرغم استخدامه الأسلحة المحرمة دوليا فإن أية إدانة دولية لم تصدر بحقه لكي تردعه عن ارتكاب جرائم أخرى ، بل كان يحصل على المزيد من أسلحة القتل الجماعي من دول ذات شأن وتأثير دوليان ... وإلى جانب هذا كان من الضروري عدم الإفراط بقوات الأنصار والبيشمه ركه وإبقاءها على الأرض كقوة فاعلة لمواصلة دكها مواقع السلطة حينما تتوفر الفرص لذلك وإيجاد أشكال أخرى لحربها تتلائم وحجم الآلة العسكرية للنظام وإمكانياته الهائلة في الجوانب المختلفة بعد تفويت الفرصة عليه في هذه الحملة الشرسة (حملة الأنفال).

تحركنا وكما قلت عصرا آخذين بنظر الاعتبار ضرورة اختيار طريق لا تجبرنا المرور بداخل (سى ده را) بل المرور بجوارها وكان ذلك إجباريا ولم يكن بالإمكان تحقيق ذلك دون أن نسير في وديان غير مطروقة سابقا ومجهولة بالنسبة لنا ولكن كونها مناطق قريبة من المقر كنا نعرف كيف نخرج منها وهكذا واصلنا المسير إلى أن أشرفنا على (سى ده را) بعد أن حل الظلام ومن الجهة التي كنا نرغب أن نصلها أي من جهة (كاني بوتكى)* التي تقع بين سى ده را وقمة الجبل المشرفة على به رى كارة وبالذات على قرية بهى . كان علينا أن نكون حذرين جدا ونحن نسير في سفح الجبل الذي يشرف على المقر لأنه بدأ وكأنه مليء بالقوات المتقدمة بسبب الأصوات التي كانت تصل إلى أسماعنا ولكن دون أن نستطيع تمييزها علاوة على النيران المنتشرة في أماكن عديدة من المقر وكنا نخشى كثيرا ما تصدره حوافر البغل الذي كان معنا من أصوات وهو يحمل عنا الكثير من ما لا نستطيع حمله وخصوصا أن المسافة بيننا وبين المقر لم تكن بعيدة كان يمكن أن ينكشف أمرنا بسهولة لو اصطدمت حوافر البغل أو قدم أي

واحد منا بحجارة صغيرة وتدحرجت إلى الأسفل . فبحبس الأنفاس وبذل جهد كبير مع البغل أصبح مقر (سى ده را) خلفنا محاولين وعلى عجل الوصول إلى الطريق المطروقة والمعروفة بالنسبة إلينا .

تنفسنا الصعداء وسرعان ما أصبح كل شئ يسير بشكل طبيعي ونحن نواصل السير بأتجاه (زوم)* (سه فرا)* الخربة وهناك توقفنا قليلا للراحة وثم واصلنا المسير وبعد فترة قصيرة من تقدمنا لم تستغرق أكثر من 15 دقيقة سمعنا أصواتا تتقدم نحونا فأخذنا استعداداتنا تحسبا لأي طارئ ولكن سرعان ما تبين أن القادمين نحونا هم من المدنيين ومن أهالي قرية (كانيا باسكا) المذكورة ضمن المحطات السابقة عدة مرات وكان يتقدمهم الشاب هاشم وهو أبن مام نجمان الذي يسكن القرية مع أخويه مام اوصمان وميرزا ، كنت على علاقة طيبة بعائلة هاشم التي استمرت إلى أيام دهوك بعد الانتفاضة ، تحدث هاشم لنا كيف أنه مع بقية عائلته وضمن أعداد كبيرة من الناس وصلوا إلى وادي قرية كافيا التي كان يسكنها أبناء عشيرة الزيبار وتراجعوا بعد ذلك عندما وصلت أخبارا تشير إلى أن الطريق الوحيدة المتبقية أمام هذه الأعداد الكبيرة سيطرت عليها قوات الجيش في قرية كافيا وتحدث عن معارك طاحنة خاضها بيشمه ركه قاطع أربيل للحزب الشيوعي قبل هذا الوقت على معبر روي شين أنقذوا خلالها أعداد كبيرة من العوائل وكبدوا العدو خسائر فادحة.

كان قلق هاشم كبيرا وهو الرجل الوحيد من بين أفراد عائلته يقود عددا من النساء وسط وضع صعب لم يفهمه وهو يريد العودة باتجاه قريته على أمل أن يلتقي هناك مع بقية أفراد عائلته وعوائل أعمامه ، ولكننا أوضحنا له خطورة الموقف وأن (سى ده را) أصبحت الآن محتلة من قبل قوات الحكومة .

عرفنا منه أن هذه الأعداد الكبيرة من البشر أصبحت تتراجع بينها مفارز عديدة من قوات الحزب الديمقراطي الكوردستاني وقوات محلية نينوى لحزبنا الشيوعي العراقي وعوائل أنصارنا وذلك نحو جبل كارة للاحتماء به لأن القوات المتقدمة للعدو أصبحت تحاصر هذا الجبل بشكل

تام وهذا ما كنا نلاحظه أولاحظناه بأم أعيينا على الأقل على مستوى جهة (سوارة توكه) عن طريق (سوارى وسبيندارى) وجهة أتروش وثم باكرمان ودينارته وها أن أهالي القرى الذين يعدون بالآلاف وقواتنا تتراجع أمام تقدم قوات النظام وإغلاقها لكل المنافذ من جهة بارزان وديرالوك أخيرا كافيا وعرفنا كيف أن عوائل أنصارنا لم تستطع العبور عبر منفذ آشه وا بالقرب من سرسنك.

أصبحت الإطلاقات التنويرية تنطلق من كل جهة وصوب وأصوات الإنفجارات لا تتوقف ونحن لازلنا نسير على الطريق المؤدية إلى كه لي كافيا عبر قريتي (ئه ركنى وسيانى)* ونحسب في أي نقطة سنلتقي بجموع الناس وقواتنا . إلى أن وصلنا إلى (سيانى) فجرا حين بدأت مجاميع المتراجعين تظهر لنا وهي تتوجه صعودا نحو كارة وبدأت قوات النظام المرابطة على قمم جبل في الجهة المقابلة واضحة لنا بالعين المجردة .

- (عبد مام أحمد) من أكبر أبناء مام أحمد سوارى كان له ضمن مفارز أنصارنا ثلاث أشقاء خرين بينهم جمال وهو على قيد الحياة و استشهد منهم اثنان (جاسم على يد الغادرين بين سوارى و آفوكى) و(هلال في عملية غادرة قامت بها الطائرات السمتية على أحدى مفارزنا بالقرب من بير موس اثر معلومات إستخبارية حصلت عليها السلطة من أحد عملاءها في المنطقة راح ضحيتها 9 شهداء من الأنصار الأبطال وعدد كبير من الجرحى) .*

- (آطوش) من القرى التي قدمت الكثير للحركة كانت تتكون من عدة بيوت نصفها مسيحيون والنصف الآخر مسلمون كانوا يعيشون بوئام وسلام وحلت عليهم العديد من عوائل أنصارنا من الأيزيدية وجميعهم عاشوا في ظل علاقات طيبة جدا وتولدت بينهم علاقات (الكرافة) التي زادت من أواصر الصداقة بينهم أكثر ، حتى لقب بعض أنصارنا بفلان الآطوشي . وتقع هذه القرية على الطريق بين مه رانى و سى ده را .*

*- (كاني بوتكى)*عين ماء تقع في منطقة عالية من جبل كارة من جهة سى ده را أي بينها وبين قرية بهى وفي ما يشبه على شكل حوض مقوس وعلى جانب منه في الجهة الجنوبية*

كانت المياه التي تتدفق منها لا تزيد عن ما تدفعها أية حنفية منزلية ولكنها كانت مياه عذبة تتميز بشدة بردوتها ، في الصيف كان الرعاة يقضون عدة شهور عليها مع قطعانهم وخلال فترة الحصار أصبحت هذه العين المصدر الوحيد ترتوي منها هذه الآلاف من البشر المحاصرين .

- (زوم) مراعي صيفية في الجبال يتوفر مستلزمات تربية الماشية . يذهب إليها الرعاة مع قسم من عوائلهم ، ولذا تجد لكل منطقة مراعيها الخاصة .*

- (سه فرا) كانت في السابق قرية وتحولت فيما بعد إلى أحدى هذه المراعي ومن ثم سكنتها بعض عوائل البيشمه ركه التابعة للحزب الديمقراطي الكوردستاني .*

*- (ئه ركنى وسيانى)*قريتان تقعان في نهايات كارة من جهة الجنوب الشرقي التي ترتبط بمنطقة الزيبار وتعتبر من المناطق الجميلة جدا وتسكنها عوائل زيبارية*

المحطة السابعة

ها نحن نلتقي مرة أخرى بأهالي قرى منطقة عملنا بعد أيام ثقيلة أهلكتنا كثيرا من غير أن نقاتل .. وكيف نقاتل ومن حولنا جيش عرمرم ومدجج بأسلحة غير تقليدية تقتل الإنسان لمجرد الاستنشاق العادي إنها تهب مع الريح ،إنها رياح صفراء عاتية ، إنها غازات سامة ، إنها الخردل والسيانيد...؟!

جيش لم يبارح المعركة مع إيران إلا منذ أيام قليلة . لازالت رائحة البارود تلف حوله وتفوح منه بقوة وتهيجه لمواصلة المزيد من القتل في كوردسان ولكن هذه المرة قتل كل شئ وبهمجية لم يسبق لها مثيل .. كيف نقاتل والقرار هو الانسحاب ..؟ وبالنسبة لنا كان هذا القرار في الواقع مفاجأة غير محسوبة لأنه لم يكن قرارنا نحن بالرغم من إنه كان ضروريا لتفويت الفرصة على هذه القوات المتقدمة وإنما فرض علينا وأصبح أمرا واقعا بسبب بدء النزوح الجماعي لسكان المنطقة والتي أصبحت على حين غرة خالية تماما من غير أن ندري . وهنا لابد من التأكيد أن مفاجأة القرار كانت تكمن في وقت اتخاذه والذي جاء متأخرا وقتما أحكمت قوات النظام سيطرتها على أغلبية المنافذ الحدودية ووقتما كانت هناك توجيهات تدعو إلى المقاومة.. ودون أن تكون هناك دراسة للإمكانيات القادمة أو استعدادات معينة حول تغيير وجهة العمل البارتيزاني أو الانسحاب المؤقت مثلا وضرورة معالجة وضع العوائل بشكل يحافظ على حياتها ويساهم في تحرير أعداد ا من الأنصار

أصحاب العوائل لمواصلة الكفاح ، أو نقل القضية إلى الخارج لكسب دعم دولي .. وغيرها من الإجراءات التي كان من شأنها أن تساهم في التخفيف من وطأة هذه الحملة العنيفة وخسائرها . فكانت حربنا قد أصبحت حرب مواجهة خرجت من نطاق كونها حرب بارتيزانية حيث كانت تشارك أعداد كبيرة من القوات في معارك جبهوية كانت تستمر لعدة أيام وعلى أراضي واسعة عندما كانت القوات العسكرية للنظام منشغلة في الحرب مع إيران و تحولت إلى حرب شبه شعبية شاركت فيها الجماهير عبر تشكيلات المقاومة الشعبية ، ولكنها كانت تنقصها المزيد من المستلزمات وقبل كل شئ عدم التوصل إلى حقيقة نوايا السلطة بعد أن تتوقف الحرب ، ولذلك لم يجر إتخاذ أي إجراء ضد هذه النوايا .

التقينا الناس وهم في حالة شديدة من الانكسار أمرهم شبيه بأمر جيش مهزوم من المعركة وهو يتقهقر أمام اندفاع عدو شرس باغتهم وفاجأهم بعديده وعدته ولكنه يفضل الموت على الاستسلام ، التقينا هم بعد أن كانوا يعتقدون بأنهم سيصلون بسهولة إلى الحدود التركية وبذلك يتخلصون من قبضة عساكر النظام و إجراءات أجهزته القمعية ولكن شاء القدر أن يرغم هذا العدد الكبير والبقاء معلقين في قمم كارة لكي تكون شاهدا على معانات إنسانية قل مثيلها . فلم يكن هناك ما هو طبيعي في هذه البقعة من كارة الذي قاوم المعتدين في أحلك الظروف . شعرنا إنه (كارة) يستعد هذه المرة لمعركة أخرى تختلف عن المعارك السابقة والتقليدية لا خيار فيها للمقاتلين غير خيار هذه القوات المتقدمة وهو الإجهاز على التواجد البشري في ريف كوردستان .

منذ ليلة أمس أصبحت هذه آلاف تتدفق من كل مكان وواد باتجاهه يتسلقون قممه الشاهقة ليخوضوا معركتهم مع الجوع والعطش والبرد وهم في حصار يفرضه ذلك الجيش متربصا لهم بالقتل كيماويا حينما يأتمر بأمر أحد قادتهم . كنت تجد في سياني وهي منفذ صعودنا باتجاه القمة كل شئ يدمى له القلب ، امرأة لها من الأطفال عدد لا أتذكره كانت تصيح فيهم باكية للحاق بها نحو قمة الجبل الذي لم يبلغوه قبلا غير بضعة خطوات صعودا عندما كانوا يلعبون في طرف قريتهم ما قبل زمن القصف والقتل بالكيماوي وقبل أن يسمعوا باسم سيد هذه الأسلحة القاتل المتوحش علي كيماوي ، امرأة أخرى تركت التنور مشتعلا دون أن تستطيع صنع رغيف واحد يساعدها وعائلتها على مقاومة الجوع القادم ، شيخ ينادي (فه رمانه ..هاوار.. فه رمانه)* (داي وه له د هافيت) * ولم يكن يعني هذا الشيخ إلا الحقيقة بعينها عندما تركت امرأة أخرى مولود ها في (كه لي كافيا) وهو في ساعاته الأولى . من يحكم هذا العالم يا ترى .. ولماذا لا يتحرك ضميره ويرفض هذا الظلم ..؟ تمتم أحد الأنصار بذلك وهو يراقب المشاهد بهدوء ويغسل جورا به بعد ليلة متعبة من السير بماء يتدفق من نبع صافي يقع في أعلى كه لى سياني وينحدر نزولا يلف القرية إلى نصفها ثم يتجه نحو باب الوادي حيث بساتين القرية التي تسقى منه لتشكل مصدر معيشة سكان القرية الأساس .. صاح رفيقنا المسئول العسكري استعدوا أيها الرفاق للصعود دون تأخير ، حملنا معنا ذلك العجين الذي تركته امرأة من هذه القرية وسرنا في الإتجاه الذي يسير فيه بقية الناس كان صعودا حادا يثقل من تعبنا كثيرا ولكن المشاهد المأساوية والكثيرة حولنا حالت دون نشعر إلا بها ، صرنا نساعد الأطفال على الصعود و نحملهم على ظهورنا المحملة بالعتاد والسلاح الشخصيان وكمية من الأغذية وما إلى ذلك ، كانت هذه المرأة والدة عدد من الأطفال تحمل فوق ظهرها ثقلا يعيقها من الحركة وكانت أبنتها ذات السنوات الستة تحمل شقيقها الرضيع على ظهرها و خلفها أطفال آخرون و بقية أخواتها وإخوانها كلهم كانوا بعمر الورود وكان مشهدهم يثير الكثير من الألم وخصوصا عندما كانت تلك الطفلة الصغيرة بين كل عدة خطوات تتدحرج نحو الأسفل مع ذلك الرضيع مما اضطررت رغم كل مإ كنت أحمله أن أحمل الرضيع على ظهري أيضا وعندما بلغت القمة جلست على طرف من الطريق منتظرا وصول والدة الطفل وجدت شابا يحمل الكثير من القلق يبحث هنا وهناك وينتظر قوافل الناس الصاعدة إلى قمة الجبل ولما وقعت عيناه علينا أنا والطفل أقترب

وتفحص الطفل فسرعان ما قال أن هذا الطفل لي وأنا أبحث عنه فقلت له أن بقية عائلته ستصل بعد قليل .

بعد خطوات من وصولنا إلى القمة التقينا بالعديد من المعارف من أهالي هذه القرى وكان أولهم محمد رشيد سواري وهو أحد أقرباء رفيقنا أبو فيلمير سألته عن رفاقنا فأشار إلى مكان تواجدهم ، ومن هنا كنت تجد تدفق الناس إلى هذا المكان على شكل مجموعات متعددة تظهر من كل اتجاه متجمعة في هذا المكان الذي يمكنه أن يستوعب الكثير من البشر مع كل همومهم . مجموعة هنا وصلت للتو سرعان ما التصق اجساد أفرادها بالأرض بسبب التعب والإرهاق الشديدين والخوف وأخرى تغرق في نوم عميق وثالثة تحاول أن ترتب مكانا لها وقطيع غنم يسرح بين هذه المجاميع لا يعرف أحدا لمن يعود ، ولا أحدا يأبه بعائديته له وما أكثر هذه القطعان التي تحولت لحساب رؤساء ومستشاري الأفواج الخفيفة عندما تركها أهلها في مراعيها ضمن قراهم .. وهكذا كان العشرات من المحاصرين يسألون عن آباءهم وأمهاتهم وأطفالهم وأقرباءهم وأهالي قراهم الذين تاهوا بعضهم بعضا ، صرخات الأطفال ترتفع خوفا فإنهم لم يدركوا تماما ما الذي يجري وما تخبئه لهم الأيام القادمة وهم في يومهم الأول ويحصلون على الخبز بطريقة مقننة فكيف ستكون الأيام التالية ، بكاء النساء يتصاعد وهن يشعرن قبل غيرهن بحجم كارثة كل واحدة منهن حتى وإن لم تكن تفكر بأنها نفسها ستكون الضحية مثلها مثل الرجل المسلح والمقاوم . لا فرق في هذه المعركة الغير متكافئة بين رجل تحدى الجيوش ببندقيته البرنو وخلف صخرة في أحد جبال كوردستان وبين امرأة لم تخلف بعد مقاتلا من وطن هذه الجبال أو فتاة تتأمل الاقتران بمقاتل أو طفل لم يحارب أو لم يتعلم الحرب بعد أو شيخ عجزته كهولته عن الحرب والمقاومة ... مناداة الرجال لمفقود يهم تعلو وتملأ الوديان القريبة من هذه المنطقة حقا إنه(فه رمان) لا يعرف أحدا كم من الدماء ستكون ثمنا لهذه الجريمة الوحشية .

كان هؤلاء الناس في المعارك السابقة أقوياء يشاركون بشجاعة في التصدي لغالبية هجمات قوات الجيش العراقي والمرتزقة ، بل يشاركون في توجيه ضربات موجعة لمواقع هذه القوات وكان التصدي المشترك للكثير من هذه الهجمات يتحول بالنسبة إلى الشبيبة الريفية إلى مناسبات لإظهار قدراتهم القتالية وفرص جيدة لتوثيق العلاقة بين أطراف عشائرية متنافرة وإزالة أسبابها ولكن اليوم ليست بيدهم حيلة.. فالعوائل تعيقهم والأسلحة الكيماوية تتهددهم . وأسباب تواجدهم هنا في هذا الحصار تستعصي على الفهم للكثير منهم ربما كان كل فرد منهم يفضل الموت بعد قتال في أطراف قريته أو أن يجري اقتياده من قبل هذه القوات المتقدمة من أطراف قريته بعد أن يستسلم لها عندما تنتهي كل وسائل المقاومة ولا يهم كيف سيكون مصيرهم فقدرهم كان دائما أن يدفعوا الضريبة جراء رفض ظلم الحكومات الشوفينية حتى ولو كانت هذه الضريبة حياتهم ، إذ كانوا مستعدين لها كما فعل الآخرون من قبلهم وضمن هذه الحملة نفسها التي بلغت ضحاياها البشرية وفق الوثائق الرسمية 182 ألف كوردي و4500 قرية مع كل ثرواتها الطبيعية والحيوانية .

وعندما تجد الإصرار لدى الناس حتى في حالات ضعفهم الشديدة والاستعداد للتضحية.. نعم الاستعداد للموت وهم يدركون تماما أن عدوهم لا يأبه بضعفهم فيحسبون أن قدرهم هو هكذا وأن هذا الضعف ليس إلا استعدادا للموت من اجل قضيتهم وليس استسلاما أو تسليم راية.. فهنا يطرح السؤال نفسه لماذا تم زجهم في هكذا موقف ضعيف وهذا الشكل من التضحية أو الموت ..؟ ألم تكن مقاومة هذه القوات المتقدمة في أول قرية تقع على طريق تقدمها خيارا أفضل من أن يدفن هذا العدد المذكور أعلاه في الرمال وفي مقابر جماعية انتشرت في كل مكان من العراق بعد أن واجهوا المزيد من إهانة كرامتهم الإنسانية ..؟!! ولحد الآن لم يتم العثور على مقابر الآلاف منهم ولا يستطيع ذويهم زيارة مقابرهم ووضع أكليل ورد عليها في المناسبات .. أم كان لابد من بروفة ثمنها هذا العدد من الضحايا لنقل القضية إلى الساحة الدولية بعد أن استنفذت كل

الوسائل الأخرى من أجل تحقيق ذلك ..!! وكان للسياسة حساباتها الخاصة ...!!!!

المحطة الثامنة

أنصار يتحدثون عن العوائل وقرار الانسحاب

تقدمنا وسط هذه الأعداد الهائلة من البشر والذين ينتشرون بين صخور جبل كارة و قطوعه وأشجاره نحو موقع تواجد رفاقنا والعويل لا يتوقف وأصوات الإنفجارات و اطلاقات البنادق لا تتوقف هي الأخرى ، فأصوات الإنفجارات كانت إشارة على أن هذه القوات دمرت قرية خلفتها وراءها بمواد متفجرة وأصوات اطلاقات الأسلحة الخفيفة كانت إشارة دخول واحتلال طلائع هذه القوات لقرية جديدة وعادة ما كانت هذه الطلائع من وحدات الجحوش المرتزقة وهم يزفون بشرى جريمتهم أللأخلاقية لبقية قواتهم الزاحفة وراءهم نحو هدفهم النهائي وهو إحكام الحصار التام حول كارة وذلك بسبب معرفتهم بوجود هذا العدد الهائل من سكان هذه القرى مع البيشمه ركه والأنصار في حلقة حصارهم في هذا الجبل ، وأشارت التوقعات إلى أن عدد المحاصرين كان يزيد على ألـ (15) ألف إنسان اعتمادا على احتساب عدد القرى التي كان ينتمي إليها المحاصرون وعدد نفوس سكانها التقريبي وغالبية هذه القرى كانت قرى مناطق عملنا ولذلك كنا نلتقي بأعداد كبيرة من المعارف من مواطنيها بين كل دقيقة وأخرى وأثناءها يتولد عند المرء شعور غريب وهو يقف أمام هؤلاء الناس لا حول ولا قوة له ، ويردد في داخله ما ذنب هؤلاء الأبرياء وهم يتعرضون إلى كل هذه المصائب وقد تكون المصيبة الحالية أكبر كارثة في تاريخهم..؟ لم نكن نستطيع أن نفعل شيئا من أجل هؤلاء كلنا كنا نتعرض لنفس المستوى من المخاطر على الأقل في بادئ الأمر حتى وإن تغيرت المسألة بعد ذلك .

في الطريق إلى حيث رفاقنا وعوائل أنصارنا رأينا عشرات المواقف المحزنة ولكن التفكير بما سيحصل لهؤلاء الناس بشكل جماعي وهم في هذا الحصار سيطر على أي شئ آخر.. فهل يستطيع المرء أن يتخيل من أين سيحصل هؤلاء البشر على طعامهم وشرابهم وهم معلقين في قمم هذا الجبل ووديانه ..؟ هل ستستمر هذه القصة أم ستكون لها نهاية ..؟ وكم

ستستمرحتى تبلغ نهايتها في ظل الجوع والبرد والخوف والأمراض ..؟ وكيف ستكون هذه النهاية وسط هذه الكم الهائل من القوات المهاجمة والمسلحة بأخطر أنواع الأسلحة ...؟ لا يمكن للمرء أن يتخيل غير نهاية محزنة ومأساوية لهذه الآلاف من البشر . فلم يكن بامكانه أن يتخيل غير ذلك وضربة مقر أنصار حزبنا في زى شين وأحداث حلبجة والضربات الكيماوية في المناطق الأخرى لازالت طرية في الأذهان وكان عدد ضحايا مدينة حلبجة لوحدها قريبا إلى عدد المحاصرين في هذا الجبل ،أي 5000آلاف شهيد و7000 آلاف جريح ..؟ فهل ستخجل السلطة لو أقدمت على مثل الجريمة مرة أخرى وقتلت هذه الآلاف المحاصرة ..؟ ومن سيردعها عن ذلك إذا أرادت ..؟ فكل المجتمع الدولي أصبح إلى جانبها وتمتنع الاعتراف بحقيقة كون النظام أستخدم هذه الأسلحة ..! ولم يكن لنا أصدقاء في هذه المحنة ، نعم إنه استخدم الأسلحة الكيماوية ..أستخدم غازات سامة لم نكن نتداول أسماءها من قبل كغاز الخردل أو السيانيد أو الماء الأصفر وما إلى ذلك ، وما بالك وإنها أصبحت تستخدم على نطاق واسع ضد سكان كوردستان كأسلحة فتاكة وأن هذه الآلاف ستموت لا محالة بواسطتها وبطريقة بشعة ...!! اعتقد أن كل واحدا منا دارت في مخيلته مثل هذه الأسئلة والكثير غيرها ونحن نلتقي الناس والمعارف وكان الحزن المرسوم على وجوههم يؤكد بشكل لا يقبل التأويل على بشاعة ما كان ينتظرهم جراء كل هذا .

وكما كنت تجد المحاصرين من سكان هذه القرى يحملون هموما لا تستطيع كل الدنيا تحملها ،هكذا وجدنا أنصارنا وعوائلنا أيضا يحملون حصتهم من هذه الهموم والحيرة في نفس الوقت بعد أن ألتقيناهم في مواقع متفرقة ضمن هذا المكان تحسبا لأي طارئ . فرغم شدة بأسهم قبل هذا الوقت كنت تجدهم في حيرة لا يحسد عليها ... أصبحت كل الطرق مغلقة بوجوهنا وها هي العوائل تعيقنا ... لا نستطيع أن نقدم لهم شيئا بعد الآن ... ولا نستطيع أن نجد حلا لهم في ظل هذا الحصار ... ونحن الآن هنا تأخر كل شئ ...علينا ان نقبل بمصيرنا المحتوم ... فلان يتحمل مسؤولية تأخير العوائل ... هذه عوائلنا سنموت من أجلها وندافع عنها من أجل خلاصهم ... نحن لو كنا لوحدنا لاستطعنا أن نجد لنا طريقا تنقذنا ... ولكن المشكلة هي مشكلة العوائل ... لماذا تأخرتم في عملية ترحيلنا....؟ كان هناك متسع من الوقت أن نصل

إلى الحدود قبل نقع في هذا الفخ ولكن الرفاق أهملوا ذلك ... صحيح كان هناك الوقت الكافي لنقل العوائل إلى الجهة الثانية ولكن كان من شأن ذلك إثارة بلبلة بين الناس في المنطقة وهذا ما لم نكن نرغب به ...كان من الضروري اتخاذ الإجراءات اللازمة بصدد إبعاد العوائل إلى مناطق آمنة بسبب شراسة النظام ودمويته التي لم تفرق بين طفل ومقاتل..هكذا تكلم الجميع بين مستاء وبين من يقول أن الأحداث كانت سريعة لم تترك لنا فرصة جيدة للتفكير واتخاذ ما يلزم لتجنب مثل هذا الوضع وعموما كانت المواقف غير واضحة وأصبحنا في وضع صعب .

ولأجل التوصل إلى حقيقة الوضع ارتأيت ضرورة تدوين إجابات بعض الرفاق الأنصار عن تلك الأحداث كي تصبح الصورة أكثر وضوحا وهم يجيبون على سؤالين مترابطين في الواقع وهما – لماذا تأخر اتخاذ قرار بنقل العوائل إلى مناطق آمنة علما كان بإمكان الرفاق اتخاذه بهذا الشأن حسبما عرفت هل هذا صحيح ..؟ – ما هو تصوركم حول مجمل الوضع لماذا تأخر الانسحاب إذا كان لابد منه دون مقاومة ..؟ فكان من شأن الإسراع به تجنب كل تلك الخسائر والمصاعب ..!

أبو سربست (صبحي خضر حجو) كان حينها عضوا في اللجنة القيادية الجديدة للمحلية ، فقد خمسة من أفراد عائلته ضمن هذه الحملة فتحدث قائلا وهو يجيب على السؤالين أعلاه .

لا يمكن الإجابة على هذا السؤال بإجابة واحدة ، إذ كانت هنالك عدة أسباب ضمن تلك الظروف التي كان فيها الوضع متشابكا وضبابيا إلى حد كبير وكان مفتوحا على جميع الاحتمالات ، ولكن في كل الأحوال كانت الآفاق قاتمة والآمال تنعدم تدريجيا أمام الأنصار وأهالي المنطقة . أما الأسباب فكانت برأيّ كالتالي :

1 . لم يصلنا (منطقة بهدينان) توجيه قيادة الحزب الصادر (حسب ما عرف فيما بعد) في شهر شباط 1988 . والذي طلب إبعاد العوائل إلى المناطق الآمنة . وإذا كان قد وصل فإننا

لم نبلغ به من قبل المسئول الأول آنذاك أبو سالار (لبيد عباوي) ، أو من قبل قاطع بهدينان نفسه ، بدلالة إن الفوج الثالث أيضا لم يتخذ التدابير الاحتياطية لرفاقه و عوائلهم إلا قبل إحكام سيطرة الجيش والجحوش على مناطقهم بيوم أو اقل من ذلك ، ورغم أنهم كانوا قريبين جدا من الحدود ولكن بصعوبة بالغة تمكن الأنصار وعوائهم مع مجاميع من الأهالي من عبور الشارع الرئيسي بين (مجمع باطوفا) و(كاني ماسي)، بحيث تم حصر المئات من الأهالي في (كلي بازي) وجرى الحديث عن حصول مجزرة لهم على يد القوات العراقية .

2 . تأخرت اجتماعات القيادة في منطقة خواكورك ، وانتظرنا التغييرات المرتقبة ، وتأخر وصول الرفاق (ممثلي القاطع والأفواج) الذين كانوا مشاركين فيها حتى نهاية تموز أو بداية آب من نفس العام . وبعد وصول ابو سالار وعقد الاجتماعات للنظر في تطبيق القرارات المتخذة ، دعي إلى اجتماع بحضور الأنصار أصحاب العوائل ودعي فيه إلى إبعاد العوائل من المقر وأطرافه إلى مناطق أخرى على الأقل بضعة كيلو مترات . ولم يقتنع في حينها أي من أصحاب العوائل بما فيهم نحن أيضا . إذ عبرّ الجميع عن قناعتهم بعدم جدوى هذا الحل ، وإذا ما حصل الهجوم فانه سيشمل المنطقة برمتها ، ولن يقتصر على المقر فحسب . ولكن سقط بيد الأنصار بسبب عدم وجود البديل الجاهز من الحلول الأخرى على المستوى الجماعي على الأقل .

3 . بذلنا أنا والرفيق حسين حجو كنجي (ابو عمشة) محاولات ومن وقت مبكر مع أبو سالار المسئول الأول للمحلية ، و اقترحنا عليه إرسال العوائل إلى سوريا عبر طريق الخط السري للحزب (التنظيم الداخلي) . وضغطنا عليه كثيرا ، وتعذر بان عليه أن يستشير الرفيق المعني بالطريق السري ويسأله عن مدى توفر الإمكانية لنجاح هذه العملية ، فان أجاب ذلك الرفيق بالإيجاب ستتم الموافقة وإذا كان الجواب سلبيا ، لن نستطيع الإقدام على مثل هذه "المغامرة" .

وبعد فترة وجيزة اخبرنا أبو سالار: بان جواب الرفيق المعني كان سلبيا وانه لا توجد إمكانية

لمثل هكذا عمل !

وفيما بعد ، وبعد الانسحاب إلى سوريا ، سألنا ذلك الرفيق المعني والمسئول عن ذلك الخط الحزبي السري ، سألناه حول الموضوع ، وأجابنا : نعم ، سألني أبو سالار وكان جوابي له ، انه توجد إمكانية جيدة لنقل العوائل كلها في حالة موافقة الحزب !! وقد شكّل جوابه لنا صدمة كبيرة جداً !! إذ كيف يمكن لأبو سالار أن لا يكون صادقا معنا لهذه الدرجة ويخون الأمانة الحزبية ، ويخدع من منحوه الثقة الحزبية ، وكانوا معه في خنادق الموت وحموه طيلة تلك السنوات !! ، ويكون بذلك أبو سالار قد تحمل مسؤولية أخلاقية مباشرة لفقدان تلك العوائل...

4 . يظهر إن جميع الأحزاب وقواتها البيشمه ركه لم تضع التصور الصحيح أو التوقعات الصائبة لنوايا النظام وطبيعة عملياته القادمة ! فقد اعتمدت أسوء تلك التوقعات على إن النظام ربما سيشن هجوما اكبر من ذلك الذي كان قد شنه قبل اشهر من ذلك الوقت في (5 كانون الثاني من 1988) . حيث تم التصدي لذلك الهجوم بضعة أيام ، ونقلت العوائل أثناءها إلى مناطق خلفية أكثر أمانا (كلي كافيا) . وبعد انسحاب القوات الحكومية عاد الأنصار و العوائل وأهالي القرى إلى أماكن سكناهم السابقة أو في القرى والأماكن البديلة في الوديان وسفوح الجبال . ولم تتوصل توقعاتنا (جميع الأحزاب) إلى احتمال أن يشن النظام هجوما كاسحا كالذي حدث مستخدما فيه الأسلحة الكيماوية أو الأسلحة المحرمة دولياً !! . بدلالة إن آخر لقاء بين القادة العسكريين للأحزاب المتواجدة في المنطقة من أحزاب الجبهة الكوردستانية قبل اقل من أسبوعين فقط من الهجوم ، كان قد تم فيه الاتفاق على تشكيل المفارز المشتركة وطرق وأساليب ووسائل التصدي للهجمات المحتملة والمتوقعة !.

5 . كما أن قيادة لجنة محلية الشيخان للحزب الديمقراطي الكوردستاني (الحليف في الجبهة الكوردستانية) أنذلك ، لعبت معنا لعبة .. لا نعرف ماذا نسميها ؟! ولكن في كل الأحوال كان تصرفا سلبيا وغريبا عن الروح النضالية المشتركة والعلاقات المعمدة بالدم في سوح النضال

.. إذ اخفوا عنا القرار الصادر عن السيد مسعود البارزاني والقاضي بالانسحاب الشامل للبيشمه ركة والأهالي إلى مناطق آمنة خارج الحدود . وتمثلت الغرابة ، بأننا بعد أن لاحظنا في أيام 24. 25 ، و26 آب تصرفات أهالي القرى وارتباكهم ومحاولات الرحيل الجماعي ، أرسلنا وفداً بقيادة المرحوم أبو فارس ثلاث مرات في يوم واحد إلى مقرهم في (سي ده را) نسألهم فيها عن التطورات الجديدة وفيما إذا كانت هنالك أية أخبار استثنائية من القيادة ونذكرّهم بحال الأهالي وترحالهم ، فكانت إجاباتهم بأنهم لا يعرفون شيئا وليس هنالك من جديد ! وتكرر الأمر لليوم الثاني وكانت إجاباتهم هي نفسها !. وهم بذلك فوتوا علينا فرصة يومين ، كان بالإمكان خلالها إن نعبر النهر باتجاه الحدود الإيرانية والتركية ، بدليل إننا بعد أن رحلنا فيما بعد ، بقيت لنا مسيرة يوم واحد وكنا نعبر ذلك النهر ونصبح خارج سيطرة القوات المهاجمة . ولكننا حوصرنا ولم نستطع مواصلة المسير.

وقد كان وقع هذا التصرف على الأنصار و عوائلهم شديداً وبالغ القسوة والتأثير . وقد طرحته على شكل تأنيب قاسي على المرحوم (علي حسن خنسي) الذي كان هو المسئول الأول في محلية الشيخان آنذاك ، عندما التقيته في دمشق بعد الأحداث بعام . وعبّر عن أسفه ولم يستطع أن يعطي تفسيراً مقبولا لذلك التصرف .

6 . الأمانة والموضوعية تقتضي عند رواية هذه الأحداث ، أن يكون المرء صريحا مع نفسه والآخرين ، فقد كانت لما تسمى قضية الالتزام الحزبي الصارم والالتزام بالأصول وعدم تخطي المراجع و... الخ من القواعد والتعليمات الحزبية التي تربينا عليها نحن الكوادر ولأكثر من ثلاثة عقود ، الذين كنا نعيش فصول هذه القضية المأساة (أنا والرفاق: أبو عمشة وتوفيق وابو داؤود وآخرين) إضافة إلى إنها كانت تشكل لنا مسألة أخلاقية وجزء من تقاليدنا الاجتماعية الشخصية ، وان كانت هذه القضية (صدق الالتزام) في العمل الحزبي وفي مختلف المراحل لها إيجابياتها ، ولكنها في الحالة التي نحن بصددها كانت لها نتائج سلبية كبيرة علينا وعلى عوائلنا ، ولو لم يكن التزامنا بهذه الدرجة ربما اكرر ربما كانت النتائج ستكون بشكل آخر! . فمثلاً ، كان بامكاننا تجاوز هذه العادة في تلك الظروف ونسأل الرفيق

المختص بالطريق الحزبي السري إلى (سوريا) ، إذ كنا نعرفه ونحتفظ معه بعلاقات متميزة ، وتوفرت الفرصة لذلك ، وكنا بذلك نكشف خداع ذلك المسئول ، وربما كنا نتخذ قراراً في صالح تسفير تلك العوائل .. وان ليس بالإمكان إعطاء ضمانات أكيدة حول نجاح الخطة من عدمها في تلك الظروف الصعبة. ومثال آخر.. في تلك الظروف كانت بالتأكيد تتوفر إمكانيات عديدة ومتنوعة للبعض إذا لم اقل كل هؤلاء الكوادر المذكورة آنفاً، لو استخدموها بشكل فردي لأمكنهم إنقاذ عوائلهم ! ، ولكنهم انطلاقاً من تلك الروح الحزبية والمثل والأخلاق الاجتماعية التي تربوا عليها وتشربت بها نفوسهم ، منعتهم من التفكير كل بذاته أو بعائلته فقط ، وارتضوا أن يكون مصير الجميع واحداً ، مع العلم إن كل نصير ترك له الخيار بين تسليم العائلة ولكن بعد العفو أو التصرف بغير ذلك وعلى مسؤوليته الشخصية ..

وفي كل الأحوال لابد من تبيان حقائق أخرى أيضا :

الأولى : إننا طيلة فترة الحصار أرسلنا المفارز الكثيرة في مختلف الاتجاهات من اجل الكشف عن أي طريق أو منفذ يمكن أن نسلكه للوصول للحدود الإيرانية أو التركية ولكن تلك المحاولات باءت بالفشل . إذ فقدنا اثر بعض المفارز ، وبعض أفراد مفارز أخرى فقدوا اثر بعضهم البعض بعد تعرضهم إلى كمائن القوات الحكومية واستشهد على أثرها البعض منهم .

الثانية : إننا كنا محاصرين ومعنا آلاف العوائل في (جبل كارا) كما أشار الأخ ناظم ختاري ، وكان الحصار محكماً وفي العديد من الأحوال كنا نغامر ونذهب إلى الينابيع وعيون المياه من اجل ملأ ما يتيسر لنا من الأواني للعوائل والأطفال بشكل خاص ، إذ كانت القوات الحكومية هي التي تسيطر على تلك الينابيع ، وكانت تلك القوات تعلم جيدا بوجود ذلك الكم الهائل من البيشمه ركة و العوائل ، ولهذا أيضا كنا نتوقع في كل لحظة أن يصار إلى شن الهجوم الكاسح علينا أو قصفنا بالمدافع والراجمات أو قصفنا بالطائرات الحربية والسمتية إذ كانت دائمة التحليق فوقنا .

الثالثة : كان الاعتقاد سائداً آنذاك وبشكل خاص بعد العفو (6/ ايلول) ، بأن أقصى ما يمكن أن يتخذه النظام من إجراءات ضد العوائل التي تسلم نفسها بعد العفو ، هو انه سيعمد إلى إسكانها في مجمعات في وسط وجنوب العراق ، أو ربما في كوردستان أيضا ولكن كاحتمال ضعيف .. وهذا ما جرى فعلاً ، باستثناء عوائلنا وعوائل أخرى من قرى المنطقة ، ولكن الأغلبية الساحقة أسكنت في مجمعات قسرية في كوردستان . وفي الانتفاضة عادت كل تلك العوائل إلى المدن أولا ومن ثم قراها وأماكن سكنها السابقة بعد أعمارها طبعاً .

توفيق (خيري درمان) الذي فقد عائلته هو الآخر والمتكونة من 6 أفراد إضافة إلى أكثر من 25 فردا من أقاربه ضمن هذه الحملة و كان حينذاك في موقع المسئول العسكري الأول ضمن التشكيلة الجديدة بعد دمج الأنصار والتنظيم المحلي وأجاب عن هذين السؤالين قائلا في الحقيقية جاء التفكير بضرورة معالجة وضع العوائل بعد هجوم السلطة على مناطقنا في 5-1-1987 على محورين الأول محور كانيكا والثاني محور سواری وسبيندارة ، استطاعت خلالها قوات النظام عبر محور كانيكا احتلال مقراتنا وحرقها إضافة إلى حرق بعض البيوت لعائدة لأفراد قوات الأنصار والبيشمه ركه في القرى التي كانوا يسكنون فيها بعد أن اضطرت هذه العوائل الانسحاب معنا في هذا الشتاء القاسي إلى منطقة كافيا حيث كان يوجد فيها مقر قاطع أربيل لأنصارنا ، علما هذه المرة لم تتعرض هذه القوات لسكان المنطقة وقراهم ، عندها شعرنا بمدى تأثير وجود العوائل في مناطق قد تصبح مناطق قتال دائمة على نشاط الأنصار فكان لابد لنا البحث عن حل بالاتفاق مع قيادة الحزب وخصوصا إنها أصبحت تتعرض إلى مخاطر جدية وأن سكان القرى التي تسكنها هذه العوائل أصبحوا يشعرون بعواقب تتهددهم في حالة استمرار بقاءها ضمن قراهم ولكننا تأخرنا في إيجاد حل والبحث بشأن ذلك ولم تطرح المسألة على قيادة الحزب بشكل مباشر إلا عند سفري إلى إيران لغرض العلاج في الشهر الرابع من عام 1988 ، حينها كلفت من قبل قيادة الفوج لمفاتحة قيادة الحزب حول هذه المسألة وضرورة إيجاد حل لها وفعلا حصل هذا اللقاء مع كل من الرفيقين أبو سعود (عزيز محمد) كان وقتها سكرتير اللجنة المركزية للحزب والرفيق أبو عامل كان عضوا في المكتب السياسي للحزب ومسئول المكتب العسكري المركزي لقوات أنصارنا و تبين أن الرفيقين كانا

يتفهمان القضية وتركا صلاحية اتخاذ قرار بشأن العوائل على عاتقنا مع إبداء ملاحظة حول ضرورة عدم تأثير ذلك على نشاط الأنصار أصحاب العوائل .

بعد عودتي من إيران ووصولي إلى مه رانى والقول لتوفيق كان قد أتخذ قرار من قبل قيادة الحزب بشأن دمج الأنصار والتنظيم المحلي ، وتطلب ذلك وقتا ليس بقصير لتحقيق هيئات جديدة ، وفي أول اجتماع للهيئة الجديدة طرحت موقف قيادة الحزب بشأن العوائل ودفعت باتجاه اتخاذ قرار حول العوائل ولكن نتائج مناقشاتنا أوصلتنا إلى الاختلاف حول الأمر وخصوصا ما يتعلق بالأنصار أصحاب العوائل ومن يرافق العوائل فأكد بعض الرفاق العراقيل التي تعترض تنفيذ قرار ما بهذا الشأن والبعض الآخر حرص على ضرورة تنظيم تواجد هؤلاء الأنصار مع عوائلهم من خلال تنظيم أجازاتهم ، وأدى هذا الاختلاف في الرأي إلى تأجيل دراسة هذا الأمر إلى ما بعد معالجة كل ما يرتبط بعملية الدمج والانتهاء من تشكيل هيئاتنا العسكرية والحزبية ، وثم إشراك العوائل في عملية المناقشة للوصول إلى قرار ملائم . و كان هذا السبب الأول الذي حال دون معالجة وضع العوائل في وقت مبكر ، وأما السبب الثاني فله قدر كبير من الأهمية أيضا ، حيث لم نكن نحن ولا محلية الشيخان لحدك ولا قياداتنا نتوقع حجم الهجوم القادم ونوايا السلطة ، كانت تصوراتنا لا تخرج من إطار كون أي هجوم قادم لا يتعدى أهدافا محددة ولن يكون شاملا أو يكون بمقدوره إزاحة قواتنا من المنطقة بشكل نهائي مما أدى ذلك إلى إهمال اتخاذ الإجراءات اللازمة للتصدي لهذا الهجوم الشامل . وواصل الرفيق حديثه وكما تعلم كنا نتصدى للهجمات السابقة بإمكانيات كبيرة ونواصل المقاومة لأيام كثيرة كما حصل أثناء هجوم كانيكا وهكذا كان الاعتقاد السائد أن الهجوم القادم سيكون بهذا الحجم وعند ذلك لدينا من الإمكانيات لمقاومته والتصدي له من حيث السلاح وعدد المقاتلين لحزبينا علاوة على قوات المقاومة الشعبية.

ولكنه هذه المرة وردتنا معلومات من تنظيماتنا في الداخل تؤكد أن قوات النظام تنوي شن هجوم واسع على مختلف مناطق كوردستان كان هذا قبل أسبوعين من الحدث وأبلغنا قيادة القاطع بهذه المعلومات ووجه الرفاق بضرورة التحري عن المزيد من المعلومات ونوايا

السلطة و قبل أسبوع واحد من الهجوم وصلتنا المزيد من المعلومات حول تحشيدات عسكرية لقوات النظام في مختلف المناطق ، وخلال هذه الفترة طلبنا من قيادة لجنة الشيخان لحدك عقد اجتماع لتدارس الأوضاع على ضوء المعلومات التي ترينا والتحشيدات العسكرية الهائلة وكنت من بين الذين حضروا الاجتماع من جانبنا والسيد على خنسي من جانب حدك وتداولنا الأمر كثيرا وأكد الرفاق في حدك على استعدادهم للمقاومة وأشاروا إلى إمكانية ذلك ووجود أسلحة جيدة وأعداد كبيرة من المقاتلين والبيشمه ركه والمقاومة الشعبية واستشهدوا بمقاومة قواتنا في خواكورك والتي استمرت لما يقارب الشهرين من المعارك الضارية ، وقالوا على الأقل نستطيع مقاومة العدو لشهر واحد وهكذا جرى الاتفاق في هذا الاجتماع على المسائل التالية .

– تشكيل مفرزة مشتركة وإرسالها إلى قرى المنطقة وذلك لحث الناس على المقاومة وجمع المزيد من المعلومات والتصدي للحرب النفسية للعدو التي بدأ يشنها عملاءه بشكل نشط جدا في المنطقة وهي كانت تثير الهلع في صفوف الجماهير.

– أن تكون هنالك اتصالات مستمرة بين الطرفين للمزيد من التنسيق حول المستجدات في الوضع العسكري .

– الاستعداد للمقاومة وإعداد القوات و تهيأة مستلزماتها .

وبعد عودتنا إلى المقر اجتمعت اللجنة القيادية الجديدة لدراسة الوضع من كل الجوانب والقرارات التي توصلنا إليها في لجنة جك .واتخذنا الإجراءات التالية – أعددنا الأنصار للمشاركة في المفرزة المشتركة – واتخذنا قرارا بشأن معالجة الأسلحة والمؤن الزائدة عن الحاجة وإخفاءها للضرورة – ودرسنا وضع العوائل ، فطرح السؤال التالي بشأنهم . هل يتم تخاذ قرار تتوجه العوائل بموجبه إلى المناطق الحدودية ..؟ علما كان الوضع لازال هادئا في مناطقنا على الأقل مع تأكيدنا على ضرورة إنقاذ العوائل توقفنا عند نقطتين أثارهما أبو سالار

(المسئول الأول للجنة) ، 1- كيف سيكون موقف الجماهير لو انسحبت عوائلنا نحو الحدود.. ألا يثير ذلك الكثير من القلق لديها ويحدث بلبلة بين صفوفها وخصوصا أن الناس تعتمد كثيرا على مواقفنا ..؟؟ 2- من يرافق العوائل في انسحابهم وخصوصا أن الغالبية من أصحابها من الأنصار الذين يجري الاعتماد عليهم في مثل هذه الحالات الحرجة بحكم معرفتهم الجيدة بطبيعة المنطقة..؟ .

فإذا كانت هنالك إمكانية معالجة النقطة الثانية من خلال الاستعاضة بالأنصار كبار السن والغير فاعلين منهم لمرافقة العوائل فإننا لم نجد مخرجا نبرر به موقفنا أمام الجماهير، في حالة الانسحاب في ظل هذه الظروف. ولهذا جرى اتخاذ قرار بضرورة التريث وما ستؤول إليه الأحداث.

وفي الواقع كانت هنالك ضرورة لدراسة قضيتين أساسيتين ترتبطان بمسألة العوائل ووضعنا بشكل عام .

المسألة الأولى – كانت رؤيتنا في الاجتماع المنعقد بيننا وبين رفاق حدك وفي اجتماعاتنا الأخرى قاصرة وكانت مقارنة مناطقنا بمنطقة خواكورك مقارنة غير موفقة أوقعتنا في ورطة حقيقية للأسباب التالية 1- كانت هذه المناطق أي خواكورك تقع مباشرة على الحدود مع ايران ، وهذا جعل من الصعوبة بمكان على قوات النظام تطويقها ومحاصرتها وكذلك كان يسهل على قواتنا الدخول إلى الأراضي الإيرانية متى ما شعروا بعدم القدرة على مواصلة القتال 2- لم تكن قوات الأنصار والبيشمه ركه هناك في خواكورك مقيدة بوجود عوائل لمقاتليها ، وهذا ما وفر لها حرية الحركة والخفة اللازمة وسهولة مناورة العدو 3- والجانب الأكثر أهمية هنا هو مشاركة القيادات في العمليات الحربية المباشرة من خلال التصدي للهجمات وهذا ما أدى إلى تعزيز معنويات المقاتلين وقدرتهم على مقاومة العدو مثل هذه الفترة الطويلة والتي قاربت الشهرين.

المسألة الثانية – أرى كان لزاما علينا كقيادة محلية نينوى وقيادات الأنصار الأخرى وعلى أعلى المستويات أن نلجأ لاتخاذ قرار بشأن العوائل وخصوصا بعد ورود المعلومات الدقيقة من منظماتنا حول استعدادات العدو وتحشيداته العسكرية لشن هجوم واسع على مختلف مناطق كوردستان يهدف من وراءه تصفية الوجود المسلح هناك بعد أن تستطيع إزاحة سكان الريف من قراهم . ففي الواقع إن المعلومات التي كانت تصلنا كانت تفصيلية وتؤكد على حجم قوات النظام وتحشدا ته في كل منطقة ونواياه الحقيقية وهذا كان يعني أن النظام كان جادا وعبر كل إمكانياته من أجل تحقيق أهدافه المرسومة . وإلى جانب هذا كان من الضروري أن نأخذ وجودنا في العمق بنظر الاعتبار فكانت إمكانية تطويق ومحاصرة مناطقنا ممكنة بعكس خواكورك بحكم كونها مقطوعة ووجود مناطق واسعة ومدن عديدة تفصل بيننا وبين الحدود مع تركيا تسيطر عليها قوات النظام العسكرية وتديرها مؤسساته الحكومية وكانت تتوفر فيها شبكة من الطرق والمواصلات تساهم إلى حد كبير على تسهيل حركة العدو بينما قواتنا كانت دائما معرضة للوقوع في الحصار .

وهذا ما استغلته قوات النظام في الوقت الذي كان ذلك غائبا عن بالنا ولهذا فإنها بادرت منذ البداية على تشديد حصارها لمناطقنا عبر السيطرة على المنافذ الحدودية وثم التوجه لتضيق الحصار على مقراتنا والقرى القريبة منها ، وهكذا بدا عملاء النظام بحربهم النفسية من خلال إشاعة معلومات كان الهدف منها انهيار معنويات الجماهير و إحباط أية محاولة للمقاومة إلى جانب قوات الأنصار والبيشمه ركه ودفعها للاستسلام .

وفي الحقيقة أدى هذا النشاط من قبل عملاء النظام إلى خلق حالة من الرعب بين جماهير المنطقة ودفع قسم منها إلى ترك قراها متوجهة نحو الحدود وهي الوحيدة التي تخلصت من كماشة العدو ، واثر هذا وصلتنا أخبارا بواسطة مفرزتنا عن بدء نزوح الجماهير وترك قراهم ، فأرسلنا وفدا إلى سى ده را للاستفسار عن الموقف وهم أكدوا بدورهم على إنهم سيقومون بإرسال مفرزة للانضمام إلى رفاقنا بغية إشاعة الهدوء بين الناس ، ولكنه سرعان ما تواردت أنباء وإخبار مخيفة عن حجم القوات المتقدمة ونواياها ما أدى إلى عدم السيطرة على الوضع

وبدأت الجماهير بالنزوح الجماعي واشتدت وتيرته في 23- 8- 1988 ولذا عادت مفرزتنا إلى المقر ، وعندها فقط بدأنا بشكل جدي الاستعداد للرحيل وكان ذلك متأخرا ، فأعطيت الأوامر إلى العوائل للتوجه إلى الحدود التركية عبر آشه وا فورا ولكنهم عادوا في صبيحة اليوم التالي دون أن يستطيعوا العبور بسبب الأعداد الكبيرة من القوات الموجودة على هذا المنفذ . ولم يبقى أمامنا إلا التوجه إلى كافيا وهناك وجدنا هذا المنفذ هو الآخر محتلا من قبل قوات النظام .

كفاح (ماجد جمعة كنجي) غيبت عائلته ضمن هذه الحملة أيضا وكانت ضمنها والدته وجدته وثلاثة من إخوته إضافة إلى عائلة عمه حسين حجي كنجي المتكونة من تسعة أشخاص . إذ قال في الحقيقة هناك عدة أسباب أدت إلى هذا التأخر والذي ساهم بدوره في فقدان هذه العوائل ضمن هذه الحملة .

1- خطأ تقديرات الحزب الشيوعي العراقي بشأن الحرب العراقية – الإيرانية التي شارفت على نهايتها دون أن يعمل على اتخاذ الإجراءات الضرورية بصدد مستقبل الحركة الأنصارية وما يرتبط بها وخصوصا العوائل التي أهملت معالجة وجودها وبقاءها ضمن مناطق تعرضت لاحقا بسهولة إلى مخاطر ثمنها كان حياة أفراد هذه العوائل . هناك من يقول أن الشيوعيين يشمون رائحة الخطر من بعيد أو يتوقعون حدوثه قبل سنوات عديدة من وقوعه ، وفي الواقع هذا لم ينطبق على قيادات الأنصار ولا على قيادة الحزب ، فلم تكن هناك قراءة مسبقة لتطورات الأحداث على مستوى العمليات العسكرية بين العراق وإيران حيث أن الانسحابات الإيرانية المتوالية من منطقة الفاو والقاطع الشمالي والوسط خلال فترة قصيرة والتي بدت وكأنها انتصارات عراقية والحقيقية كان ذلك دليلا على أن الحكومة الإيرانية ستقبل بوقف إطلاق النار بعد العودة إلى الحدود الدولية وبالتالي إنهاء الحرب ولو جرت متابعة هذه المجريات بشكل جدي لأستطاع الحزب التوصل إلى استنتاجات أفضل وبالتالي اتخاذ الإجراءات اللازمة بشأن مجمل ما سيواجه الحزب ارتباطا بهذه التطورات العسكرية في جبهات القتال ، ومن خلال هذه المسألة كان يمكن توقع نهاية هذه الحرب وبالتالي التوقع أيضا بأن النظام سيلجأ لتنفيذ

مخططاته في كوردستان والاستفراد بالحركة المسلحة فيها وجماهيرها ، في الوقت الذي بدا وكأن وقف الحرب في 8-8- 1988 كان مفاجئة بالنسبة إلى الحزب ، ومن المعروف إن المفاجآت في السياسة والميدان العسكري لها عواقب وخيمة على الأرض .

2- وعلى صعيد آخر وقريبا من الأحداث تم تشكيل هيئات قيادية جديدة للأنصار بعد دمج الجانب التنظيمي والعسكري ، كانت نتيجتها قيادات ضعيفة غير مؤهلة لقيادة العمل ضمن هذه الظروف المعقدة فعلى مستوى مناطقنا جرى تكليف أبو سالار بقيادة العمل في الجانبين في الوقت الذي كان يفتقر فيه إلى أية خبرة عسكرية بخلاف شخصيات أخرى لها تاريخ عسكري مشرف مثل المرحوم توما توماس .

3- بعد إيقاف الحرب مباشرة طالب العديد من الأنصار أصحاب العوائل إبعاد عوائلهم إلى مناطق آمنة على الحدود ولكنه لم تتم الاستجابة لهذا الطلب وهذا ما أدى إلى سهولة وقوع العوائل في الحصار أثناء تقدم القوات العسكرية للنظام على مناطقنا ضمن حملة الأنفال هذه ، وبالتالي الاضطرار لتسليم أنفسهم أثناء العفو.

4- فقدان حركة الأنصار لحيويتها ونشاطها كونها تخوض حرب بارتيزانية بعد أن تحولت إلى بناء مقرات كبيرة والتقوقع فيها وممارسة معارك جبهوية وتجميع العوائل حول هذه المقرات دون النظر إلى ضرورة إبعادها إلى المناطق الحدودية لإنقاذها من أية مخاطر تتهددهم.

- (فه رمانه ..هاوار.. فه رمانه)* جملة كوردية تعني " إنها الإبادة.. النجدة.. إنها الإبادة"
- (داي وه له د هافيت) * جملة كوردية تعني " الأم تتخلى عن ولدها

المحطة التاسعة

يروي العديد من الرفاق الأنصار إنه عندما احتلت قوات النظام قرية كافيا وأغلقت الطريق أمام سكان القرى و قوات البيشمه ركه وبعد تراجعهم والتجمع في نهاية كه لى كافيا قريبا من قريتي (جه م جال وجه م شيرتى)* طرح البعض فكرة تسليم جميع العوائل إلى هذه القوات عبر وساطات ينفذها بعض الوجهاء مع رؤساء الجحوش وهم بدورهم ينفذون الاتصالات مع ضباط الجيش حول هذا الأمر وفيما إذا كان هذا التسليم لا يلحق الضرر بهؤلاء السكان وبعد أن تم التحرك على هذا الأساس وسط رفض العديد من البيشمه ركه تسليم عوائلهم تحت أية ذريعة كانت جرى الاتصال بأحد الضباط المسئولين عن القوات التي كانت تحاصر هذه المنطقة الذي أجابهم بقوله ، لو جاء هؤلاء الناس وسلموا أنفسهم وتقرير مصيرهم كان بيدي لعملت كل ما بوسعي للحفاظ على حياتهم ، ولكن هناك توجيهات صارمة صادرة من صدام حسين بشكل شخصي تؤكد على قتل كل من يلقى القبض عليه أو يسلم نفسه سواء كان مسلحا أو غير مسلح أو كان رجلا أو امرأة أو طفلا . وهذا ما دفع هؤلاء الناس إلى الاحتماء بجبل كارة الذي نتحدث عنه ضمن هذه الحلقات ، إن هذه الواقعة أحدثت تصورات متفاوتة لدى المحاصرين ولكن النتيجة كانت واحدة في رؤى الجميع فوجد البعض أن هذه القوات المتقدمة تريد جمعهم في منطقة محدودة لكي يساعدها ذلك على الانقضاض عليهم بسهولة وآخرون صدقوا ما قاله الضابط عن الأوامر الصادرة من صدام حسين مباشرة بشأن القضاء على كل من يسلم نفسه أو يجري إلقاء القبض عليه لأنهم كانوا يعرفون جيدا الطبيعة العدوانية لشخص صدام حسين ، وفي الواقع لم يكن هناك غير خيار التسليم أمام هذه الأعداد الكبيرة من العوائل وخصوصا بالنسبة إلى سكان هذه القرى الذين سيتعرضون إلى البرد والجوع والعطش والأمراض .

في كل الأحوال وجد المحاصرون إنهم في وضع حرج وأمام خيار واحد لا غيره وهو الموت المحقق على يد هذه القوات سواء سلموا أنفسهم أم بقوا محاصرين في كارة ، فغدا التسليم أصبح واضحا لدى الجميع أن هناك أوامر صادرة من صدام نفسه تدعو إلى قتلهم أو على الأقل أن هذه القوات رفضت قبول الاستسلام وهذا يعني إنها تبيت لهم نية القتل لا غير ، ولذلك عند البقاء اضطرارا في هذا الحصار كان الجميع تراوده فكرة أن هذه القوات سوف

تقضي عليهم على حين غرة بواسطة أسلحة كيماوية ، أو سيموتون جوعا أو عطشا أو بردا أو مرضا مع استمرار الحصار المفروض عليهم .

في الحلقات السابقة حاولت الإحاطة بكل ما كان يحيط بالقضية من قرارات سياسية وعسكرية التي فشلت في تحقيق أهدافها أمام إصرار قوات النظام على فرض إرادتها وتحقيق مخططها في القضاء على الحياة في ريف كوردستان من خلالها تفريغها من السكان وهدم قراها وردم عيون المياه والقضاء على ثرواتها (الحيوانية والنباتية) . وفي الحلقات القادمة سأبذل جهدي للحديث عن جوانب أخرى أعتقدها مهمة لكي يستطيع القارئ الكريم التواصل معنا ونحن في هذا الحصار الذي أصبح يهدد حياة الآلاف منا بكل شراسة .

استمر تدفق الناس إلى هذا المكان من جبل كارة إلى ما وراء الظهيرة وبقيت العديد من المجاميع في أماكن أخرى متفرقة من نفس الجبل خشية من أن يكون التجمع في منطقة ضيقة هدفا سهلا لهذه القوات .

بعد أن التقينا العديد من الرفاق والأنصار و عوائلهم وسكان هذه القرى المحاصرين وبعد أن استمعنا إلى قصص العديد منهم توفر لنا ما يكفي من الوقت للراحة والنوم ، وكان واضحا أن الموقع الذي كنا نتجمع فيه منذ أمس البارحة وصباح اليوم الباكر لم يكن مناسبا لقضاء الليل فيه ولم يكن سوى بمثابة المحطة الأولى للتجمع بعد التراجع أمام تقدم قوات النظام ، وكان واضحا أن هذه العوائل ستحتاج إلى الدفْ في الليل فليس من السهل أن يعيش الإنسان في مثل هذا الوقت ليلا دون نار أو شيئا يتدثر به ، فلم يكن بالإمكان إشعال النيران في هذا المكان كونه كان يقع مقابل تجمعات القوات المتقدمة فبذلك يمكن لهذه القوات النيل من هؤلاء المحاصرين بواسطة قصفها أي لو أقدمت على إشعال النيران لأنها ستصبح هدفا معلوما ، لذلك كان لابد من التنقل إلى منطقة أخرى تتوفر فيها هذه الإمكانية في الليل للاتقاء من برد قمم كارة ... فاستعد كل هذا الكم من البشر لشق الطريق إلى واد يقع بالقرب من هذه المنطقة خلف قرية ئه ركنى وفي أعاليها ورغم كل ما كان ينتظر هؤلاء المحاصرين

وجدوا أنفسهم نشطين بعد أن أكتمل وصول أغلب أفراد هذه العوائل إلى هذا المكان وبعد أن استطاعوا الحصول على وقت مناسب للراحة ، فشدوا الرحال بسرعة وتحركوا بحيوية وسط غابات كارة الكثيفة في هذه البقعة التي لم تتعرض للحرق بعد وعبر وعورة المنطقة التي مررنا بها كونها كانت غير مطروقة ولكن مرور هذه الأعداد الكبيرة من الناس مع حيواناتهم عبرها حولتها إلى طريق قابلة للتنقل السهل سيرا على الأقدام . لم تكن المسافة بين المكانين طويلة جدا ولم تكن تحتاج إلى الكثير من الوقت لو كانت الطريق إليها مفتوحة أو مطروقة من قبل و كون أعداد المحاصرين كانت كبيرة والطرق وعرة فإنها أخذت شيئا من الوقت .

كنت تجد في هذه المسيرة النشاط والحيوية لدى الشباب وهم يبذلون الكثير من الجهود لمساعدة الأطفال والنساء والشيوخ والمرضى ويحملون عنهم أمتعتهم ، وفي نفس الوقت كان المرء يتملكه الحيرة وهو ينظر إلى هذه الحشود المحاصرة من البشر وهم يخوضون هذه الطريق للإنتقال إلى مكان أفضل وأكثر أمنا .. وكأنه كان يريد أن يقول هل سيكون هذا الأمان الذي يبحثون عنه متوفرا وقادرا على حماية أرواحهم إلى النهاية أم إنه مجرد هروب من مواجهة المصير المحتوم .. أم كان في ذلك نوعا من أنواع المقاومة .. رغم معرفة عواقبها .. كون العدو لم يترك لهذه الأعداد الكبيرة أي خيار غير تهديدها بالقضاء عليها ..؟ ، كما أوضحنا ذلك في البداية .

قبل الغروب صرنا نبحث في الموقع الجديد لنا عن أمكنة تساعدنا على إشعال النيران فيها لكي تقينا من البرد ومواقع سهلة على محاولة التخلص من أي هجوم طارئ . فعسكر الجميع في هذا الوادي الذي يقع في منطقة عالية من جبل كارة وخلف قرية ئه ركنى وهب المحاصرون لقطف أغصان أشجار البلوط كي يصنعوا منها أفرشة أمتاز المقاتلون البيشمه ركه بصناعتها في أوقات الراحة والنوم تحت ظلال الأشجار بعد تنفيذ عملياتهم العسكرية أو أنشطتهم السياسية ، والآن أصبح أهالي هذه القرية الكبيرة المختلطة المحاصرة يستخدمونها لقضاء أيامهم في قمم ووديان هذا الجبل ... ويصنعون مواقدا للنيران التي أضاءت في الليل هذا الوادي كما تضئ الأنوار الطبيعية أية مدينة حقيقية .. فلو كنت تريد أن تنسى أن جيشا

كبيرا يحاصرك أو إنك معرض للهلاك أو كنت تريد أن تنسى ما كنت تشاهده من مواقف محزنه أثناء النهار أو تضع تصوراتك جانبا عن هذه الحملة الشرسة وعواقبها لكان المنظر جميلا .. ففي نوبة الحراسة في قمة جبلية تسيطر على هذا الوادي .. كنت تشاهد المكان واسعا وعبارة عن حوض دائري له مخارجه تبدو شبيهة بطرق تؤدي إلى أماكن أخرى ، وكان المكان والذي سرعان ما تحول إلى قرية فيها بشرا مشردون ، يبدو وكأنه جرى تصميمه وفق طرق هندسية تلائم طبيعة الجبل وأنشأت فيه هذه المدينة الجميلة وفق طراز متطور في هذه المنطقة الجبلية من كوردستان فكانت النيران المشتعلة من أجل أن تتدفأ هذه المجاميع البشرية بها وكي تستطيع النوم على هذا الدفء . كانت هذه النيران ومنظرها تأخذ المرء إلى عالم جميل طالما كان يحلم به حتى في هذا الحصار .. فكانت تتلألأ كمصابيح مدينة هادئة تبدو للمرء وكأنها مدينة غربية أوروبية يجري تجربة بناء مثيلاتها في كوردستان وإنها المدينة الأولى في هذا المكان ، وأن الأدخنة المتصاعدة من هذه النيران ما هي إلا وإنها تنبعث من مدا فئ بيوتها الهانئة ومراقصها وحاناتها المزدحمة بالناس وضجيجهم وقد كان المرء أمام هذه الأنوار وهو يتخيل ألحانا ويتمازج معها وكأنه يسمع حقيقة دقات الدفوف والمزامير وآلات الموسيقى المختلفة وأصوات الراقصين التي تستمر إلى صباحات هذه المدن ، ثم يستمر متابعة كل شئ حتى عندما يهم الناس ويتفرقون فرادا و مجاميع يتوجهون إلى بيوتهم بواسطة قطارات الأنفاق ووسائط النقل الأخرى للنوم طويلا استعدادا ليوم عمل أو دراسة أو ما إلى ذلك ، من دون أن يخدش صوت إطلاقة واحدة تسلل هذه الألحان إلى سماع المحتفلين أوأن يحدث انفجار ويعكر صفوة سهرتهم الجميلة ... غير أن البرد عندما كان يشتد وهو يتسلل هادئا إلى جسد المرء كان يتلذذ به ويتحمله ولكنه كان يقطع حلمه هذا ناقلا المرء إلى حلم أو عالم آخر وهو يقاوم البرد وكأنه في لقاء حبيبته ويقص لها كيف سيجعلها سعيدة في بلاد ليس فيها غير الورود والزهور والحان الجميلة .. أو أحدا من أفراد عائلته الذين غاب عنهم منذ سنوات طويلة تحت ضغط ملاحقة أجهزة أمن السلطة فيقص له كيف سيقضي مع مناضلي الحرية على نظام الظلم والقتل والسجون والتعذيب وينهي الملاحات ويوفر للناس المعدومين عيشا رغيدا .. ولكنه مضطرا كان يتذكر أن قوات هذه السلطة نفسها تفرض عليه الآن طوقا وإنه يعيش في حصار بسبب صوت انفجار قادم من محيط حلقة حصاره ولا يهم

من أية قرية كانت في المنطقة ، فجميعها أصبحت تقع تحت سيطرة الجيش والجحوش وتتعرض إلى التفجير ورغم ذلك يستمر وهو يطلق العنان لتخيلاته الجميلة ولا يريد أن يبرحها رغم إدراكه إنها غير قابلة للتحقق في عراق يحكمه الوحوش والضواري وهم يحاصرونه في هذا الجبل .. ثم ما يلبث ويعي هذه الحقيقة التي يعيشها فتتحول بقية وقت نوبة حراسته إلى زمن يضغط عليه للتفكير بأشياء كثيرة .. بأصدقاء طفولته أو دراسته وما كان يفكر به من أجل مستقبله أو يتحول إلى التفكير بوضع خطط لإيجاد مخارج وإنقاذ هذه القوات وعوائل الأنصار الذين عاش معهم ظروفا بالغة الصعوبة وفي أوقات مختلفة .. كان بينهم أطفالا عوضوه بعده عن إخوته وأخواته الصغار أو ربما أبناءه وبناته وهو يلعب معهم في فسح مه زانى وتحت ظلال أشجار جوزها التي كانت تتعدى الـ 100 شجرة ، توفر بثمارها الوفيرة وجبات فطور تكفي لشتاء كامل ، يوزعها الخفر (الخدمة الرفاقية) على الأنصار في كل صباح ولكل واحد منهم ربما عشر حبات منها مع كوب من الحليب بقرار يتخذه الرفيق أبو (حازم الإداري) وينفذ بصرامة .. أتذكر عندما حل الرفيق النصير (أبو خدر)* في المقر بعد عودته من مهمة ما وجد أن عائلة الشهيد (أبو فؤاد)* قد انتقلت للسكن في المقر في أحدى الغرف التابعة للتنظيم المحلي فذهب إلى ابنته الصغيرة (سورياز)* البالغة من العمر سنتين فقط وذلك لنيل صداقتها فوجده الرفيق النصير أبو سربست وقال له عبثا تحاول ذلك لأنها بالتأكيد تخاف من شورابك وثم فهي لا تقبل اللعب مع أحد غير ناظم أو أنصار محدودين جدا . فأجابه أبو خدر سأجرب حظي وأحاول ، وبعد فترة قصيرة عاد أبو سربست فوجدهما يلعبان معا فتعجب بسبب ذلك وكونه لم يستطيع الظفر بصداقتها بعد ما حاول كثيرا .. وكان بين هذه العوائل شابات وشباب يشاركوننا الأفراح ويحولونها إلى مهرجانات عائلية ... فكان هناك من يشارك في فرق الأنصار الغنائية وآخرين في الفرق المسرحية وكان بينهم شعراء صغار يمارسون هوايتهم في إلقاء قصائدهم في هذه الأفراح كعيد تأسيس الحزب و نوروز و رأس السنة الميلادية وغيرها من الأعياد التي أعتاد الأنصار أحياءها في كل سنة بفرح غامر واستعدادات مسبقة يشارك فيها الجميع على هيئة خلية نحل نشطة.. وأيضا كان بين هذه العوائل نساء وقفن كالأبطال خلف أزواجهن وأولادهن وأخوتهن لمواجهة الدكتاتورية .. عملن كل شيء من أجل المواصلة ، امتنعن أن يكن عوامل تثبيط لمعنويات الأنصار حتى

في أحلك الظروف ناهيك عن ما تحملن من مصاعب حياتية من الجوع والبرد والسكن الغير لائق والعوز المادي وما إلى ذلك دون تذمر.

ولكنك لو كنت تجرب التجوال بين هذه التجمعات البشرية في نفس تلك الليلة لوجدت حقيقة أخرى تعبر عن مدى وحشية نظام أجبر هؤلاء الناس على هذه المعانات فالرجال كانوا يدفعون بالمزيد من الحطب في نيران أشعلوها كوسيلة للحفاظ على حياة أطفالهم ونساءهم من برد كارة ، ورغم ذلك فإنها لم تكن تف بالغرض في الغالب لأن النوم أمام مواقد نيران الحطب في لعراء لن يكون سهلا كون المرء يتعرض في احد جنبيه إلى الحرارة الشديدة وفي الجنب الآخر إلى البرد الشديد لأنه لا يوجد ما يتدثر به غير ملابسه التي يرتديها ولذلك يستمر في التقلب إلى الصباح دون أن يشبع نوما وكان الوضع مع الأطفال صعب للغاية فأما تركهم ينامون بين موقدين وأما على النساء احتضانهم وخصوصا الرضع منهم للصباح ففي الحالة الأولى كانوا يتعرضون إلى الحروق وملابسهم كانت تتحول إلى قطع أسمال بالية أما في الحالة لثانية فكانوا يستمرون بالبكاء بردا لأن هذه النيران لم تكن قادرة على الوصول لكل أجسامهم وصدور أمهاتهم لم تكن تكفي لاحتضانهم جميعا .. ولذا غالبا ما كانت كل إمرأة تردد مع بكاءها المر جملا حزينة غير مترابطة تعبر بها عن قلقها إزاء الخطر الذي يداهم الجميع في هذه البقعة التي لا يعرها أحدا في هذه الدنيا أي اهتمام .. نم يا ولدي ها أشعلنا النيران .. وسيتدفأ جسدك بعد قليل .. كنت أود أن أموت ولا أراك ترتجف بردا .. يا ولدي الموت في قمم كارة أهون من الموت بغازات جيش صدام أو سجونه .. لو متنا هنا سنكون قريبين لقريتنا وسيكون هناك من يدفننا في مقابر أهلنا وبجوار موتانا ..أما لو متنا في مكان آخر من سيعثر على بقايانا ..؟ وسوف لن يكون لنا قبورا ..!!!

كان الأطفال يبكون أيها الناس لحد الإغماء .. فضلا عن البرد كانوا جياعا .. لم يصمد خبزهم القليل كثيرا .. تناولوا لحما لوحده .. أصابوا بالإسهال .. لا يشربون الماء إلا قليلا أو نطرات منه لأنه غير متوفر ومصادره محتلة من قبل الجحوش .. النساء ينمن قليلا وينتحبن كثيرا .. يتحملن الجوع والعطش ومعانات أطفالهن .. أينما ذهبت نحيب النساء يلاحقك ..

صرخات الأطفال بردا تلاحقك .. حتى الكبار عيونهم تمتلئ دموعا .. لم يعودوا يخجلون في الإفصاح عن حزنهم بالبكاء .. فإذا كان البعض منهم يخبأ رأسه بين ذراعيه ويطلق العنان لبكاء مر ، فإن الكثير منهم بكى بصوت عالي وبمرارة شديدة .. يلعنون عالم المصالح .. ذلك العالم القاسي الذي استطاع بجدارة السكوت عن كل ما يجري في هذا الجبل .. فخمسة عشرة ألف نسمة محاصرون تطوقهم وحدات من الهمج ولا أحدا يتكلم .. خمسة عشرة ألف نسمة يتضرعون جوعا ولا أحدا يتكلم .. وقواهم تخور عطشا وبردا ومرضا ولا أحد يتكلم .. أية ضمائر تحكم الأرض ...؟ كيف تستطيع الصمود أمام كل هذا العذاب وهذه المعانات البشرية .. ؟ هل قال أحدا في كل هذا العالم كلمة واحدة عن هؤلاء الناس .. ؟ ربما كان كينشر وزير خارجية ألمانيا الغربية وحيدا حينما تحرك وجدانه ورفض هذا الظلم ، فتيمنا به استخدم أحد أنصارنا اسمه ونبه الجميع على ضرورة مناداته بأبو كينشر ظل يحب هذا الاسم لسنوات طويلة .

المحطة العاشرة

عندما حل الصباح واستيقظ المحاصرون من نوم مضطرب كانت كل لحظاته ودقائقه بردا وقلقا وخوفا وصرخات أطفال وبكاء نساء وآهات كبار السن والمصابين بأمراض الأيام القليلة الماضية لم يجدوا أمامهم ما يتناولونه من طعام ، وإن ما كانوا يحملونه من مواد غذائية في حقائب الظهر أو على ظهور بعض البغال التي كانت برفقتهم نفذ دون أن يبقى منه شيئا بالمرة ، فالمصدر الوحيد للطعام الذي بقي أمام المحاصرين كانت قطعان الماشية ولحومها التي عجز أصحابها تركها وراءهم كي لا تتحول إلى حساب رؤساء الجحوش المشاركين في هذه الحملة العسكرية الشرسة .

فإذا كان برد الليل والقلق إزاء المخاطر التي كانت تنتظرنا سببا لمعانات إنسانية لهذه المجموعة الكبيرة من البشر ، فإن الجوع أصبح يداهمنا ويشكل خطرا فادحا وخصوصا على العوائل وبذلك أصبحت معاناتنا تتضاعف ، فكان من شأن اللحوم التي نتناولها دون أية مادة غذائية أخرى ودون أية شروط صحية كالنظافة وما إلى ذلك ، أن يصاب أعداد كبيرة من المحاصرين بالإسهال والتقيؤ وأمراض أخرى عديدة كانت تهدد حياة العديد من المحاصرين

وخصوصا الأطفال .

مما دفع هذا الوضع المأساوي العديد من الأنصار والناس أصحاب العوائل للتحرك والبحث من أجل العثور على مصدر يجدون فيه طعاما ما ، ولكن محاولات غالبيتهم كانت تبوء بالفشل بسبب الطوق الشديد من الجيش والجحوش الذي كان يلف حولنا ، ولذلك بقي الاعتماد الأساسي على تناول اللحم رغم ما كان يسببه من أمراض ومتاعب أخرى ، وكانت أوراق أشجار البلوط المائلة إلى الاصفرار بسبب قدوم الخريف وبدء تساقطها تدريجيا جزءا من (مائدة طعام)العديد منا طيلة هذه الأيام وخصوصا الأنصار والبيشمه ركه الذين تعودوا على هذه الوجبة سابقا في ظل أيام الجوع التي غالبا ما كانت تتكرر بين فترة وأخرى أثناء الرحلات الطويلة بين قاعدة أنصارية و أخرى أو أثناء تأدية المهمات الحزبية أو أثناء المعارك التي كانت الكفة تتأرجح فيها لصالح عساكر النظام أوحين كنا نتيه على أثرها أو نحاصر من قبل قوات العدو دونما طعام غير تلك الأوراق العالقة بأغصان أشجار البلوط والتي كانت تدنو نحو الأسفل ، فكان في هذا الحصار العديد منا يتمدد تحت ظلالها في أوقات الراحة أو النوم بل أن قدرتنا على الحركة والنشاط كانت تتضاءل ، فيمد يده إلى أوراقها التي تقيه من أشعة الشمس الخريفية ويدفع بها ورقة ورقة إلى فمه ويستمر في مضخها وطحنها حتى كان طعمها يتحول ما يشبه بطعم وجبة طعام اعتيادي وهكذا يستمر وكأنها أي عملية المضخ كانت من أجل التسلية ، وكان البلوط الذي كان يكثر في أغلب مناطق كوردستان يدخل ضمن هذه الوجبات ، وهنا أو هناك كنا نحصل في بعض الأحيان على حليب طازج من هذه القطعان المتواجدة برفقتنا ، فكنت ذات مرة على قمة بالقرب من الطريق المؤدية إلى قرية بهى والمسيطرة على قرى به رى كارة علاوة على قرى عديدة تقع في الجهة الجنوبية من كارة والتابعة لناحية أتروش أو سرسنك وكان يمكن أيضا مشاهدة العديد من القرى القريبة إلى العمادية من نفس هذا الموقع ، وذلك في نوبة حراسة نهارية برفقة نصير آخر لا أتذكر اسمه ، وهناك وجدنا راعيا من أهالي هذه القرى مع قطيع من الأغنام وبعدما راقبنا المزيد من تحركات الجيش والجحوش في مختلف المناطق التي تتراءئ لنا من هذه القمة أخرج الراعي كمية من الزبيب وقدمها لنا وأشار قائلا يمكنكم الحصول على حليب إن شئتم ، فقلنا له لا

نجيد الحلب ، لذا اضطر أن يحلب لنا ما يكفينا من حليب طازج .

ومرة نزل بعض الأنصار وأتذكر كان من بينهم النصير أبو سربست باتجاه نبع قرية ئه ركنى لغرض الحصول على ماء للأطفال و العوائل والمحاولة من هناك للوصول إلى القرية عسى أن يستطيعوا العثور على طعام ما ولكنهم بعد الوصول إلى مكان قريب من هذا النبع تفاجأوا بمقدم عدد من الجحوش باتجاه نفس النبع لمنع المحاصرين من الوصول إليه ، ورغم ذلك أصرت المجموعة على أن لا تتراجع دون أن تحمل معها ماءا ، فحصل اشتباك مسلح بين الطرفين تقهقر الجحوش أمام إصرار الأنصار ، وحمل الأنصار ماءا في أواني و حاويات لم تكن مخصصة للماء أبدا ، فقد كانت لديهم قفازات نايلون وزعت عليهم للاتقاء من الأسلحة الكيماوية واستخدامها في إسعاف من يتعرض أو يصاب بمثل هذه الأسلحة ، ولكن الحاجة الملحة حولتها إلى أواني تحمل ماءا للأطفال المحاصرين في هذا الجبل ، ولكنهم فشلوا في هذه المرة من الظفر بأي طعام .

وهنا لم ينتهي البحث عن أي طعام كان في كل اتجاه وقد نجح عدد قليل من الباحثين في الحصول على كميات قليلة ورديئة منه ولكنني لست متأكدا من أين حصلوا عليه فمثلا النصير على حاول الذي كان مع أربعة من إخوانه ضمن صفوف أنصار حزبنا وعوائلهم كانت برفقتهم في هذا الحصار وثم فقد جميع أفرادها ما عدا أثنين من إخوانه وهو بشخص أيضا ، استطاع الظفر بصفيحة رز غير مجروش (الشلب) ويعرف الجميع استحالة صلاحية الرز الغير المجروش لأن يكون طعاما صالحا في الأوضاع الطبيعية .

لا تسعفني ذاكرتي فيما إذا كانت العوائل استطاعت الاستفادة من هذا الشلب أم لا ، لأنه كان الغنيمة الأولى وكان ينبغي أن تكون للعوائل وخصوصا الأطفال ، ونحن لم نكن نفكر بأكثر من وسيلة تبقينا على قيد الحياة فكانت الأوراق التي ننتزعها من أشجار البلوط وثمارها كفيلة بذلك بالنسبة لنا ، كما أسلفت في أعلاه .

كان النصير (إبراهيم) حسين خرتو من قصبة بعشيقة وهو مدرس رياضيات ومن بين المؤنفلين قد أصاب بشيزوفرينيا حادة أي مرض أنفصام الشخصية قبل فترة من هذا الوقت وكان ضمن مجاميعنا المحاصرة مع زوجته ليلى نون برو ولكنه وفي وقت ما اكتشفنا تخلفه عن هذه المجاميع التي أصبحت تنتقل من مكان إلى آخر باتجاه منطقة كانى بوتكى ومقر مه زانى الذي كان يبعد عنها مسافة ساعتين سيرا على الأقدام بعدما كان الجوع والعطش يشتدان ويهددان حياة هذه الأعداد الكبيرة من البشر ، فكان قلق الجميع بشأنه كبيرا بسبب مرضه وخصوصا زوجته ليلى التي ُفقدتْ في هذه الحملة هي الأخرى ولكن البحث عنه في هذه الظروف العصيبة كان من المهمات الشاقة ، لذا بقينا نسأل عنه في حدود منطقة الحصار ومن المحاصرين ولكن دون جدوى .

استمر الاقتراب من كانى بوتكى شيئا فشيئا واستمرت المصاعب تشد الخناق علينا من كل جهة وصوب، فالجوع والعطش يزدادان تأثيرا وأعداد المصابين بالأمراض المختلفة أصبحت تكبر وخصوصا إصابات الإسهال التي لم تبقي أحدا دون أن ينال حصته من هذا المرض وكانت الأدوية معدومة تماما وبموازاة كل ذلك كان الشعور بالخوف يزداد أكثر ولاسيما أن المجتمع الدولي بقي صامتا (بجدارة) إزاء محنتنا وازداد تحليق الطائرات فوق رؤوسنا واستمرت القوات المتقدمة بمزيد من التدمير لهذه القرى وحرقها وتفجيرها على مرأى من عيوننا حين كنا نراقبها أثناء الحراسات النهارية في أعالي قمم كارة لازلت أتذكر الأدخنة المتصاعدة اثر عمليات التفجير والحرق هذه ، لازالت هذه الجرائم شاخصة أمامي وأعرف تماما ما هي القرى التي جرى تدميرها بالكامل دون أن يبقى منها حجرا على حجر ..!! (أسماء قرى هذه المنطقة وقرى مناطق أخرى والتي شاهدت تدميرها أثناء الحصار وأثناء محاولات الخلاص منه في مناطق أخرى ، سترد ضمن المحطات القادمة)

وفي ظل هذه الأوضاع أيضا ، عمل الرفاق في قيادة اللجنة المحلية من أجل تشكيل مجموعات تبحث في بعض الاتجاهات لاختراق خطوط العدو وإيجاد منافذ للخلاص من هذا الحصار، الأمر الذي سنتحدث عنه أيضا في المحطات القادمة بمزيد من التفاصيل وعلى

ضوء المعلومات التي لازلت أتذكرها إلى جانب الاستعانة بذاكرة أنصار ورفاق آخرين قد ترد أسماءهم أيضا في سياق الحديث .

ومن بين هذه المجاميع كانت هناك مجموعة توجهت نحو مه رانى لاستطلاعها ومعرفة ما إذا كانت هذه القوات أحتلتها أم لا ، وكان من بين رفاق وأنصار هذه المجموعة النصير شاكر (شمو سليمان سعدون) وهو ابن الشهيد سليمان شقيق الشهيد أبو فؤاد (جوقي سعدون حكيم) الذي جرى الحديث عن حادثة استشهاده وعملية القصف التي تعرض لها مقر القاطع بكه لى زيوه في 5- 6 – 1987 بالأسلحة الكيماوية من قبل العديد من الأنصار من رفاقه ، وأخيرا نشرت العديد من الصحف الألكترونية خبر نقل رفاته إلى قرية دوغاتا مع صور عديدة لموكب التشيع ألتقطتها كاميرا العزيز باسم روفائيل من موقع تللسقف ، وهنا لابد من الإشارة إلى أن النصير شاكر فقد في هذه الحملة أيضا مع زوجته شيرين شمو وأبنته برزين وأبنه به روه ر، ولا زلت أتذكر كل التفاصيل عن ظروف فقدانه والتي سأرويها في المحطات القادمة أيضا .

ذهبتْ هذه المجموعة وعادت سريعا أي بعد ساعات وهي تحمل بشرى عظيمة أنقذت المحاصرين من موت كان ينظر الكثير منهم ، فقد أكدت أن مقر مه رانى لازال عامرا ولم تصله هذه القوات بعد ، ولازالت مخازنه مليئة بالمؤن والأرزاق مثلما جرى تركه عند مغادرته من قبل رفاقنا وأنصارنا وعوائلهم في 24- 8 باتجاه قرية كافيا على أمل الخلاص من مخالب القوات المتقدمة وحصارها ، ولم يمد أحدا يده إليها .

كان وقع هذه المفاجأة سارا على الجميع ، أبلغنا المحاصرين بهذا الأمر لكي يستعدوا لتنظيم رحلات جماعية إلى هناك لجلب المزيد من هذه المؤن والأطعمة المختلفة الموجودة في المقر ، فدب النشاط والحركة بين الجميع ، عادت الروح إلى الجميع لمجرد سماع الخبر ومعرفة حقيقة إن أغذية ستصلهم ، وسرعان ما توجهت مجاميع عديدة نحو مه رانى و بعد ساعات أنتشر الخبز بين مجاميع المحاصرين وكذلك أنواع أخرى من الأطعمة المعلبة وكل ما كان

موجوداَ في هذه المخازن كان قابلا للأكل ، ولكل مادة غذائية ابتكرت طريقة لتحضيرها وتناولها في ظل هذا الحصار المخيف ودون وجود أية أدوات طبخ اعتيادية ، فالحجارة الملساء أصبحت تحل محل الصاج من أجل الخبز ، وعلب الكيكوز لحليب الأطفال تحولت من كونها علب لطبخ الشاي وخدره عند الأنصار والبيشمه ركه إلى أواني لطبخ الرز وأنواع الحساء المختلفة وحلت محل القدور ، ووفر المحاصرون ولست أدري من أين .. الكثير من الأواني الأخرى لأعداد وجباتهم وجلب مياه الشرب وخزنها بكميات معينة بعد أن صرنا قريبين جدا من كانى بوتكى ، فكان طابور المحاصرين من أجل الماء من عينها الوحيدة يمتد إلى ما يقارب مئات الأمتار ، وكان الأمر يحتاج إلى عدة ساعات للوصول إلى النبع والتزود بالماء وحسب الأواني التي يحملها الفرد ، فكانت غالبيتها من (الزمزميات) ووصلت إلى هذه المنطقة العديد من حاويات أخرى استخدمها المحاصرين من أجل الماء ، فحتى حاويات الأطعمة المعلبة استخدمت بشكل واسع في مجال الطبخ طعاما وشايا وجلب الماء من النبع أو خزنه .

صرنا نأكل خبزا ولم يكن مهما أن يكون هذا الخبز ناضجا أو غير ناضج أو نظيفا أو غير نظيف أو يكون خليطا من رماد نيران الحطب التي كنا نطبخ بواسطتها أو أن يكون الحساء نصفه من هذا الرماد ، ولم يكن مهما أن تكون هذه الأواني مغسولة أو غير مغسولة ، فكان المهم أن تتناول طعاما مطبوخا . رغم أزيز الطائرات وأصوات المدافع والنيران المندلعة في كل اتجاه ورغم الصمت الدولي والسكوت المطبق للإعلام العامل وفق كوبونات النفط وبمختلف مستوياته .

فجأة وبعد عدة أيام ظهر النصير إبراهيم (حسين خرتو) بين مجاميع المحاصرين ، ولما ألتقاه ألرفيق أبو سربست ، سأله أين كنت يا إبراهيم ..؟ أجابه .. (هذا مو شغلك الحزب يعرف) فذهب إلى أبو سالار ليبلغه نتائج غيابه وأسباب ذلك ..!!

(جه م جال وجه م شيرتى)* قريتان مسيحيتان تقعان بين منطقة نهلة وقرية كافيا وكانتا بمثابة محطات استراحة للبيشمه ركه وكان أهالي القريتان يقدمون خدمات كبيرة لهم .

(أبو خدر)* وهو غني عن التعريف كل الأنصار يعرفونه وكذلك معروف على مستوى جماهير المناطق التي كنا نعمل ضمنها وكان من الأنصار الأشداء وعلى قدر كبير من الانضباط ، ويتميز بعلاقات واسعة مع رفاقه والجماهير وكانت مواقفه ثابتة إزاء مختلف القضايا ولازال يحتفظ بالكثير من الحيوية في خوض نقاشات حامية حول مختلف المواضيع .

(أبو فؤاد)* كان مسئول محلية دهوك للحزب استشهد في 5 حزيران عام 1987 اثر قصف سرب من طائرات النظام البائد مقر قاطع به هدينان بالأسلحة الكيماوية في كه لي زيوة قرب ناحية كاني ماسى في منطقة العمادية .

(سورياز)* أبنة الشهيد ابو فؤاد ولدت في قرية آطوش وسميت تيمنا بالاسم الكوردي لنبات حمضي ينمو في جبل كارة والمناطق الباردة

المحطة الحادية عشرة

الذهاب إلى مه رانى أصبح على مدار الساعة ، لم تتوقف القوافل قط ، لجلب الأرزاق إلى هذه العوائل المحاصرة والمعلقة في قمم كارة ووديانه وبالقرب من كانى بوتكى النبع الوحيدة التي كان يتزود منها هؤلاء الناس بمياه الشرب في أغلب أيام الحصار الجماعي والذي استمر إلى اليوم الأول من صدور قرار العفو المشئوم عندها سلم أغلب المحاصرين من سكان هذه القرى مصيرهم بيد قوات الجيش .

كان علينا أن نبحث عن أي منفذ نتخلص من خلاله من هذا الحصار الخانق الذي تفرضه

هذه القوات المتقدمة وهي تريد القضاء في الواقع على كل حي فينا في هذا الجبل ، سواء أن قاتل أم لم يقاتل ، وهذا ما تبين فيما بعد أي عندما سلمت العوائل نفسها لهذه القوات أثناء العفو الصادر في 6- 9 – 1988 من ما كان يسمى (بمجلس قيادة الثورة) السيئ الصيت والسمعة .

ورغم الشكوك الكثيرة التي كانت تدور حوله والذي صنف المستسلمين و سكان قرى كوردستان الذين شملتهم حملة الأنفال هذه، على اعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية فما دون ، رغم ذلك لم يكن أمام هذه الأعداد الكبيرة غير تسليم مصيرها لأصحاب هذا العفو الجائر، ليس هذا فقط ، وإنما نصوص هذا القرار كانت تتعامل مع هؤلاء المواطنين والأنصار والبيشمه ركه بأسوأ ما يمكن وصفه ، حيث وردت في بعض فقراته مصطلحات تنم عن مدى حقد هذا النظام للإنسان العراقي وخصوصا الكوردي وحقوقه الطبيعية ، ومما يؤسف له أن ذاكرتي لا تساعدني على التقاط تلك المصطلحات المخيفة التي كنا نستمع إليها ونحن نتابع نص القرار بواسطة أجهزة راديو صغيرة كنا نستخدمها بشكل دائمي ، ولذلك ، قمت قبل فترة قصيرة بتوجيه نداء إلى القراء الأعزاء لمساعدتي من أجل الحصول على نصه ولكن دون جدوى ، وكلي ثقة أن مجرد تقديم هذه الوثيقة إلى المحكمة الجنائية العليا التي تحاكم صدام وأعوانه بجريمة الأنفال ستكون كافية لإدانتهم وتؤكد بشكل قاطع مدى توغل نظامهم في جرائم الإبادة الجماعية والذي تعامل مع هؤلاء كما يجري التعامل مع الحشرات .

في هذا اليوم المشئوم توجهت مجاميع المحاصرين باتجاه مواقع هذه القوات من كل ناحية ، فكان هناك من توجه إلى (كه لي آفوكى)* وكان هناك من توجه إلى (كه لي كانى مازى)* ، وآخرون إلى مواقع أخرى ومنها كانت السيارات العسكرية تنقلهم إلى أماكن مجهولة تمهيدا لنقلهم إلى (به حركى)*(عرفنا اسم به حركى بعد فترة من هذه الأحداث أي عندما استطعنا الوصول إلى خارج العراق) وكان هناك من نقل إلى أماكن أخرى لم يستطع أحدا التعرف عليها لحد هذه اللحظة ، وهذا ما حصل بالنسبة إلى عوائل أنصارنا وبعض العوائل الأخرى التابعة للأحزاب الكوردستانية جلهم كانوا أيزيديون عدا عائلة واحدة مسيحية وامرأة أخرى .

بعد صدور هذا القرار بدأنا نتوجه إلى مقر مه رانى والوديان والقمم المحيطة به ، توزعنا نحن الأنصار على شكل مجاميع صغيرة في هذا المحيط ، وكانت هذه المجاميع دائمة الاتصال فيما بينها وكانت المسافات بينها قريبة أيضا ، أما العوائل فذهبت إلى المقر استعدادا لتسليم مصيرها إلى هذه القوات ، وهي استفادت من فترة هذا القرار لكي تنعم بشئ من الراحة و الاغتسال استمر لمدة يومين ، طبعا جاء ذلك وأعني قرار تسليم العوائل بعد مناقشات طويلة بين الرفاق أصحاب هذه العوائل والرفاق في اللجنة المحلية ، وبعدما لم يجدوا في الواقع حلا آخرا غير ذلك ، لأسباب عديدة بينها ..1- كثافة القوات العسكرية المنتشرة في المنطقة مما جعل ذلك من المستحيل إختراق خطوطها بمجاميع يوجد بينها النساء والأطفال والشيوخ الغير قادرين على السير والمعاقين والمرضى ، دون عواقب وخيمة قد تؤدي بحياة مجموعات بأكملها .. 2- احتمال تقدم هذه القوات إلى ما تبقى من المواقع في هذه المنطقة والتي يتواجد فيها الأنصار والبيشمه ركه والتي ستصبح ملاجئ لهذه العوائل في حالة عدم التسليم وبعد انتهاء مهلة العفو ، واستخدام الأسلحة الكيماوية في هذا التقدم أو غيرها من الأسلحة وتحدثنا في المحطات السابقة حول عدم وجود أية إمكانية لمقاومة هذه القوات في ظل هذه الأوضاع العسكرية الغير متكافئة والتي كانت لصالح السلطة تماما .. 3- نفاذ المؤن الموجودة في مخازن المقر بسبب استخدامها من قبل أغلب المحاصرين الذين تحدثنا عنهم فيما سبق .. ويقول الرفيق أبو سربست والذي كثيرا ما أستعين بذاكرته التي تخزن الكثير من القصص المؤلمة لتلك الأيام ... رغم كل هذه الصعوبات التي كانت أمامنا اعترض بعض الأنصار على قرار تسليم العوائل ولذلك تركنا خيار تسليم العوائل أو عدم تسليمها إلى أصحابها وأكدنا عدم وجود أية إمكانية لدى الحزب لإنقاذ هذه العوائل في ظل هذه الظروف الصعبة .. وواصل أبو سربست يقول أن المعترضين كان كل من علي حاول بكو وأبو خدر ملا جه به رى ومام عبدال من شاريا .. ولكن عدم وجود مخرج آخر دفع بهم في النهاية على الموافقة للتسليم مع بقية العوائل .

ومن جهة هذه القوات العسكرية المتقدمة من الجيش والجحوش فإنها كانت لا تتوقف عن

تنفيذ مخططاتها ، في تفجير القرى وحرقها .. فالعملية تواصلت إلى أن انتهت في آخر بيت جرى بناءه في القرى البديلة ، وبدأت مجاميع من الجنود والجحوش تبحث في كل ناحية عن هذه القرى (تحدثنا عن ماهية هذه القرى في المحطات السابقة) وذلك لفرهدتها وتدميرها، وبدأت تحرق المزيد من غابات هذه المناطق وتردم عيون المياه وتدمر البساتين وتفجر الكهوف وتفعل كل ما تستطيع فعله من أفعال شنيعة ولا إنسانية وتدمر بمختلف الطرق هذه المناطق ، والطائرات المروحية المقاتلة صارت تكثف من تحليقها على إرتفاعات منخفضة فوق رؤوسنا .

وأما نحن الأنصار كنا نتردد دائما إلى المقر لتأدية الكثير من الأعمال ، مثل إعداد بعض ما يمكن إعداده من أطعمة وخصوصا الخبز وإخفاء بعض المؤن في الكهوف للاحتمالات القادمة ونقل الماء والاغتسال وما إلى ذلك ، ولما كانت تربطني علاقات وثيقة بجميع هذه العوائل غالبا ما كنت أتواجد هناك لتنفيذ بعض طلباتها ومساعدتها . وخلال هذين اليومين من تواجد العوائل في المقر كان ينتاب الجميع شعور بالخوف والقلق ، فالعوائل كانت قلقة جدا بشأن الأنصار وهي تشاهد بأم أعينها هذه القوات التي تحاصر المنطقة ولم تسطع أن تصل إلى قناعة بأن هؤلاء يمكن لهم الخلاص من هذا الحصار العسكري المحكم ودائما ما كانت تردد بأن تسليم العوائل سيمكن هذه القوات من الاستفراد بالأنصار والبيشمه ركه دون أي رادع ، لكنها لم تكن تفكر بأنها ستكون ضحية هذا العمل الوحشي ، وهذا ما كان يقلق جميع الأنصار وخصوصا أصحاب هذه العوائل ، الذين بحثوا كل الخيارات فلم يجدوا غير خيار تسليم عوائلهم لأسباب ذكرناها في أعلاه حتى وإن جرى التعامل معهم على اعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية ، فكانت الغالبية في حيرة من أمرها وأقنعت نفسها أن ذلك أفضل من أن تموت هذه العوائل بالسلاح الكيماوي أو جوعا في أحد الكهوف أو مرضا أو بردا أو ان تباد مجاميعهم في الطرق المؤدية إلى الحدود على يد كمائن أفراد هذه القوات المتربصة لكل حركة ليلا ونهارا ، لم يكن هناك بصيص من الأمل أو متسع من الوقت بسبب شدة هذا الحصار ومرا بضة أفراد هذه القوات على كل معبر من معابر هذه المناطق وعلى كل قمم جبالها وتجوالهم في الوديان بحثا عن أي إنسان لاقتلاعه وخطفه من هذه الأرض الطيبة ، لكي

يستقر التفكير عند الأنصار بالانتظار لفترة معينة وثم سحب العوائل إلى الحدود عبر هذه الطرق الجبلية الوعرة ..أجل لم يكن بمقدور هؤلاء الأنصار تحمل المزيد من معانات عوائلهم وأن يشاهدوا موتها تحت ضربات هذه القوات إن تقدمت ، وكان غالبية الأطفال مصابين بالأمراض كالإسهال وغيره، وكذلك الشيوخ والمعاقين ،الأمر الذي كان يمكن أن يؤدي بحياة العديد منهم ،المؤن الموجودة في المقر أخذت تنفذ من مخازنه لم يبقى منها ما يكفي لهذه الأعداد إلا لفترة قصيرة ، هكذا كان الأمر فكان هناك ألف تهديد وتهديد يتهددهم ولذلك وجدوا في هذا القرار بصيصا من الأمل ، وهو ربما ستبقى هذه العوائل على قيد الحياة ، وان وقتا ما سيجمعهم بعد ذلك إن تحقق هذا الأمر .

في ظل هكذا وضع جرى تسليم هذه العوائل على وجبتين إلى القوات التي كانت تحاصرنا ، توجهت المجموعة الأولى في 8-9 - 1988 نحو (كه لى كانى مازى) وسلمت مصيرها إلى هذه القوات هناك ، وأما المجموعة الثانية فتوجهت إلى (كه لى آفوكى) لتسلم هناك وربما كان ذلك في 9- 9- 1988 .

يتحدث النصير الشيوعي أبو عمشة الذي أراد أن يرافق عائلته مع أبو سربست لمسافة معينة ، كيف أن طائرة مروحية أصبحت تقود هذه المجموعة من ارتفاع منخفض وأن ركابها الجنود كانوا على أهبة الاستعداد للتصدي لأي مسلح يظهر بين هذه العوائل ، مما اضطرا للتراجع وفراق عوائلهم وفلذات أكبادهم إلى الأبد .

و هنا بودي الإشارة إلى أسماء أرباب هذه العوائل ، دون ذكر أسماء كل أفرادها ، لأنني سأروي قصص التحاقهم وأسبابه ضمن المحطات القادمة .

ومن الجدير بالذكر أن بعض العوائل التي سترد أسماءها ضمن القائمة التالية سلمت مصيرها ضمن وجبات أخرى وليس مع هاتين المجموعتين ، ولكن في نفس هذه المناطق التي نتحدث عنها خلال هذه المحطات .

وكانت هناك عدة عوائل أخرى ضمن المحاصرين من العوائل الأيزيدية تابعة إلى الأحزاب الكوردستانية تخلصت من الهلاك بقدرة قادر وبقت ضمن المحتجزين في مجمع به حركى القسرى إلى أن اندلعت إنتفاضة آذار المجيدة في 1991 . ويعيش قسم منها الآن في دول المهجر . إضافة إلى عوائل أخرى لم تسلم نفسها إلى هذه القوات وفقدت بعضا من أحبتها و لكنها استطاعت بعد معانات رهيبة من الوصول إلى الحدود وفيما بعد إلى أوروبا .

وبودي التأكيد إلى إنني استخدمت كلمة الناجي لأن الذين وردت أسماءهم تحت هذا الاسم كانوا ضمن كل هذه الأحداث المأساوية ونجوا وكما قرأتم وستقرأ ون عبر هذه المحطات بعد أن تعرضوا لأخطار موت حقيقية في مختلف مراحل هذا الحصار ، واستخدمت كلمة المؤنفل لأضع هذه الجريمة البشعة في متناول القارئ الكريم والتأكيد على حجمها ، لأن هؤلاء المؤنفلين والواردة أسماء بعضهم وأعدادهم ، هم ضحايا وشهداء هذه الحملة أعرفهم فردا فردا وكنت على علاقة وثيقة بأغلبهم ، ولحد هذا اليوم لاتوجد أية معلومة عنهم تدل على مقابرهم أو أي شئ آخر ..

والغريب هنا أيها السادة القراء أن جميع هؤلاء الناجين جرى استثناءهم من الإدلاء بشهاداتهم أمام المحكمة الجنائية العليا التي تحاكم هذه الزمرة بهذه الجريمة ، بالرغم من استعدادهم الكامل من أجل ذلك ، ليس هذا فقط بل عملوا كثيرا كي يتحقق هذا الأمر وتتوفر لهم فرصة لإدلاء بشهاداتهم إزاء هذه الجريمة ولكن دون جدوى .

– الناجي علي حاول بكو فقد 27 فردا من عائلته لم يعد لهم أي أثر منذ تلك الفترة ، ونجى من هذه الحملة مع علي أخويه الاثنين خدر حاول بكو وأيزدين حاول بكو .وكان هؤلاءمن أنصار الحزب الشيوعي العراقي .

– المؤنفل عبدال حيدر درويش مع 11 فردا من عائلته، وهو من قرية شاريا ، تابعة الى ناحية فايدة – دهوك ، من أنصار الحزب الشيوعي العراقي مع عدد من أولاده المؤنفلين .

– الناجي صبحي خدر حجو فقد خمسة من أفراد عائلته بينهم زوجته و 3 من أولاده وأحد أبناء شقيقه. من بحزانى – نينوى ، احد قادة الأنصار في الحزب الشيوعي العراقي .

– الناجي حسين حجي كنجي فقد 9 من أفراد عائلته . من بحزانى نينوى . احد قادة الأنصار في الحزب الشيوعي العراقي .

– عائلة المرحوم جمعة حجي كنجي فقد 4 من أفراد عائلته . بحزانى – نينوى ، من الشيوعيون القدامى .

–الناجي خليل جمعة حمو فقد عائلته المتكونه من 3 أفراد . بعشيقة – نينوى، من انصار الحزب الشيوعي العراقي .

– المؤنفل دخيل سلو خدر مع زوجته وأبنته . بعشيقة – نينوى ، من الكوادر التنظيمية في الحزب الشيوعي العراقي .

– المؤنفل حسين خرتو سينو مع زوجته ، من انصار الحزب الشضيوعي العراقي .

–المؤنفل خديدا طيبان عمر مع أبنه. من انصار الحزب الشيوعي العراقي .

–الناجي خيري درمان حجي ، فقد 6 من أفراد عائلته ، قرية حتارة – القوش – نينوى ، احد قادة الأنصار في الحزب الشيوعي العراقي .

– الناجي خديدا حسين فليبوس، فقد 4 من أفراد عائلته . من قرية حتارة – ناحية ألقوش – نينوى ، من أنصار الحزب الشيوعي العراقي .

– الشهيد جوقي سعدون حكيم أستشهد في 5-6-1987 أثناء تعرض مقر قاطع به هدينان للقصف الكيماوي ، فقد 4 من أفراد عائلته . من قرية دوغات – ألقوش – نينوى. احد القادة التنظيميين في الحزب الشيوعي العراقي .

– المؤنفل شمو سليمان سعدون مع عائلته المتكونة من 3 أفراد ، وهو أبن شقيق الشهيد أبو فؤاد . من قرية دوغات – ألقوش – نينوى . من أنصار الحزب الشيوعي العراقي .

– الناجي عادل عيسى خليل حجي ، فقد 11 من أفراد عائلته ، وهو من قرية دوغات – ألقوش – نينوى . من أنصار الحزب الشيوعي العراقي .

–المؤنفل جلال خليل حجي مع عائلته المتكونة من 6 أفراد ، وهو شقيق الشهيد أبو ماجد

ومن قرية دوغات _ القوش – نينوى .من أنصار الحزب الشيوعي العراقي

– عائلة الشهيد علي خليل حجي (أبو ماجد) فقد 7 من أفراد عائلته ، وهو من قرية دوغات – القوش – نينوى . أحد قادة الأنصار في الحزب الشيوعي العراقي .

–المؤنفل عيدو عبدي ناصر ، مع عائلته المتكونه من 7 افراد ، وهو من قرية دوغات – ألقوش – نينوى . من أنصار الحزب الشيوعي العراقي .

18 –المؤنفل خلات رشيد بوزاني مع عائلته المتكونة من 5 أفراد وهو من قرية بوزان – ألقوش – نينوى . من أنصار الحزب الشيوعي العراقي .

– المؤنفل هادي علي حسين مع زوجته وهو من أهالي قرية بوزان – ألقوش – نينوى ومن بيشمه ركه الحزب الديمقراطي الكوردستاني .

– المؤنفل باسم شاكر كولاني ، من قرية بوزان – ألقوش – نينوى ، كان والده من الحزب لديمقراطي وموجودا في هذا الحصار مع بقية عائلته ولكنه نجى بعد أن احتجز في به حركى .

– المؤنفل نجيم خرمش مراد ، من قرية بوزان – ألقوش – نينوى ، من بيشمه كه الحزب لديمقراطي الكوردستاني .

– المؤنفل حسن دينو حجي (دلبرين) من قرية خوشابا– ألقوش – نينوى . من أنصار الحزب الشيوعي العراقي .

– المؤنفل بييو قوجى (ابو حازم) من قرية خورزان – ألقوش – نينوى . من أنصار الحزب الشيوعي العراقي .

– المؤنفل خديدا خدر يزدين مع عائلته المتكونة 3 أفراد ، من قرية خورزان – ألقوش – نينوى . من بيشمه ركه الحزب الديمقراطي الكوردستاني .

– المؤنفل خورشيد عمرسعدو ، مع عائلته المتكونة من 2 فردين ، وهو من قرية خورزان –

القوش –نينوى . من الحزب الديمقراطي الكوردستاني .

– المؤنفل حيدر سليمان زرّاق مع عائلته المتكونه من 4 أفراد ، وهو من قرية خورزان – ألقوش – نينيو ى . من انصار الحزب الشيوعي العراقي .

– المؤنفل حسين سيسو ، مع عائلته المتكونة من 7أفراد ، وهو من قرية كه رسافا – ألقوش – نينوى . من أنصار الحزب الشيوعي العراقي .

–المؤنفل درويش صالح مع عائلته المتكونة من 4 أفراد ، من قرية داكا – ألقوش – نينوى . من الحزب الديمقراطي الكوردستاني .

– المؤنفل مصطو صالح داكي مع زوجته ، وهو من قرية داكا – ألقوش – نينوى . من الحزب الديمقراطي الكوردستاني

– المؤنفل خديدا محمود مع عائلته المتكونة من 4 أفراد ، وهو من قرية ملا جه به را – شيخان نينوى . من الحزب الشيوعي العراقي .

– الشهيد هرمز خوشابا مسيحي من قرية عين بقري – الشيخان– نينوى . استشهد في أحدى المعارك مع مرتزقة النظام النظام البائد ، فقدت عائلته المتكونة من 8 افراد ، كان من قادة أنصار الحزب الشيوعي العراقي .

– المؤنفل الياس شرو مع عائلته المتكونة من زوجته وولده ، وهو من قرية أيسيان – الشيخان – نينوى . من الحزب الشيوعي العراقي .

– المؤنفل عارف الياس كرتان ، من قرية باعذرة – الشيخان – نينوى . من أنصار الحزب الشيوعي العراقي .

– المؤنفل نائف ردو ، من قرية باعذرة – الشيخان – نينوى . من أنصار الحزب الشيوعي لعراقي .

– المؤنفل أرجان ماري حسن من قرية باعذرة – الشيخان – نينوى . من كوادر حزب الشعب لديمقراطي الكوردستاني الذي كان يقوده الشهيد سامي سنجاري .

– المؤنفل فريد ماري حسن من قرية باعذرة ، شقيق أرجان ، من حزب الشعب الديمقراطي

الكوردستاني .

– المؤنفل صبري محمود خدر من أهالي قضاء الشيخان – نينوى ومن أنصار الحزب الشيوعي العراقي

– المؤنفل إسماعيل باباشيخ ، الشيخان – نينوى . من الإتحاد الوطني الكوردستاني .

–المؤنفلة شيرين شمعون البازي مواطنة مسيحية من عين سفنى – نينوى ، شقيقة القائد الأنصاري دنخا البازي ، كان احد أولادها ضمن أنصار الحزب الشيوعي العراقي .

–المؤنفل خدر حمد عطو كينجو مع عائلته المتكونة من 6 أفراد ، وهو من من مجمع الجزيرة (سيبا شيخ خدرة) – سنجار – نينوى . كان من أنصار الحزب الشيوعي العراقي .

–المؤنفل سعيدسلو جردو كينجو مع عائلته المتكونة من 5 أفراد ،وهو من مجمع الجزيرة (سيبا شيخ خدرة) – سنجار – نينوى . من أنصار الحزب الشيوعي العراق.

– المؤنفل بدل سليمان عمر من مجمع تل عزير ، قضاء سنجار – نينوى من بيشمه ركه الحزب الديمقراطي الكوردستاني. .

– المؤنفل خديدا عيدو من قرية بوزان – ألقوش – نينوى , وهو من بيشمه ركه الحزب لديمقراطي الكوردستاني .

– المؤنفل حسين علي حسين من أهالي بعشيقة – نينوى ، وهو من أنصار الحزب الشيوعي لعراقي .

– المؤنفل تحسين عيسى حمو ، من أهالي بعشيقة – نينوى وهو من أنصار الحزب الشيوعي العراقي .

– المؤنفل حسين خلف كانون من أهالي بعشيقة – نينوى وهو من انصار الحزب الشيوعي لعراقي .

نُقلَ هؤلاء لحد علمنا في نفس هذا اليوم بواسطة سيارات عسكرية إلى أماكن مجهولة ، وعرفنا بعد أن وصلنا إلى مناطق الده شت إن قسما من هذه العوائل جيئ بهم إلى دهوك ومكثوا في قلعة نزاركى عدة أيام قبل نقلها إلى أماكن مجهولة وكما قلنا لحد يومنا هذا .. وفي نفس تلك الأيام تحدثت مع العديد من الأصدقاء والرفاق في الده شت والذين شاهدوا هذه العوائل وتحدثوا معها وساعدوها ببعض إحتياجاتها ، وكان من بين هؤلاء بعض أقاربها يتواجدون هناك بحكم إضطرارهم العمل في التشكيلات العسكرية الغير نظامية ، وقال هؤلاء أن السلطة بعد عدة أيام قامت بنقل هذه العوائل إلى جهة مجهولة .

وتحدث فيما بعد الناجي خدر بكو عن قصة نجاته الرهيبة ، حيث قال نقلوا أعدادا كبيرة من عندنا في كل سيارة من هذه السيارات العسكرية ، وواصل القول ، إن السيارة التي كنت أستقلها أنا مع مجموعة كبيرة والتي كانت تتجه بنا نحو قضاء الشيخان ، تركها سائقها في منطقة ما وفي منحدر جبلي كان من شأنه أن يمزقنا جميعا لو واصلت السيارة التدحرج إلى النهاية ، و يقول ، ولكن لحسن حظنا أرتطمت بعد مسافة قصيرة بصخرة كبيرة كانت على جانب من الطريق ، فتوقفت السيارة وإن أغلب ركابها أصيبوا بجروح مختلفة ، لذا اضطرت هذه القوات لنقلنا إلى احدى مستشفيات مدينة الموصل للمعالجة .

واثناء العلاج كان يرافقنا أحد الضباط العسكريين ، أدركت في لحظة ما إنه يريد التحدث إلى أحدنا ولكنه كان مترددا وكنا في نفس الوقت مترددين ونخاف الإستفسار عن ما في داخله ، ولكنني رغم ذلك حاولت الإقتراب منه ومعرفه ما وراء نظراته ومحاولة التقرب منا ، فقال بصوت خافت حاولوا الهرب من المستشفى لأنهم سيقتلونكم حتما ، لذا أنا أترك لكم بعض الثغرات لكي تفروا ، و قال خدر بكو فأسرعت ألى اخي (حجي)الذي كان معنا في السيارة وفي المستشفى أيضا وتحدثت له عن ما قاله الضابط ، ولكنه لم يقتنع وقال ربما تكون حيلة ، ليقضي بواسطتها علينا ، وحاولت معه كثيرا ولكن دون جدوى ، واثر هذا الموقف حسمت أمري وقررت الهرب وتحقق ذلك بمشقة بسبب إعاقتي ، المهم وصلت إلى مناطقنا وبقيت

مختفيا لفترة طويلة إلى أن عاد شقيقي علي من سوريا سرا والذي لم أكن أعرف عنه وعن رفاقه أي شئ ، فاخذني أيضا إلى سوريا سرا.

وخدر كان يقول منذ البداية أرادوا قتلنا ، ولكن الصدفة وهذا الضابط الشريف والذي أعتقده كان شيعيا أنقذني أنا شخصيا .
ومن بين هؤلاء المؤنفلين هناك من سلم نفسه إلى السلطات في مناطق الشيخان وعبر وساطات قام بها البعض ممن يتعاونون معها ومع الحركة في نفس الوقت ، ولكنهم فقدوا أيضا كما فقد الجميع ، وكان بين هؤلاء الأنصار (أبو فارس) دخيل سلو خدر وابو سلام (خديدا طيبان) و(أبراهيم) حسين خرتو رغم مرضه الشيزوفيرينيا ، واسماعيل برهيم بابا شيخ

وأما الذين جرى إحتجازهم من العوائل الموجودة في مناطقنا التي تحدثنا عنها ، في به حركى فقد نجوا من الموت ومن العوائل المعروفة بالنسبة لي – عائلة مام أحمد وأبنه عابد وعائلة محمد سواري (أبو فيلمير) وعائلة سعيد سواري وهؤلاء الثلاثة أشقاء كانوا أنصار في صفوف فوات الحزب الشيوعي العراقي ، وهناك العشرات من عوائل هذه المناطق كانوا ضمن المحتجزين في به حركى كنت على علاقة طيبة بهم ، والتقيتهم بعد انتفاضة آذار المجيدة في مدينة دهوك . تحدثوا عن الكثير من معاناتهم خلال سنوات الحجز ، لامجال لذكرها في هذه المحطات .

إضافة إلى هؤلاء كان هناك أفراد آخرين كانوا أنصارا في الحزب الشيوعي العراقي وكانوا ضمن المحتجزين في به حركى فنجوا هم أيضا من الموت ، مثل (أبو ليلى) بيبو رشو وشمدين عيسى شقيق عادل عيسى المذكور في أعلاه و (أبو فلاح) حسن من قرية سرشكة . وخليل حمو من بحزاني

من خلال هذه المحطة من محطات أنفال به هدينان أدعو كل القراء الأعزاء وكل المناضلين ضد الدكتاتورية البائدة وكل الشرفاء إلى إعلان تضامنهم مع المقترحات التالية بشأن

المؤنفلين وذويهم .

1- الطلب من الحكومة الكوردستانية بضرورة تشييد مقبرة رمزية (نصب تذكاري)لهؤلاء الشهداء في أحدى المناطق الأيزيدية ، وإقامة مراسيم دفن رسمية ، على مستويات عالية .

2- العمل سريعا من أجل إشراك عدد من ذوي هذه العوائل في محاكمة صدام وأعوانه للإدلاء بشهاداتهم أمام هيئة المحكمة الموقرة .

3- تنفيذ كافة المعاملات المتعلقة بهذه العوائل وذويهم ، كإصدار شهادات الولادة لمن ولد في هذه القرى الجبلية وشهادات الوفاة لمن أنفل ، وعقود الزواج لمن تزوج .. وتسهيل تعويض ذويهم الذين تتعرض معاملاتهم إلى الإهمال طيلة هذه السنوات الماضية من التجربة الكوردستانية .

1- تكريم المناضلين الذين تضرروا كثيرا وتعرضوا مع عوائلهم إلى أخطار جسيمة خلال تلك الحقبة السوداء للنظام البائد .

المحطة الثانية عشرة

إذن غادرت هذه العوائل المقر من أجل التسليم لهذه القوات وكنا نتمنى لها الخير غير أن نظام البعث لم يكن يعرف غير الشر لمواطني العراق بشكل عام ولم يكن يفي بأي وعد يقطعه على نفسه، فرغم قرار العفو الذي أشرنا إليه في المحطة السابقة كانت هذه العوائل مع عشرات الآلاف من الأكراد الآخرين من مختلف مناطق كوردستان ضحايا لهذه الحملة العسكرية ، وقرار العفو الصادر عن ما يسمى بمجلس قيادة الثورة لم يكن غير مصيدة ضمن هذه الحملة لتمكين قواته من القضاء على أكبر عدد من المواطنين .

أصبحت قواتنا وحيدة في هذه المنطقة من جبل كارة ولم يكن لنا أي علم بمكان وجود قوات

حدك وأي المناطق التجأت إليها ، فكان في تصورنا ربما إنها استطاعت أن تجد طريقها إلى الحدود ، ولكنه تبين فيما بعد إنها كانت تعيش أيضا في نفس الحصار إلى ما بعد أيام طويلة من مغادرة العديد من مجاميعنا نحو الده شت . وهذا ما سأتطرق إليه في المحطات القادمة اعتمادا على المعلومات التي حصلت عليها من الرفيق أبو عمشة لأنه كان من ضمن المجاميع التي بقيت فترة غير قصيرة في كارة وحاول كثيرا التنسيق مع مفارز حدك لغرض الوصول إلى الحدود التركية .

أشرت في المحطة السابقة ، بأننا تحركنا من أجل تشكيل مجاميع لاختراق خطوط هذه القوات المنتشرة بكثافة لم تشهدها مناطق كوردستان في السابق ، بالرغم مما كانت ترتكبه القوات العسكرية من جرائم في ظل ممارسات مختلف الحكومات المتعاقبة على السلطة في العراق للسياسات الشوفينية ضد الشعب الكوردي وحقوقه القومية المشروعة ، والجدير بالقول أن أشير إلى أن هذه السلطة نفسها أي حكومة صدام الدكتاتورية لم تتجرأ الإقدام على مدار فترة حكمها على مثل هكذا جريمة وبهذا المستوى البشع وبواسطة هذا القدر من القوات والمسلحة بهكذا أسلحة قتل جماعية وقادرة على تدمير فظيع ، ربما يرتعب المرء عندما يسمع بكل ذلك فكيف بضحايا هذه الحملات والعمليات التي ابتدأتها في به هدينان عندما دمرت القرى الأيزيدية (ملاجه به را و كاباره وطفطيان وخورزان وكه رسافا و(ديده فان) ..كان يسكنها الكوجر .. من العشائرالكوردية الرحالة استقرت في القرى والأرياف الكوردستانية)* هذه القرى المتاخمة للسلسلة الجبلية بين قضاء شيخان وناحية ألقوش وثم في كه لي زيوة عندما قتلت فيها الشيوعيون بواسطة الغازات السامة وبعد ذلك أرتكبت جريمة العصر عندما قتلت سكان حلبجة جماعيا بالغازات السامة أيضا وعندما توغلت في جرائمها في كل مكان من كوردستان في باليسان وشيخ وه سان وبه رى كارة والعشرات غيرها التي عاشت ويلات هذه الأسلحة .

فمع مغادرة العوائل لتسليم مصائرها بيد دراكولا العراق بدأت تتشكل مفارز خفيفة من الأنصار كل واحدة منها تأخذ طريقها إلى ناحية ما ، للبحث عن طريق وعبور الحدود سواء كان إلى

تركيا ومن هناك إلى أيران أو إلى سوريا ، طبعا هذا الأمر لم يكن بغياب علم قيادة الحزب التي عملت من أجل الاستعداد لاستقبال المجاميع التي تصل إلى الحدود السورية بالتنسيق مع سلطاتها ، وأنا كنت ضمن أول مجموعة تأخذ طريقها وتتوجه إلى (الده شت) أي سهل الموصل لغرض العمل على تهيأة هذا المنفذ أي منفذ سورية وكم سنستطيع تحقيقه من إيصال الأنصار إلى هناك ، وتزامنت انطلاقتنا مع مجموعة أخرى تحركت نحو الحدود التركية عبر مناطق سرسنك بقيادة النصير الشيوعي أبو سلوان الذي كان احد أعضاء اللجنة المحلية حينذاك وهو من الرفاق العرب وكل ما أعرف عنه رغم الدراسة معا في معهد العلوم الاجتماعية بموسكو هو أن الرفيق كان حقوقيا ، ولم يكن مناسبا أن نسأل بعضنا البعض في تلك الأيام العصيبة من الكفاح المرير ضد الدكتاتورية عن معلومات شخصية خاصة بكل واحد منا .. وكانت مفرزتنا تتكون من حوالي عشرة أشخاص بقيادة الرفيق أبو أمجد الذي كان عضوا في اللجنة المحلية وشغل لسنوات عديدة صفة المستشار السياسي للفوج العامل في مه رانى قبل عملية الدمج التي تحدثنا عنها في المحطات السابقة وهذه الصفة كانت تؤهل صاحبها أن يكون عضوا في المكتب العسكري لكل وحدة يتواجد فيها من وحدات الأنصار التي كانت عادة تبدأ بالحضيرة ويليها الفصيل وثم السرية والفوج والقاطع وكان لكل وحدة من هذه الوحدات مستشارها السياسي أي المسئول الحزبي إلى جانب المسئول العسكري والمسئول الإداري .. تحركنا ليلة 9- 9 / 10- 9 منحدرين قبل حلول الظلام من القمم التي كانت تعلو فوق مقر مه رانى . باتجاه الجبل الذي كان يفصله (مقر مه رانى) عن قرية صوصيا والتي تبعد عنه مسافة نصف ساعة سيرا على الأقدام .

كان في مثل هذا الحصار الشديد التحرك بأي اتجاه يعني مجازفة قد يكون ثمنها الموت والبقاء انتظارا في هذا الجبل هو الآخر بمثابة انتحار ، لذلك كان لابد من الحركة وكان على أفراد هذه المجاميع أن يضعوا في الحسبان أخطر الاحتمالات بدءا من أول خطوة يخطونها وانتهاءا بالخطوة الأخيرة التي كنا ننتظر الظفر بها بعدما كان الخوف والمخاطر العديدة والرهيبة تنال من الكثيرين منا الجرأة المطلوبة للتصدي لهذه المجازفات من أجل الخلاص من الطوق الرهيب والمفروض علينا .

ولذلك كان ينبغي علينا أن نتحرك بحذر شديد في مثل هذه الأجواء الجديدة والتي تسيطر فيها القوات العسكرية للنظام على مجمل الأرض التي كنا نتحرك عليها قبل أيام من هذا الوقت وبأعداد هائلة ، وكان الوضع يشبه وكأننا دخلنا هذه المناطق الخطرة لأول مرة ، فلم يتسع لنا الوقت الكافي لاستطلاع مواقع العدو المزروعة في الطرق والمناطق كافة وهذا ما حتم علينا أن يكون تحركنا اعتمادا على الخبرة التي تراكمت لدينا عبر السنوات الطويلة التي قضاها كل واحد منا في هذه الجبال ضمن وحدات الأنصار المختلفة واستغلالها ضمن هذه المفرزة الصغيرة ... بعد أن ودعنا الرفاق عاهدناهم أن نبذل جهودا مضنية من أجل تنفيذ مهمتنا على أكمل وجه لخلاص أكبر عدد من الرفاق ، خلال المنفذ الذي ذهبنا من أجله نحو الده شت ، سرنا باتجاه المقبرة القديمة التي كانت تقع على مرتفع في نهاية مه رانى وعلى الطريق إلى وادي (كه لى آفوكى) ومن هناك أخذنا اتجاهنا بين الغابات نحو نهاية الجبل الذي كان يفصل المقر عن قرية (صوصيا) وكان علينا تسلقه قبل الدخول في (كه لى آفوكى) لأنه مع كل محيطه كان محتلا من قبل قوات الجيش والجحوش ، وعادة ما كانت الإطلاقات التنويرية ترشدنا على طرق وأماكن خالية من هذه القوات ، لأننا كنا نتجنب الأماكن التي تنطلق منها ، ومعروف لدى أبناء هذه القرى والأنصار العاملين فيها حدة صعود هذا الجبل من هذه المنطقة بالذات رغم عدم ارتفاعه كثيرا ، فهو عبارة عن قطع صخري شبه قائم من الصعب جدا تسلقه من جهته الشمالية ولذا فهو ليس موضع شك لدى هذه القوات وبالتالي احتمال أن تكون هذه المسافة هي نقطة عبور الأنصار .

الوصول إلى القمة كان بحذر شديد ولكننا بحماس ودون مشاكل تذكر بلغناها ومن هناك كان علينا أن نراقب عن كثب أماكن تواجد القوات من خلال الأصوات التي نسمعها أو الإطلاقات التنويرية التي كانت تنطلق من كل مكان أو النيران المشتعلة للتدفئة ، وفي الحقيقة لم يكن من السهل أن يتوقع أي أحد منا بأننا سنستطيع النجاة والقدرة على اختراق هذه الحلقات المتتالية من القوات دون أن نصطدم بها ، وكنا ندرك أن أي اصطدام بيننا وبينهم سيوقع بنا خسائر من شأنها أن تشل حركتنا ووضعنا في ورطة حقيقية لم نكن نرغب بذلك لأن وضعنا

لم يكن مؤهلا لذلك وكان علينا إنقاذ ما يمكن إنقاذه من أرواح الأنصار ، تم وضع خطة حركة منضبطة من هذا المكان نحو الجبل المقابل عبر أراضي قريتا (ميزى وبانيا ته علا) ، وكان وقت وصولنا إلى هذا الجبل هو الكفيل فيما إذا كنا سنواصل السير أو سنتوقف في حالة عدم تعرض هذه القوات لنا أو وقوعنا في أحدى كمائنها ، وعلى هذا الأساس أي بعد كشف المنطقة بالطريقة التي جرى ذكرها اخترنا الأماكن والوديان التي نسير عبرها نحو النقطة المحددة ، فلذلك انحدرنا من هذا الموقع نحو الوادي والنهر الذي كان يشق عمقه بمياه عذبة نادمة من مه رانى ومن ينابيع كانت تنتشر في وادي آفوكى وصرنا بذلك على الجهة الغربية لقرية (جه مانكى) ، وشيئا فشيئا كنا نميل ونتوجه غربا حتى نصل إلى منطقة بعيدة نسبيا عن فتحة الوادي من نهايته وبعيدة أيضا من قرية (بانيا ته علا) ، وهي أماكن تواجد مكثف لهذه القوات حسب ملاحظتنا لها خلال فترة الاستطلاع التي قضيناها على قمة الجبل وما كنا نشاهده من نيران مشتعلة وأصوات تصل إلى أسماعنا ، من تلك النقطة عبرنا النهر باتجاه نهاية السلسلة الجبلية والتي تفصلها عن نهاية هذا الوادي طريق ترابية للمركبات كان يستخدمها الأهالي قبل هذا الوقت لنقل منتجاتهم من المزارع إلى القرى ومنها إلى الأسواق في المدن عملت على تنفيذها سلطات نظام صدام للأغراض العسكرية .

واصلنا السير بحذر بين مواقع العدو الكثيفة جدا حتى كانت المسافة في بعض الأحيان بيننا وبينها لا يمكن حسابها إلا بأمتار قليلة ، ولكن كل ذلك كان يتم دون أن يشكل خطرا علينا ، غير التأخير الذي كنا نخشاه والذي كان يمكنه في النهاية أن يشكل خطرا علينا قبل أن نصل إلى منطقة نستطيع الاختباء فيها لليلة أخرى لكي نجدد المسير نحو النقطة المحددة لنا وانتظار مجاميع أخرى هناك للشروع الفعلي نحو تحقيق منافذ خلاص ، وصلنا إلى هذه النهاية الجبلية وسط هذه المواقع وعلى أرض منبسطة تتخللها وديان وتلال لا يتعدى عمقها أو ارتفاعها إلا أمتارا قليلة ، قطعنا جزءا منها على سبيل الابتعاد أكثر من قرية (ميزى)،) التي كانت يكثر فيها مواقع العدو ، حتى صرنا بينها وبين قرية (باك باكى) ومن هناك انحدرنا باتجاه الطريق الترابية لعبورها والقادمة من وادي (سبينداري) وكذلك النهر القادم من هناك أيضا فكانت هذه الطريق تنتهي على الشارع المبلط بين قريتي (كاره فا وشكه فتى)* أما

النهر فكان ينتهي بمصبه في بداية وادي (كه لى كانى مازى) بعد أن كان يلتقي مع النهر الذي ينحدر من كه لي (سيده را) عبر قرية (آطوشى) ، وكانت مناطق ما بعد الشارع والنهر تبدو أفضل وأهدأ من تلك التي تجاوزناها ، فكانت مواقع القوات الظاهرة من خلال نيرانها أقل بكثير من ما قبلها وأعتقد أن سبب ذلك كان يعود إلى عدم وجود قرى في قسم كبير منها وبالتالي فإن هذه القوات لم تكن تتوقع أن تستطيع مجاميعنا الوصول إلى هناك واختراق خطوطها المتعددة ، لذا كانت المسافة التي ما بعد عبور هذا الشارع الترابي والنهر أسهل سيرا لم نكن نضطر للسير في طرق بعيدة وملتوية ، فأسرعنا الخطى نحو الجبل ، ومعروف أيضا أن هذا الجبل فيه غابات كثيفة أكثر من غيره علاوة على حدة ارتفاعه الذي يصعب تسلقه بسهولة إلا عبر الطرق التي كان يعتمدها القرويون ، وبالنسبة لنا وفي ظل هذه الظروف لم نكن نفكر أن نسير عبر هذه الممررات الجبلية بتاتا كون غالبيتها كانت مراقبة بمجموعات من هذه القوات . لذا اخترنا منطقة للصعود كانت بعيدة عن الشبهات وهي التي استطاعت أن تنال منا الكثير من قوانا ورغم ذلك كان لابد لنا أن نواصل السير في كل الأحوال ، فبلغنا القمة ومن هناك أيضا حاولنا مراقبة ما يدور في حوض هذا الجبل الذي كان يحتضن ضمنه قرية واحدة وهي (كه فه ركى)* فضلا عن بعض القرى البديلة لم نكن نعرف كلها ، كان الوضع هادئا في هذا الحوض الواسع وتوقعنا إن يكون خاليا في الليل تماما من القوات العسكرية ، وهذا ما أدخل الطمأنينة في قلوبنا بعض الشيء ، لأنه يوفر لنا الفرصة اللازمة لكشف الطريق في اليوم الثاني إن أخفقنا العبور في هذه الليلة أو في ليلة أخرى .

انحدرنا مرة أخرى من هذا الجبل لكي نصل إلى قاع حوضه الواسع وثم خوض تجربة أخرى من الصعود وسط غابات كثيفة وعدم وجود ممرات مطروقة وأن غابات هذه المنطقة لم تكن قد تعرضت إلى الحرق لحد هذا اليوم رغم أن النيران كانت تلتهم كل شيء حولها وكانت تشدد من الخناق عليها شيئا فشيئا ، كان الوقت لا يزال كافيا للوصول من هذا المكان إلى قمة تشرف على قرية (هه سنه كا)* لاستطلاعها والعبور مباشرة من خلال أراضيها إن تبقى لنا من الوقت ما يكفينا للوصول إلى الجهة الثانية أي عبور الشارع المبلط الذي يربط بين زاويتة وأتروش ، أو على الأقل عبور القرية لكي يتسنى لنا في اليوم الثاني مراقبة الشارع نهارا

واختيار الطرق الملائمة لعبوره ، وهكذا وجدنا أنفسنا في هذه القمة نراقب (هه سنه كا) وبعد مراقبة متأنية أخذت من وقتنا الكثير وكان لتبادل الرأي حول المناطق الممكنة العبور من خلالها التأثير الحاسم على التراجع وسط الانتشار الكثيف جدا للجيش والجحوش في جميع هذه المناطق التي تقع على خط عبورنا وعدم إمكانية إختراقها ، هذا من جهة ومن الجهة الثانية كان الوصول وسط هذا الانتشار المكثف بحاجة إلى وقت كافي ، وهذا ما كان ينقصنا بعد هذا الاستطلاع فقد تجاوز الوقت منتصف الليل وبدأت خيوط الفجر تظهر والظلام بدأ يتبدد والصباح كان قادما .

لذا كان علينا العودة سريعا إلى الخلف للبحث عن مكان اختباء يقينا من أية مداهمة لهذه القوات التي تبحث في النهار عن كل شيء يقع تحت يدها ، وهكذا وجدنا أنفسنا قبل حلول النهار بقليل في قرية بديلة تقع ضمن هذا الحوض الجبلي وخلف هذه السلسلة الجبلية وبالضبط خلف قرية (نه سره)* كان ما حول هذه القرية البديلة والسفح الذي يفصل بينها وبين القمة نحو الجنوب عبارة عن مزارع للكروم تعود إلى أهالي قرية كه فه ركى هي تكثر وتنتشر على طول هذه السلسلة الجبلية وتعطي ثمارا ذات جودة عالية تتميز عن بقية المناطق بسبب تعدد أنواعها وطيبة طعمها ذو المذاق الحلو ووفرة محصولها وكان اهالي هذه القرى يصنعون أجود أنواع الزبيب منها ، وإضافة إلى هذه المزارع كانت هناك بساتين مزروعة بالخضروات والفاكهة الصيفية يجري إروائها بمياه نبع تقع بالقرب من قمة الجبل الذي يقع جنوب هذه البساتين وينحدر إليها شمالا ... تقرر أن نمضي نهارنا بين تلك البيوت التي كانت موجودة هناك والتي لم تصلها لحد ذلك الوقت أية قوات حكومية ، وكان عددها ليس كثيرا .

في هذا المكان وقبل أن نبدأ بأي شيء حرصنا على أن نجهز حقائبنا بما يتوفر من طعام في هذه البيوت ، وكان في الواقع الطعام المفضل لنا في ظل ظرف نحتاج فيه إلى الخفة وسرعة الحركة هو ما نستطيع حفظه في هذه الحقائب (حقائب الظهر، العليجة) فكنا نعتمد على كمية من الحليب المجفف وكمية من السكر ومن يرغب كان يضيف عليها كمية من القهوة (

النسكافة) وكمية من الزبيب وكمية من اللوز ، لأن هذه المواد كانت تشكل وجبات غذائية تقينا من التعرض إلى مشاكل حادة بسبب الجوع وفي الوقت نفسه أخف من أي طعام آخر ، وهذا لا يعني إننا لم نكن نحمل معنا خبزا أو أي شيء آخر نحصل عليه من هذه القرى ولكن بكميات أقل وكنا نتناول مثلها في أوقات الراحة أو البقاء الاضطراري في قرية ما أو بالقرب منها ، وهكذا بعد ذلك أي بعد فترة نوم وبحراسة مشددة صرنا نتفحص ما حولنا ، لم نجد ما يدل على وجود قوات عسكرية بالقرب منا ولكن أصوات الإنفجارات والرمي المتواصل دللت على وجودها ليس بعيدا عن هذا المكان ولكن خلف القمم التي تسيطر عليه وأعني على هذا المكان الذي نتواجد فيه .. في الظهيرة أردنا أن نجلب ماءا لكي نطبخ مادام الوضع هادئا فذهبنا إلى البساتين وجدنا مجرى الماء ، طبخنا وغسلنا وجوهنا بعد أن كان بيننا من لم يغسله منذ أيام طويلة وتكرر ترددنا إلى الماء ولكن حصول رمي بالقرب من هذا المكان لم نتعرف على مصدره جعلنا أن نبقى قابعين بين هذه البيوت وفي كهوف موجودة هناك مستعدين لأية حالة طارئة ... خلال هذه الفترة وجدنا كهفا مليئا بمواد بقالية تعود إلى أحد القرويين أو أحد التجار الذين كانوا يبادلون بضاعتهم بين مناطق سهل الموصل وبين المناطق الجبلية وبالعكس ، وكان ضمن هذه المواد الكثير مما يؤكل والكثير من الأقمشة مما دفعنا رغم المخاطر التي نعيشها إلى تبديل (البشاتين .. شووتك)* بأخرى جديدة لم نكن نستطيع اقتناءها في الأوقات العادية أو إذا كنا نريد شراءها بما يصرفه لنا الحزب من نثرية التي كانت لا تكفي إلا لشراء أقمشة ذات جودة رديئة ، استمر بقاءنا في هذا المكان إلى ما قبل الغروب حيث كان من الضروري التوجه من جديد إلى القمة المشرفة على قرية هه سنه كا لاستطلاعها من جديد ومحاولة العبور إلى الجهة الثانية .

عن المحاولات التالية لعبور قرية هه سنه كا ، سيكون لنا حديث في المحطات القادمة .

(كه لي آفوكى)*وادي قريب من مقر مه رانى ، ومدخل رئيسي إليه ، وكانت تسكنه عدة عوائل تابعة إلى قوات الحزب الديمقراطي الكوردستاني .

(كه لي كانى مازى)*عبارة عن وادي هو الآخر وتقع ضمنه قرية كانى مازى ويعد مدخلا إلى مناطق تواجد مقراتنا ويقع في الشمال من ناحية أتروش .

(به حركى)* مجمع قسري ، أقيم لهؤلاء المحتجزين في أرض قاحلة بالقرب من مدينة أربيل ، كان غير مؤهل بأبسط مستلزمات الحياة ، عاش الآلاف من العوائل فيه لمدة قاربت الثلاث سنوات ، فتوفى هناك منهم العديد من الأطفال والشيوخ بسبب الأمراض المختلفة.

– جميع الكلمات الواردة بين قوسين دون نجمة تدل على أسماء قرى ومناطق جاء ذكرها في المحطات السابقة .

– (ملاجه به را و كاباره وطفطيان وخورزان وكه رسافا وديه ده فان)* كانت من أولى أهداف حملة الأنفال التي بدأها النظام في به هدينان ، فجرى تسويتها بالأرض وتهجيرها سكانها إلى مجمعات قسرية في كل من مجمع شيخكا ومجمع النصيرية .

– (كاره فا وشكه فتى)* قريتان صمن قرى به روارى الأولى مسقط رأس المغني الكوردي الفلكلوري الشهير عيسى به روارى والثانية من القرى المعروفة على مستوى كوردستان كونها كانت قلعة حصينة للبيشمه ركه بقيادة القائد العسكري حسو ميرخان لسنوات طويلة ، وتسمى القرية بشكه فتى نسبة إلى الكهف الموجود هناك والذي كان يتخذه البيشمه ركه مقرا لهم ، أي أن الكلمة تعني بالعربية كهف .

– (كه فه ركى)* أحدى القرى القريبة نسبيا من مه رانى كانت فيها شبيبة مثقفة وواعية وغالبا ما كان أنصرنا يذهبون إلى هناك لخوض مبارات كرة الطائرة مع فريق القرية وبالعكس كان فريقهم يزور المقر أيضا ، وكان العديد من شبيبة القرية في صفوف البيشمه ركايه تى .

– (هه سنه كا)*قرية تابعة إلى ناحية أتروش تسكنها العشائر المزورية وتقع على الطريق بين مناطق به روارى ومناطق الده شت وكانت محطة راحة لقوافل المناضلين ، وكان سكانها كرماء كباقي سكان مختلف مناطق كوردستان .

– (نه سره)* أيضا من قرى منطقة أتروش وتسكنها العشائر المزورية وكان أهلها كرماء يقدرون من يحل عليهم ضيفا ولهم مساهمات نضالية في الحركة الكوردية .

– (البشاتين .. شووتك)* البشاتين جمع لكلمة البشدين باللهجة السورانية ، وقام بجمعها رفاقنا العرب ، وهو ذلك القماش الذي يستخدمه الكوردي ولفه حول خاصرته مع الزي الشعبي الذي كان يستخدمه المقاتلون أيضا في كل كوردستان ، وشووتك تعطي نفس المعنى ولكنها كلمة مفردة وباللهجة البه هدينية .

المحطة الثالثة عشرة

قلت في المحطة السابقة أن مجموعتنا كانت تتكون من حوالي عشرة أفراد ، وأؤكد هنا بأننا كنا أحد عشر فردا بالضبط ، ومما يؤسف له إنني لا أتذكر جميع من كان ضمن مجموعتنا ، والذين أتذكرهم هم كل من أبو أمجد و(أم امجد)* وخديدا حسين (أبو داود) وأبو أمل وأبو لينا و(رجاء)* وأبو حازم الإداري وفؤاد يلدا (أبو آيار) . ومن الضروري الإشارة إلى أن مجموعة أخرى متكونة من أربعة أنصار وهم كل من المؤنفلين (شاكر) شمو سليمان سعدون و(جمال) جلال خليل حجي وكاميران من ألقوش الذي لأعرف اسمه الصريح إضافة إلى النصير زيا وهو من شيخان ولا أعرف أسمه الصريح أيضا ، كانت قد تحركت هي الأخرى من مه رانى إلى الده شت في نفس فترة انطلاقنا وذلك لغرض متابعة مصير عوائلهم من هناك ولكن هؤلاء الأنصار لم يكونوا على علم بوجهتنا و ما الغرض منها .

تحركنا من تلك القرية البديلة قبل غروب الشمس ، واضعين أمامنا في الحسبان أن نصل إلى

القمة المشرفة على (هه سنه كا) قبل حلول الظلام وذلك لكي يكون لنا متسع من الوقت لاستطلاعها بصورة جيدة والعبور مبكرا للوصول إلى المحطة النهائية ، وإزاء هذا كان لابد لنا أن نحرص على السير في المناطق التي تكثر فيها الغابات الكثيفة لكي تساعدنا على المناورة في الحالات الطارئة وكان الوقت يمر سريعا فكاد أن نصل إلى نقطة نتوقف عندها من أجل مراقبة القرية ومحيطها حتى وجدنا أن مجموعة من المسلحين على يميننا بمسافة قصيرة ، كانت الرؤية بين هذه الغابات وفي مثل هذا الوقت المتأخر من النهار غير واضحة لأن الغروب كان قد حل و لم يكن من السهل أن يتعرف المرء سريعا على من يقابله على بعد مسافة كتلك التي كانت بيننا وبين تلك المجموعة ولذلك خرجت عدة أصوات سريعة من بيننا تقول رفاق جيش .. ومع هذه الأصوات اتخذنا وضعنا القتالي وتوجهت فوهات بنادقنا صوب تلك المجموعة ولكن سرعان ما تعرفنا على أفرادها .. فناديت .. توقفوا إنهم رفاقنا ... توقف الجميع دون الكثير من الأصوات خشية أن نكون قريبين من أحدى نقاط العدو ورأينا اثنان من هذه المجموعة يتراجعان سريعا إلى الخلف ولكن كل من زيا وجمال اقتربا منا بعد أن تعرفا هما أيضا علينا .. وبعد تنفسنا الصعداء سألنا عن رفيقيهما كان كل من شاكر وكاميران ، فأسرع إليهما أحد الرفاق وناداهما ولكن دون أن يتلقى منهما ردا فذهب عدد من الرفاق باتجاه نقطة تراجعهما إلى مسافة بعيدة فلم يجدوا لهما أي أثر .. لفترة زمنية ثمينة انتظرنا عودتهما ، ولكن دون جدوى في هذه المرة أيضا . لذا كان علينا أن نبدأ مهمتنا ومباشرة الاستطلاع وقد فقدنا وقتا كان يمكنه أن يساعدنا في استطلاع أفضل .. فخلال هذا الوقت الذي قارب النصف ساعة خيم الظلام على المنطقة تماما .. بعد هذا الاستطلاع وجدنا من الصعوبة بمكان اختراق خطوط العدو التي كانت تقع على طريقنا وتأكد لنا إن الإقدام على المواصلة والعبور من هذه المنطقة هي مجازفة قد تؤدي بأرواحنا جميعا .. وتحدث كل من النصيرين زيا وجمال عن محاولاتهم مساء أمس مع الرفيقين شاكر وكاميران لغرض العبور ولكنهم لم يجدوا فرصتهم في العبور بسبب هذه الكثافة من القوات التي يصعب اختراقها .

أصبح كل من الرفيقين زيا وجمال ضمن مجموعتنا من الناحية العملية .. وقررنا التراجع مرة أخرى في هذه الليلة على أمل تغيير وجهتنا في اليوم التالي فتراجعا هما معنا أيضا وكنا على

أمل أن نجد كل من شاكر وكاميران في مكان ما من هذا الجبل ، أو أن يكونا قد تراجعا إلى المقر.. ولكن لم يكن ذلك أكثر من أمنية ... فقد ذهبا دون عودة إلى الآن لا أحدا يعرف ماذا حل بهما بالضبط .. ولكن من المؤكد أنهما من ضحايا هذه الحملة البشعة ... عدنا إلى حيث ما كنا أي إلى قريتنا البديلة في وقت ما من هذا الليل وسط تشاءم وضعف الثقة بقدرتنا على العبور أمام كثافة هذه القوات المسيطرة على كل نقطة من هذه المناطق ، فخيم كل حزن هذا العالم على وجه كل واحد منا .. هل سيكون موتنا هنا قبل أن نستطيع فعل أي شيء ...؟؟ ربما مر هذا السؤال في مخيلة كل واحد منا ... صحيح أن الموت كان مخيفا بالنسبة إلى كل واحد منا ولكنني أجزم إن الأغلبية تحدته وتحدت جبروت القائمين به من أجل ن تصون كرامتها وتقول للسلطة سنواصل ما بدأناه من كفاح حتى تتحقق أمانينا في سقوط الدكتاتورية ... فرغم إن كل إخفاق كان ينال منا الكثير إلا إن إدراكنا لوحشية النظام كان يدفعنا دائما للتغلب على تشاءمنا وإخفاقاتنا .. أتذكر كثيرا عندما كنت أتحدث فيها مع جمال وزيا في تلك الليلة وكيف يمكن لنا أن نقبل العيش كمواطنين من الدرجة الثانية ونستسلم لليأس ..

مضى الليل بعد أن عقدنا العزم على المواصلة في الليلة الثانية وتقرر تغيير مسارنا عبر طريق أخرى قد توصلنا إلى الجهة الثانية ، وفي نفس الوقت تقرر النهوض مبكرا للذهاب إلى مكان آخر للاختباء فيه نهارا من نفس هذا الحوض الجبلي لأننا شعرنا إن البقاء في مكان واحد لمدة يومين متتاليين سيعرضنا إلى مخاطر جدية .. ولذلك عملنا على تعبئة حقائبنا من جديد بما كان يمكن حمله وأشرت فيما سبق إن الطعام هنا كان وفيرا .. وبعد وجبة نوم وفي الصباح الباكر نزلنا إلى أسفل هذا الحوض ومعنا طعام مطبوخ جرى تجهيزه ليلا في أحد كهوف هذه القرية .. وجدنا هنالك واد يشرف على قرية ميزي التي تركناها وراءنا ولم يكن فيه أي ممر تختاره مفارز الجيش والجحوش للمرور عبره وكان يجري فيه نهرا صغيرا وكان المكان وعرا جدا .. وهذا ما دعانا إلى اختياره والبقاء فيه لقضاء النهار ، وهناك انتشرنا على مساحة صغيرة وعلى مجاميع تتكون من 2 أو 3 من الأنصار وجرى تنظيم الحراسات في مكان مرتفع يستطيع فيه الحرس مراقبة المنطقة ، وهناك شعرنا بالطمأنينة إلى حد ما لأننا لم

لكن نتصور أن تقصد هذا المكان أية قوات من الجيش .. طبعا حسب قناعتنا .. لكونه كان بعيدا عن الشبهات تماما وكما أكدت إنه كان وعرا لا يمكن للإنسان التواجد فيه إلا اضطرارا.. ولكنه في وقت ما من هذا الصباح الذي كان يصادف 11-09 – 1988 و في حدود الساعة العاشرة منه استمعنا إلى صوت رمي متقطع كان يصلنا من القرية التي بقينا فيها لمدة يومين وخرجنا منها مبكرا منذ الصباح . أخذنا استعداداتنا ولكن ليس للقتال كما أوضحت ذلك في المحطة السابقة لأن إمكانيات ذلك غير متوفرة وإننا لم نفكر به قط كونه سيعرضنا إلى التهلكة من جانب ومن الجانب الآخر فنحن علينا أن نصل إلى الده شت لكي ينضم إلينا رفاقنا في المجاميع التي من المفترض أن تتحرك وراءنا وإن القتال كان سيفسد علينا أي خطط للتخلص من هذا الحصار .. ولكننا لم نترك المكان لعدم قناعتنا بإمكانية وصول هذه القوات إلى هذا المكان إلا أن الحرس أكد لنا أن الجنود قادمون نحونا.. لم نصدق ما كان يقوله الرفيق الحرس .. إلا بعد أن لمحنا جنودا من مسافة قريبة في نفس الوقت ينحدرون نحو موقعنا فأسرعنا بالصعود إلى الجهة التي كنا نتخذ منها مواقع استراحتنا .. وصل بعضنا إلى مسافة بعيدة نسبيا من الوادي ولم يتسع الوقت للبعض الآخر من الانسحاب صعودا بعدما أصبح الجنود في هذا المكان تماما حتى أضطر الرفيق أبو آيار النزول باتجاه النهر وهو نفس الإتجاه الذي تتوجه إليه هذه المجموعة من الجنود ، كنت مع كل من جمال وزيا وأبو أمجد وأم امجد أبعد مجموعة استطاعت الانسحاب من المكان صعودا .. هذا الصعود كان حادا جدا أثقل من كاهلنا بعد أن نالت المفاجئة الكثير من قوانا أيضا كنا نراقب المشهد وكان يتراءئ لنا الكثير مما كان يحصل من حركة الجنود في أسفل الوادي لأن المسافة بيننا لم تكن بعيدة وكان الأمر يشبه وكأننا معلقين في جدران بناية ضخمة وعالية يرى المرء من الأعلى ما يدور في الأسفل .. ومن هناك وجدنا جنودا يتسلقون نحونا وثم بعد خطوات ليست كثيرة وجدناهم يتراجعون ..عرفنا إنهم كانوا بين مجموعة من رفاقنا .. اندهشنا لأمر هذا التراجع ماذا حل برفاقنا . وثم نسمع صوت إطلاقة وتلاه صوت إطلاقة أخرى .. شاهدنا الضابط وسمعناه يأمر الجنود بالانسحاب .. بدأ الجنود ينسحبون في الجهة المقابلة كان الصعود حادا .. رأينا الجنود وهم يحملون أكياسا وحاجيات على أكتافهم سرقوها من القرية ... كان الجنود يجهدون جدا من أجل الصعود ... كنا نشاهدهم كيف كانوا يتسلقون

وثم يتدحرجون ثانية إلى الأسفل مع أحمالهم ...لازلت أتذكر إن جنديا كان يحمل على كتفه ماكنة خياطة كان يتدحرج معها إلى الأسفل ... بصعوبة بالغة وصل الجنود إلى القمة ونحن لازلنا نراقب المشهد .. كان عددهم يقارب الـ 20 جنديا ... لا أتذكره جيدا الآن أو بالضبط ... كان الأمر مرعبا وأصبح انسحابهم بهذه السرعة أمرا غريبا ... لازلنا لا نعرف ماذا حصل ... قال لي جمال أنا ذاهب لجلب بندقيتي ، فأنا تركتها هناك ... ذهب جمال ولم يعد إلى حد يومنا هذا ... بحثنا عنه كثيرا لم نجده ... بعدما اختفى رتل الجنود وراء القمة نزلنا بسرعة شديدة لمعرفة ما حصل وما هي نتائج الطلقتين الوحيدتين ...؟؟ سألنا الرفاق الذين كانوا في الأسفل ماذا حصل... ؟؟ لم يكونوا يعرفون شيئا ... قلنا هل الجميع بخير ..؟؟ من كان هناك كان بخير .. ماذا عن الإطلاقتين ... قالوا الرفيق أبو آيار لم يجد متسع من الوقت فنزل إلى هناك .. وذهب الجنود بنفس اتجاه مكانه ... فنادى أحدهم إنه ميت سيدي ... قال الضابط أتركوه وانسحبوا بسرعة... دار هذا الكلام سريعا ... طلبت من النصير أبو لينا أن يرافقني إلى جهة أبو آيار فالتحق بي ... وفي زاوية محصورة و في حفرة ضيقة جنب مجرى النهر وجدناه ممدا ... تفحصنا جسده علمنا إنه استشهد .. بحثنا عن السبب وجدنا أثر رصاصة مسدس اخترقت رأسه ... ثم وجدنا ظرفها الفارغ بالقرب من جثته ... تفحصنا جسده بعد أن وصل عدد آخر من الرفاق من مجموعتنا وجدنا إن طلقة أخرى اخترقت ساعده الأيمن .. عرفنا إنها كانت رصاصة أحد الجنود أطلقها على ساعده من بندقيته الكلاشينكوف لكي يتأكد من مفارقته للحياة ... لا يجوز أن نتجمع هكذا ... علينا مراقبة الوضع فمن المحتمل أن تشن هذه القوات غارات بالطائرات ضدنا ... علينا أن نعمل من أجل دفن جثة الشهيد سريعا ... لم يكن لدينا ما نحفر به قبرا له غير بعض الحراب ... كان ذلك مهمة صعبة ... فوجدنا حفرة عميقة لم نكن قادرين على حفر واحدة شبيهة بها ... نقلنا جثة الشهيد فيها ... بكينا له بمرارة ... دفناه بكميات جيدة من التراب جمعناه من حولنا ..

عدنا لنرى ماذا حصل بعد ... فلم نجد بيننا ماعدا النصير جمال كل من أبو داود وأبو أمل أيضا ...فبحثنا عنهم مرة أخرى متسلقين الجبل دون جدوى ... لم نجد لهم أي اثر ... سألنا بعضنا إذا كان أحدا قد شاهدهما أثناء دخول الجنود لموقعنا ... بعض الرفاق أشاروا إلى

جهة ما انسحبوا إليها ... بحثنا عنهما وعن جمال هناك ولم نجدهم هذه المرة أيضا .

إذن وصل الجنود إلى هذا المكان بعد أن ظللوا طريقهم ، والوادي الذي كنا نجلس فيه لم يكن فيه ممر للنزول عبره إلى الأسفل والتوجه شمالا نحو قرية ميزى ... فما تبقى منه كان عبارة عن قطع صخري عالي الارتفاع جدا ... وهذا كان أحد أسباب اختيارنا للمكان لأن القوات لا تستطيع الوصول إلينا من طرف ميزى والقرى الأخرى التي حولها أو بالقرب منها ... ولذلك عندما توجه الشهيد أبو آيار إلى هذا المكان انحصر فيه فكانت القطوع الحجرية على جوانبه قائمة على شكل جدران بناية عالية يستحيل تسلقها من الجهة التي أراد الشهيد إنقاذ نفسه ولما وجد ذلك وكان الجنود من خلفه قارن بين الموت على يد هذه القوات والموت على يديه ففضل الموت بيديه على الاستسلام والذل ثم الموت الشنيع في سجن من سجون الطغاة في نهاية المطاف ... وهكذا قتل نفسه بمسدسه الرشاش الذي كان سلاحه الشخصي ، فلم يكن قادرا على حمل سلاح آخر بسبب جروح سابقة في مكان ما من جسد ذلك الفنان الرائع والمتواضع ... حياته كانت لوحة تقاوم ... استشهاده كان لوحة تعكس العزم وتحدي الموت أضيفت إلى صفحات تاريخ حزبه ... وداعه كان لوحة حافظت على أسرار مجموعته من أجل المواصلة لتقدم أي شيء لبقية الرفاق المقاومين المحصورين .

كل تحدث عن الحادثة وعن ما رآه ... فقالت الرفيقة رجاء التي كانت مع رفيق آخر يراقبان

الوضع خلف صخرة حولها بعض الشجيرات الصغيرة ، وكانا أقرب أثنين إلى مكان الحدث إن جنديا قال سيدي هناك بعض العصاة ... قال الضابط أذهب وأطلب منهم الاستسلام ... صعد عدة خطوات فوجد إن فوهة بندقيتين تلامسان صدره دون أي صوت ... فقال لهما... سلموا نفسكم ... وإذا ما تسلمون أنا رايح ... هكذا عاد الجندي سريعا ليهمس بشيء في أذن الضابط ... فأمر الضابط مباشرة بالانسحاب ... من الواضح إن الضابط فعل ذلك بعدما تأكد له إن هؤلاء لا يمكن لهم أن يستسلموا قبل الموت وإن الضغط عليهم وتعريضهم إلى خطر الإبادة سيدفع بهم إلى الدفاع عن النفس إلى آخر نفس فيهم وهذا يعني إمكانية إبادة مجموعة الجنود بسهولة على أيديهم .

كان حزننا في أشده على شهيدنا العزيز أبو آيار وكان قلقنا بالغا على رفاقنا المفقودين وفي نفس الوقت أشتدت حيرتنا ، وكيف سنتصرف بعد هذه الخسارة وخصوصا إن الوقت كان مبكرا بعد وكان يمكن لهذه القوات أن تخطط للنيل منا بشكل آخر مثلا عن طريق إعداد قوة كافية لفرض حصار علينا أو إعداد سرب من الطائرات ترمي بحممها على نقطة تواجدنا وبسبب ذلك انتقلنا إلى مكان آخر من هذا الحوض لكي يخطأ أي من هذين الاحتمالين المذكورين ونجنب أنفسنا مخاطرها .

طال انتظارنا على أمل أن يعود رفاقنا الثلاث المفقودين أي أبو داؤد وأبو أمل وجمال ولكن لم يحصل ذلك ، فقد اختار أبو داؤد وأبو أمل العودة إلى المقر وهذا ما عرفناه بعد أن نجحنا في الوصول إلى الده شت ، ونقلا إلى الرفاق في مه رانى أخبارا مشوشة عن ما حصل لنا ، إذ أكدا إن الجيش ربما أباد كل أفراد المجموعة عن بكرة أبيهم أو استطاع أسرهم .

وأما جمال فربما وقع أسيرا في مكان ما وفي يد هذه القوات التي كانت تنتشر في كل مكان من المنطقة ولا وجود لأي أثر له لحد هذا اليوم ، ومن الجدير بالذكر إن جميع أفراد عائلته وعائلة شقيقه أبو ماجد وعمه عيسى خليل راحوا ضحية هذه الحملة ، كما هو واضح في

المحطة الحادية عشرة .

كان لمجمل الصعوبات التي بدأت منذ اليوم الأول من الحصار وإخفاقنا في عبور قرية هه سنه كا إلى الجهة الثانية لمدة يومين متتاليين وأحداث هذا اليوم تأثيرها الواضح على كل من تبقى منا ، فبدأ القلق واضحا على الجميع والذي تحول عند البعض إلى تذمر لم يكن بالإمكان معالجته من قبلنا لأننا جميعا كنا نواجه مصيرا واحدا لسنا نحن مقرريه بل الظروف المحيطة بنا هي التي تقرر هذا المصير.. ولكن كان كل ذلك يحتاج إلى إصرار لدى الغالبية وعقد العزم على المواصلة وهذا ما حرص عليه الرفاق في المجموعة رغم مآسيها . أجل .. كان لابد أن نخطط من جديد لعبور هذه الخطوط من القوات العسكرية التي كانت تتواصل في إرتكاب جرائمهما من حرق وتدمير وردم الينابيع ونهب ممتلكات السكان والبحث عن المجاميع المختبئة من قواتنا وقوات الأحزاب الأخرى .

تناولنا في هذا المكان بعض الطعام وبقينا فيه إلى ما قبل حلول الظلام بقليل حين استعدنا للتحرك نحو القرية نفسها والتي نهبها الجنود في الصباح والتي أوتنا لليلتين سابقتين وها هي الليلة الثالثة .. هناك في القرية بحثنا عن ما تبقى من مواد غذائية في بيوتها .. جهزنا حقائبنا من جديد لأننا فقدنا بعضا من طعامنا في مكان الحدث .. بقينا هناك إلى حوالي منتصف الليل وثم انتقلنا إلى مكان آخر ، كان مجموعنا لا يزال 9 أنصار ... حرصنا أن يكون هذا المكان بعيدا عن الشكوك ... أخذنا معنا ما يكفينا من الماء في أواني حصلنا عليها من هذه القرية ... كان المكان ذو كثافة عالية من الأشجار وفي منطقة بعيدة عن كل ممرات هذا الجبل وفي نفس الوقت كان يسيطر على مناطق واسعة من هذا الحوض يمكننا من خلاله مراقبة كل تحرك في مختلف الاتجاهات ... اتخذنا قرار البقاء لهذه الليلة هنا نظرا لحاجتنا الماسة إلى الراحة الجسدية ولاستعادة معنوياتنا وحيويتنا بسبب ما جرى لنا خلال النهار ومن ما كان يشبه بكارثة حلت بنا والتي عطلت من مجمل خططنا بهدف العمل في العمق سواء إختفاءا أم العبور إلى سوريا .

وسط هذه الغابة الكثيفة أعددنا لنا الأرض وافترشناها بأغصان أشجار البلوط وأوراقها للنوم عليها وقضاء اليوم الثاني وتناوبنا على الحراسة التي كانت تتكرر لكل واحد منا بين كل عدة ساعات .

ما تبقى من الأحداث سأرويها في المحطات القادمة .

المحطة الرابعة عشرة

كنا نعتقد أن نغط في نوم عميق بعد هذا الإرهاق الذي كان يلازمنا منذ بداية هذا الحصار وفصوله المتكررة ولكن ما حصل لنا من أحداث محزنه يوم أمس وفقداننا لعدد من الرفاق واستشهاد الرفيق أبو آيار كل ذلك جعل من نومنا كوابيسا نفز منها كلما سمعنا صوتا ما حولنا أو صوت انفجار قادم من بعيد خلف قمم الجبال التي كانت تحيط بالمنطقة وينتشر في كل نقطة منها جنود هذه القوات التي جاءت بهدف تنظيف المنطقة من الحركة المسلحة وسكانها ...

بقي كل واحد منا ممدا في مكانه المفروش بأغصان أشجار البلوط حتى بعد أن حل النهار دون أن نحاول الحركة إلا من أجل الضرورة ، كأن نذهب لقضاء حاجتنا أو تبديل الحرس ... لكنني مع النصير زيا كنا دائما وبحرص شديد نذهب إلى هذه الجهة أو تلك للمزيد من مراقبة المنطقة وتفتيش ما حولنا كي نضمن سلامة المجموعة وأن لا نقع في خطأ شبيه بخطأ أمس ... كان السكوت يخيم على مكان تواجدنا ، إلا في بعض الأحيان كانت تجري أحاديث سريعة وبأصوات منخفضة ومن أجل أمر ما ... استمر الوضع هكذا إلى ما يقارب الساعة الواحدة ظهرا حينها تهيأنا من أجل تناول الغداء وكنا نحاول أن يكون غداءنا مشتركا وذلك لغرض تنظيمه وعدم إتلاف أي شيء من الطعام الموجود معنا ، لكي يكفينا لأطول فترة ممكنة ... جهزنا الصفرة وهي عبارة عن بعض المعلبات وكمية من الخبز وماءا وربما أشياء أخرى لا أتذكرها الآن وبعد مرور أكثر من 18 عاما على ذلك اليوم .

وعندما انتهينا من تناول الطعام ، كان وقت حراسة النصير أبو لينا أشرف على نهايته أيضا ، لذا أرسلنا الحرس الذي يليه ، لكي يعود الرفيق لتناول طعامه ، ولكن هذا النصير فاجأنا بخبر عدم وجود أبو لينا في نقطة الحراسة ، كانت بندقيته هناك متروكة مع اعتدتها ، توقعنا أن يكون أبو لينا قد ذهب لقضاء حاجة ما في منطقة قريبة من حولنا ولكنه طال انتظارنا دون أن يعود ، بحثنا عنه في كل محيطنا القريب لم نجد له أي أثر ، ولا أحدا يعرف عنه أي شيء منذ تلك الساعة ولحد كتابة هذه السطور .

اختفاء أبو لينا بهذا الشكل الغامض خلق عند كل واحد منا قلقا غريبا .. فما الذي جرى لهذا الرفيق .. هل اختطفته مجموعة من الجنود وهو في موقع الحراسة .. أم إنه ذهب باتجاه ما دون سلاح، كي يصل إلى أية مدينة ولكي يستطيع التخلص من مفارز الجيش لو صادفته في الطريق ويختفي هناك إلى حين أن يستطيع إيجاد مخرج له ، أم إن هذا الوضع الرهيب الذي يحيط بنا نال من عزيمته واستسلم ..؟؟؟؟ لم يستطع أحدا منا التكهن بشكل صحيح عن الذي جرى للرفيق .. غير إننا تعاملنا مع الحدث وكأن معنوياتنا بدأت تهبط ، لذا شددنا على ضرورة متابعة الحرس نفسه بين فترة وأخرى تجنبا لما حدث للنصير أبو لينا .

ستمر الأمر هكذا إلى أن حان وقت الحركة التي بدأناها مبكرا في عصر يوم 12- 9 - 1988 عندما اتجهنا صوب القمة التي تشرف على الطريق بين قريتا خوربينيى وكانيا باسكا من نفس هذا الجبل ، سرنا على سفحه المواجه لقرية باك باكى بين أشجار كثيفة كانت تنتظر دورها لكي يصلها الحريق الذي ينتشر في كل مكان من هذه الجبال ، حاولنا أن نكون حذرين جدا وكنت مع زيا نتقدم المجموعة استغرق الوصول إلى هناك مدة ساعة واحدة تقريبا وهناك كانت الرؤية لا تزال واضحة استطعنا من خلالها معرفة مواقع قوات الجيش التي كانت تتركز في القرى ومحيطها القريب وهذا ما وفر لنا إمكانية اختيار طريق آمن بين قريتي كابنيركى وكانياباسكا ، فبحلول الظلام بدأنا نتدحرج إلى الأسفل إلى أن وصلنا إلى عمق الوادي الذي يجري فيه نهر صغير مياهه قادمة من عدة أماكن بينها كه لى خوربينيى وقرية خوربينيى فيمها

ينبوعان كل واحد منهما أجمل من الثاني ، أحدهما يسقى أهل القرية ومزارعهم والثاني يصلح ن يكون مصيفا راقيا يصطافه الآلاف نظرا لموقعه الجميل وتدفق مياهه من بين صخور تشكل منظرا خلابا وجذابا للغاية ، وهو يتجه نحو كانيا باسكا عبر جدول صغير لسقي مزروعاتهم في طراف القرية .. من هناك بين القريتين وعلى الجانب الأيسر من النهر سرنا بأتجاه (كه فرى حه سارى) * وعند وصولنا إلى هناك وجدنا إن لا مفر من السير إلا عبر هذا الممر الذي يشق هذه القطوع الصخرية للوصول إلى بينارينكى ، وصرنا على الممر من نفس النقطة التي استدار منها قبل هذه الفترة بسنوات طويلة الرفيق الشهيد علي خليل أبو ماجد لتسلق هذه القطوع في أول مفرزة لأنصار الحزب في به هدينان وذلك لتجنب المرور بقرية بينارينكى بسبب وجود ربايا للجيش هناك في ذلك الوقت ، وكان علينا هذه المرة أن نقطع هذه المسافة عبر هذا الممر وثم نتجنب المرور ببنارينكى التي يكثر فيها الجيش بأعداد هائلة جدا ، في نهاية هذا الممر وفي المنحدر الذي يتوجه إلى هذه القرية توجد هناك مقبرة قديمة ، وكان أمامنا أن نتسلق الجبل يسارا بعد عبور هذه المقبرة ولكن وجود قوات من الجيش أو الجحوش أجبرنا على أن نتجنب المقبرة ونتجه صعودا نحو اليسار ، كان في الأمر مخاطرة جدية لأن هذه القوات كانت قريبة جدا من هذا المكان الذي تسلقنا منه الجبل فكان من شأن تزحلق أحدنا أو تدحرج حجارة من تحت أقدامنا أن يكشف من أمرنا وهذا كان سيضعنا في موقف حرج جدا لأننا بذلك سنصبح أهدافا واضحة لهذه القوات لمسافة بعيدة مضطرين من خلالها أن نتحرك وكما هو معلوم فإن الحركة أمام أنوار مدافع التنوير ليس سهلا .. إذن كان علينا أن نتحرك بحذر شديد وفي حالة شعورنا بأننا نخرج أصواتا علينا التوقف لمتابعة ردود أفعال متوقعة من الجيش وإذا سار الأمر بشكل طبيعي فنواصل السير إلى النهاية وأعني إلى أول واد قبل بينارينكى ومن هناك يتقرر ما ينبغي علينا فعله .

بين كل عدة خطوات كنا نتوقف لمراقبة المزيد من حولنا ، فالقوات هنا كثيرة وتشغل مواقع عديدة ومتقاربة لأنها قريبة إلى شارع مبلط وربما كانت قاعدة رئيسية لها تنطلق منها المفارز لتنفيذ خططها ليلا ونهارا ، ويمكنها أن تتمول من هذه القرية بالأعتدة والأسلحة والمواد الغذائية باعتبارها نقطة وصل بين القوات المتحركة آليا والمفارز الراجلة ، ورغم كل ذلك استطعنا

الوصول إلى هذا الوادي وهناك تنفسنا الصعداء وتمتعنا باستراحة خططنا فيها لما بعد الحركة من هذا المكان ، وهناك تذكرت عندما كان يقودنا الرفيق أبو ماجد في أول مفرزة في منطقة به هدينان ففي نفس المكان سقط في حفرة كادت تؤدي بحياته ، تقررفي هذه الاستراحة أن نذهب لى المنطقة التي تقع بين قرية هسنه كا التي أصبحت وراءنا وبين نهر (بيدول)* وفي الجهة المقابلة لقرية (دزى) لتي يمر منها الشارع الذي يربط أتروش بزاويتة حيث نقطة عبورنا لليوم لثاني ، هكذا بدأنا مرة أخرى نبحث عن مكان بعيد عن الممرات الجبلية ، ولما كانت معرفتنا جيدة بطوبوغرافية المنطقة لم نتعب كثيرا في البحث عن نقطة كهذه ، التي أمضينا فيها يوما متعبا ، فكل واحد منا حشر نفسه بين أغصان شجيرات البلوط المنتشرة في المكان كان أكثر من نصفها محروقا ، وكانت مفارز الجيش الراجلة والمتجولة تحوم في محيط هذه النقطة طوال النهار وبين فترة وأخرى كان صوت الرمي لا يتركنا أن نشعر بالراحة فكان الحذر المراقبة من قبل كل واحد منا متواصلا ولم نستطيع الحركة ولو مترا واحدا طوال الوقت حتى قضاء حاجة ما إلى أن حل الظلام حين ذلك خرجنا من بين هذه الشجيرات متوجهين نحو الأسفل لكي نعبر نهر بيدول والشارع المبلط وكنا نعتبر إن هذه الليلة ستكون حاسمة بالنسبة نا ، نظرا لكثافة القوات المنتشرة في هذه المساحة من الأرض وحركتها المستمرة التي لا تتوقف على الشارع ورغم كل ذلك كان لابد لنا الإقدام من أجل العبور إلى الجهة الثانية من الشارع ، وكان توقعنا في محله إن هذه الكثافة للقوات ربما ستتضاءل كلما أقتربنا من الده شت بعد عبور هذا الشارع لأنها تعلم علم اليقين إن لا ناسا ولا قواتا من الأنصار والبيشمه ركه باقية في هذه المناطق ، وأسباب تواجد بعضها في هذه المناطق كان لغرض تهديم القرى وحرقها ونهب ممتلكاتها وما إلى ذلك ، إذن لم يبقى أمامنا إلا عدة كيلومترات خطرة جدا ، تهيأنا من اجل عبورها بعد مراقبة شديدة لنقاط تواجد القوات ، فوصلنا إلى نهر بيدول وعبرناه إلى الجهة الثانية وصرنا بين النهر والشارع تلك المسافة التي تتواجد فيها القوات بكثافة ، تحركنا بحذر شديد نحو لشارع وتوقفنا لمرات عديدة لتجنب الأضواء الكاشفة التي كانت تستخدمها الآليات المتحركة مراقبة طرفي الشارع ، وبين التحرك البطيء والمراقبة المستمرة أصبحنا على مقربة من الشارع وفي نقطة خالية من القوات ، من هناك انتظرنا فرصة تتوقف فيها حركة الآليات لاستغلالها في عبور الشارع وهكذا في لحظة ما وجدنا إن لا حركة على الشارع ، إطلاقا فاندفعنا بسرعة شديدة

عبوره وفي دقائق قليلة وجدنا أنفسنا في الجهة الثانية منه ولم نبتعد إلا أمتارا حتى عادت مجموعة من الآليات وهي تسلط بأضوائها على طرفي الشارع ولكنها لم تستطع رصدنا بعد أن التصقت أجسادنا بالأرض ، ابتعدت هذه الآليات تحركنا نحن ، عادت الآليات ثانية تمددنا على الأرض ثانية وهكذا استمر الوضع إلى أن ابتعدنا عن الشارع لمسافة جيدة ، وكان علينا أن نلتف على قرية دزى من سفح الجبل الذي يقع إلى الجنوب منها لكي نصل إلى طريق تؤدي بنا للوصول إلى فتحة واد بالقرب من بازيركى ، وكنت سائرا في مقدمة المجموعة فعادت الآليات ووجهت أضواءها الكاشفة نحونا نادانا الرفيق أبو مجد لكي نتوقف عن الحركة والتمدد على الأرض ، ففعل الرفاق ذلك ولكنني عندما ألتفت إلى الوراء لكي أرى ماذا يحدث تعثرت قدمي بين جذع شجرة أوقعتني على الأرض بقوة من جهة صدري على صخرة فتهشم الناظور الذي كنت أحمله وكان سببا لإنقاذ عظام قفص صدري من التهشيم ، شعرت بألم لم يكن بالإمكان تحمله في الظروف الطبيعية ، ظل يلازمني إلى فترة طويلة قاربت السنة .

بعد هذا توقفنا لبرهة من الزمن ثم بدأنا الحركة ثانية بعد أن استطعت القيام أصبحت بد بدأصبحت قمة الجبل بيننا وبين الشارع والقرية وانحدرنا نحو الأسفل لمواصلة مشوارنا ، إلى أن وصلنا إلى نهاية الوادي فبعد أن خرجنا منه من جهة بازيركى توجهنا باتجاه بالطة للمرور بالقرب منها نحو جبل خورزان . كان واضحا أن تواجد قوات الجيش كان قليلا في هذه المناطق وكان يتركز في داخل القرى وهذا ما سهل من أمر حركتنا ، لذا وصلنا بسرعة إلى المنحدر الذي يؤدي نحو الطريق التي تصل (خوركى)* هناك شعرنا وعلى مقربة منا إن مجموعة من الناس تتوجه نحونا صعودنا دون أن يشعر أفرادها بنا ولذلك فبسرعة خاطفة أصبحت بنادقنا مصوبة نحوهم وناديتهم مع النصير زيا بصوت واحد (توو كى)* جاء الرد بصوت (أبو سردار .. ميرزا كورو)* نحن .. نحن.. نحن منكم .. عرفنا صوته وعندما قال نحن منكم .. كان هو الآخر قد عرفنا من الصوت ، فألتقينا في هذا الليل بحرارة ، سألناهم عن أوضاع المنطقة ، عرفنا منهم إن الوضع في مناطق الدشت هاديء جدا ، ونحن بدورنا أبلغناهم عن الطرق التي ينبغي السير فيها للعودة ثانية إلى كارة فكانت وجهتهم إلى هناك .

بعد تبادل المعلومات بشكل سريع تحركنا نحن نحو هدفنا وهم تحركوا نحو كارة .. بعد فترة خرى من السير بحثنا عن مكان نقضي فيه نهارنا في جبل خورازن وفي الجهة المقابلة لمقر بير موس .

لازال للحديث صلة

– (أم امجد)* من أوائل النصيرات ضمن الحركة الأنصارية للحزب الشيوعي العراقي في به هدينان وأدت مهامها كأي نصير وتحملت في بعض المراحل مسؤوليات حزبية في الوحدات الأنصارية ، فضلا عن تأديتها بعض المهام الحزبية في الداخل ، وهي زوجة الرفيق أبو أمجد .

ومن الضروري الإشارة إلى إنني لم أحاول استخدام أسماء الرفاق الصريحة ولا حاولت أن أعرفها ، ففضلت استخدام أسماءهم الحركية رغم إنني في بعض الأحيان أعرف هذه الأسماء الصريحة .

– (رجاء)* وهي أيضا من أوائل النصيرات شاركت في العديد من المفارز وتجولت معها في العديد من مناطق كوردستان وأدت مهامها الأنصارية على أكمل وجه انتقلت إلى الفوج الأول في مه رانى في فترة ما واستقرت كنصيرة ضمن ملاكه إلى فترة الأنفال وهي زوجة الرفيق النصير آشتي الذي اعتقد مع العديد من الرفاق إنها وقعت أسيرة بيد قوات الجيش أثناء هذه الحادثة في أعلاه.

– (كه فرى حه سارى) * منطقة جبلية عاصية جدا ، يصعب على الإنسان السير بين صخورها التي يصل علوها إلى ارتفاعات تزيد على عشرات الأمتار، تشكلت بسبب إنهيار حدث

لها منذ زمن بعيد . سكن بينها في فترة ما البيشمه ركه شاكر كولاني مع عائلته وهو من قرية وزان ومن قوات حدك، فقد أحد أبناءه في هذه الحملة. وتقع هذه المنطقة على الممر الجبلي بين قريتي بينارينكى وكانياباسكا

– (بيدول)* قرية مهجورة تركها سكانها منذ فترة غير قصيرة وفي الشتاء يأتي إليها الرعاة من جبل كارة ويمر بالقرب منها نهر صغير يسمى بنهر بيدول ، وهي تابعة لناحية أتروش إداريا .

– (خوركى)* أيضا قرية مهجورة ويأتي إليها الرعاة شتاءا من كارة .

– (توو كى)* جملة كوردية تعني من أنت ، يستخدمها الأنصار والبيشمه ركه أثناء الحراسات الليلية عندما يشعرون أو يشاهدون قدوم أناس نحوهم .

– (أبو سردار .. ميرزا كورو)* من الكوادر العسكرية لحدك ، كان مسؤول منظمة ضمن جنة شيخان ، خاض مع رفاقه العديد من العمليات العسكرية ، وكان يحظى باحترام سكان هذه المناطق . وهو يعيش الآن في ألمانيا مع عائلته التي استطاع إنقاذها أثناء هذه الحملة .

المحطة الخامسة عشرة

بعد منتصف الليل كنا في الوادي الذي يقع خلف قرية خور زان وفي الجهة المقابلة لبير موس واخترنا منه بقعة للمكوث فيها نهارا وهي عالقة في سفح هذا الجبل بالقرب من أحد القطوع الصخرية القليلة المتواجدة في هذه الناحية من الجبل ، نستطيع من خلالها نهارا رؤية بير موس بشكل كامل فضلا عن (لحفا قاييديا)1 التي تمتد الرؤى فيها أفقيا إلى مسافة بعيدة عبر نهر دجلة كأفق أحلامنا التي لم تكن لها نهاية أيضا . من هناك كان المرء منا يصوب نظرته

إلى الحدود السورية التي كنا نأمل أن نصلها بأمان بعد أن حولت السلطات البعثية كل شئ في وطننا إلى أشياء مخيفة يرتعش المرء خوفا عندما كان يفكر إنه يعيش في العراق ، فأي عراق كنا نعيش فيه ..؟ فقد كان أرضا تتسابق فيها أجهزة القمع على اضطهاد أبناءها وسلب حريتهم وكرامتهم وأرضا للسجون ولقوانين الموت التي وصل تعدادها إلى العشرات ، والموت (قاتلا أو مقتولا) يقابلك في أية لحظة وأينما ذهبت ، وميدان حروب خارجية خاسرة وحرب داخلية لم تنتهي ومساحة موت بالكيماوي ، كان عراقنا قاسيا دون حدود حتى إن قسا وته أنجبت ما بعد صدام من أنسوا الشعب تعسفه وظلمه وجبروته والدماء التي سكبها وجرائمه البشعة .

هناك في هذا المكان شعرت شخصيا بالأمان أكثر من أي مكان آخر وأكثر من الأيام الماضية المليئة بالصعاب والتي كان يشعر خلالها كل واحد منا أحيانا باستحالة التخلص من الطوق الرهيب الذي كان مفروضا علينا من قبل القوات العراقية بمختلف أصنافها .. أعتقد إن سبب هذا الشعور كان ناتجا بالدرجة الأساسية عن ثقتي العالية بقدراتنا على مناورة خطط أجهزة السلطة القمعية ، كونها منطقتنا ونعرفها بكل تفاصيلها فضلا عن وجود تنظيمات نشيطة لحزب في هذه المناطق أفرادها مستعدون لاجتراح مآثر وتحقيق أساطير في البطولة ونكران الذات من أجل تأدية واجباتهم الحزبية ومن أجل سلامة كل فرد فينا ، وفي الحقيقة هذه كانت الصفة الغالبة لأكثرية الشيوعيين في هذه المناطق من أجل قضيتهم وعدم الاستسلام لرغبات أجهزة السلطة القمعية أو تمكينها القضاء على كوادر الحزب وأنصاره ومنظماته في مثل هذه الظروف الصعبة . وكل واحد من الرفاق من أهالي المنطقة ضمن هذه المجاميع كان ينتظر دوره لكي يتحرك بكل اندفاع لتنظيم العلائق بين مجموعات من رفاق المنظمات وعوائل الشيوعيين لتأدية واجبهم في إنقاذ أكبر عدد ممكن من الأنصار .

أعتقد كانت الليلة التالية هي ليلة موعدنا مع مجموعات أخرى من المفترض إنها وصلت إلى هذا الجبل لنبدأ العمل والحركة . ولكنه كان علينا قضاء ما تبقى من الليل والنهار التالي في هذا الوادي بانتظار حلول الليل مرة أخرى للذهاب إلى مكان الموعد ولقاء رفاقنا ، وهكذا أعددنا أمكنتنا بين الصخور والشجيرات التي تكثر في هذا المكان آخذين بنظر الاعتبار احتمالات

الأخطار الغير المتوقعة والتي قد نتعرض لها أثناء النهار ، بقينا في هذا المكان طيلة النهار دون حراك أو الانتقال إلى اتجاهات أخرى خشية من أي تواجد للجيش في أحدى المناطق القريبة من هذا المكان ، وفي وقت متأخر من العصر وجدنا مفرزة من الجيش تتوجه إلى بير موس وهناك أصبحت تبحث عن كل شيء وتفجر هنا وهناك .. وكانت الأدخنة تتصاعد من عدة أماكن بسبب هذه الإنفجارات المتكررة وأثناء تواجد هذه القوات في بير موس تهيأنا لاحتمال قدومها نحونا عن طريق الصدفة أو أن تكون قد حصلت على معلومات بخصوص تواجدنا في هذه المناطق ، ولكنها لم تفعل فاستمرت في تفجير قدر ما استطاعت من مخابئ وأماكن تواجدنا وعادت أدراجها بعد ذلك باتجاه قرية بالطة قبل حلول الظلام ، بعدها قررنا النزول إلى قاع الوادي كي نقضي هناك فترة من الزمن وتشكيل مجموعة للذهاب إلى بير موس لتزود ببعض الأرزاق إن كانت باقية هناك كنت من بين رفاق هذه المجموعة الصغيرة التي ذهبت إلى بير موس بعد حلول الظلام مباشرة ، وهناك كنا نعرف الأمكنة التي أخفينا فيها المؤن فوجدنا إن أغلبها جرى تفجيرها و تدميرها أو تمزيق حاوياتها بالحراب ، على أية حال كان هناك ما كنا بحاجة إليه من الأرزاق فحملنا منها قدر حاجتنا ومن هناك ذهبنا إلى النبع من اجل الماء وإلى بستان المقر فقطفنا من ثماره بعض حبات الطماطم والباذنجان والبامية وربما أشياء أخرى لا أتذكرها الآن ، وانحدرنا نحو الأسفل للعودة إلى رفاقنا وبعد مسيرة حوالي عشرة دقائق شعرنا بأصوات تتقدم نحونا من الأسفل فأخذنا مواقعنا على جانب من الطريق لتجنب القادمين إن كانوا أعداء ، ولكننا عرفنا إنهم مجموعة من رفاقنا بعدما سمعنا أصواتهم يتحدثون جاؤوا أيضا لسبب التزود بالأرزاق كان بينهم كل من (حميد سور) و(سعيد)2 ، التقينا بعد تبادل (توو كى .. و.. توو كى) ، كان اللقاء حارا جدا والفرحة شديدة تحدث لنا الرفيق سعيد كيفية وصولهم إلى هذه المنطقة من مه رانى وإنهم كانوا قلقين بصدد مصيرنا الغامض لديهم وتحدث حميد بشكل سريع عن ما حدث له بعد أن ذهب برفقة أبو فلاح إلى قرى الده شت قبل انسحابنا من بير موس في 24- 8 – 1988 وكيف عاد إلى الجبل وعاش أكثر من سبوع فيه دون أن يجد أو يلتقي بشرا وكيف إنه حاول مرارا الالتحاق بمقر مه رانى ولكن لطرق كلها كانت مغلقة بوجهه من قبل قوات الجيش العراقي وبعد وصول مجموعة سعيد إلى هذه المنطقة التقى بهم عن طريق الصدفة وهو لا يصدق ذلك أبدا.. لذا قال سعيد إنه كان

يحضننا ويقبلنا طويلا ويقول أنا لا أصدق إنني عدت إلى رفاقي ثانية .. ولا أصدق إنني أرى بشرا .. كنت أشعر بالوحدة الموحشة .. كانت رهيبة جدا .. كنت لا أعرف شيئا بتاتا .. ماذا حصل في مقراتنا وما هو مصير الرفاق ..؟ وأين ذهب سكان هذه القرى ..؟ كيف يمكنني الاستمرار وحيدا وسط مفارز الجيش التي تتحرى في كل مكان ..؟ كنت أنام تحت وطأة قلق شديد .. لم يكن بوسعي العودة إلى قرى الده شت .. فلم أكن اعرف فيها أحدا غير أبو فلاح وقد تركني لكي يستسلم إلى السلطات ..!! ولكنني حاولت البقاء لأطول فترة ممكنة في هذا الجبل عسى ولعله أن يمر الرفاق من هنا وهذا ما حصل .. وها أنا بينكم وأعرف إن مصيري مرتبط بمصيركم ولا يهمني ما يحصل بعد هذا ما دمت بين رفاقي ..!

عدنا إلى رفاقنا وتهيأنا للذهاب إلى (نه هداركى)3 للقاء رفاقنا في المجاميع التي وصلت قبلنا ، هناك عرفنا إن مجموعة أبو سربست كانت طيلة هذا النهار في نفس الوادي الذي كنا نحن فيه ، جرى الاتفاق في هذا اللقاء البقاء في هذا الوادي ليوم آخر ..لا أتذكر لأي سبب كان ذلك ولكنني أتصور إنه كان يجب أن يعد الرفاق في قيادة المحلية لخطة نتحرك على ضوءها وخصوصا إن الغالبية منهم وصلت إلى هذا الجبل . كان بينهم كل من أبو سالار وأبو جواد و توفيق وأبو سربست وأبو امجد ضمن مجموعتنا إضافة إلى أبو داود وعدد من الأنصار الآخرين زاد عددهم على ثلاثون فردا وهم منتشرين في عدة أماكن من هذا الجبل كان بين هذه الأماكن مخابئ لا يعرفها إلا القلة القليلة من الناس .

لم نشعر أثناء الليل أو النهار التاليان بأية مخاطر مثيرة لروايتها هنا الآن ، سوى إن العلاقة مع النصير حسين خرتو (إبراهيم)الذي تحدثنا عنه في المحطات السابقة في ظل هذه الخطورة أصبحت صعبة جدا ، فكان هو من جانبه يريد التحرك في المنطقة وكأن شيئا لم يحدث فقد ذهب باتجاهات عديدة ووصل إلى بعض القرى وعاد منها وأحيانا كان يريد استخدام بندقيته الكلاشين (وهو يقول علينا تنفيذ حكم الإعدام بفلان أو فلان ، كان يدعو إلى المقاومة ومواصلة الحرب البارتيزانية ويعتبر التخلي عن هذه الحرب هزيمة لا ينبغي على الشيوعيون القبول بها ، وأحيانا كان يطلب من المفارز التي تتوجه إلى مهماتها أن تزوده بكتب عن الرياضيات لكي

يعتمدها في تحليل ومعرفة الفترة التي يسقط فيها النظام) 4 هذه التصرفات إلى جانب غيرها الكثير والكثير كانت تشكل تهديدا لسلامة المجاميع الموجودة في المنطقة ، لذا كان من الضروري التعامل معه بحذر وبما يمكن الحفاظ على هدوءه كي نتجنب النتائج المحتملة من تصرفاته التي لا يستطيع السيطرة عليها بسبب مرض انفصام الشخصية الذي أصابه في ظروف معقدة ، ولذلك حاول الرفاق مرة تجريد بندقيته من إبرتها ولكنهم لم يفلحوا في تحقيق ذلك بسبب يقظته الشديدة ، فإزاء وضعه هذا كان من الصعب جدا التفكير بالهرب معه عبر المدينة إلى سوريا وخصوصا كان يرفض أي شيء آخر بديلا عن مواصلة الحرب البارتيزانية . بكل تأكيد لم يكن أمامنا أي خيار غير أن نترك له المجال لكي يذهب إلى قرى منطقتنا ويسلم نفسه ولهذا تُرك له أمر الذهاب أو عدمه مع مجموعة ذهبت لتسلم نفسها ولكنه رجع عائدا من منتصف الطريق قائلا لهم يبدوا إن نيتكم هي التسليم فأنتم خونة وأما أنا فسأعود إلى الحزب .

أخطأنا التقدير حين توقعنا من أن السلطات يمكن لها الرأفة به عندما تجده مريضا ، ولكنه أصبح في عداد المفقودين منذ أن استلمته هذه السلطات من العناصر المتعاونة معها من أحدى قرى منطقتنا عندما ذهب إليهم للاستسلام عن طريقهم .. قيل عنه أثناء هذه الفترة ، إن رجلا وصل إلى القرية في عصر متأخر كان يحمل على كتفه بندقية كلاشين من النوع الروسي المحسن وعدد من المخازن وكانت هيئته هزيلة أتعبته مصاعب جمة على ما يبدو وكان من الواضح إنه لم يذق طعاما منذ أيام عدة وكان قد تحول من أخمص قدميه إلى قمة رأسه إلى قطعة متفحمة سوداء كان وضعه يثير الحيرة لدى من جاء ليستسلم للسلطات عن طريقهم .. كيف لبشر أن يتحمل كل هذا ولأجل ماذا..؟؟!! فسألوه من أنت..؟ قال لهم إنني من أنصار الحزب الشيوعي جئت أسلم نفسي بعد أن لم يبقى أمامي غير هذا .. وقال إنني التحقت بمحض إرادتي وها أنا أعود لأنني مقتنع إن إمكانية مواصلة الحرب انتهت والعودة إلى سابق قوتنا أصبح مستحيلا .. فلذ لك جئت استسلم بمحض إرادتي أيضا ، ومن جانب آخر أشار إلى أن كل هذه الوديان مليئة بالبيشمه ركه ، وفي الحال أعدوا له حماما ساخنا وطعاما أكل منه بشهية .. وقالوا له نرى أن تعمل بنصيحتنا وما نقوله لك .. وهو أن تسلم بندقيتك لنا وتستلم عنها أخرى لأن بندقتك من النوع المحسن وصناعتها روسي ولا نريدها أن تكن من نصيب غيرنا

هذا أولا وثانيا عند التسليم ينبغي أن تقول إنني من مسلحي حدك وليس الحزب الشيوعي لأن ذلك قد يخفف من عقوبتك وأن عقوبات الشيوعيين دائما تكون ثقيلة .. هذان الأمران أثارا غضبه بشدة فقال كل الذي فعلته كان بقناعتي التامة ولازلت مقتنعا بانتماءي إلى الحزب الشيوعي ، فكيف تريدونني أن أغير هذه الحقيقة أمام عاصفة كهذه وأنا لا أخافها ..؟؟ وماذا عن كل الذي فعلته وسط كل هذه المخاطر من أجل الوصول إلى هنا من جبل كارة ..؟؟ هل كان كل هذا لكي أغير انتماءي ..؟؟ أنا أرفض عرضكم يا سادة ..!! المهم حاول مسئول هؤلاء المسلحين أن يتعاون معه ولكنه لم يفلح . وللتاريخ أذكر ، هكذا قال محدثي إن المسئول قال له إنك أمام خيارين أما أن تذهب إلى ما تشاء بعد أن تسترد عافيتك لفترة ترتضيها أنت ،أي العودة إلى الجبل ، أو أن تسلم نفسك بعد أن نقوم بإيصالك إلى بحزانى ولقاء أهلك أو نأتي بهم لهذا الغرض إلى هنا وثم تقرر مصيرك.. فأجاب إنه وحيدا وإنه يريد تسليم نفسه هنا ولا يريد غير ذلك .. كان الرجل يريده أن يبقى سالما ولكنه لم يكن قادرا على فرض هذا الأمر عليه في مثل هذه الظروف الصعبة وحالته الصحية المعقدة .

وماعدا هذا إننا أردنا أن نتناول طعاما مطبوخا في عصر نفس اليوم فلم نجد أي إناء للطبخ فيه غير علبة فارغة لحليب كيكوز فطبخنا فيها حساءا من ثمار الطماطم والباذنجان وغيرها التي حصلنا عليها من مقر بير موس ولما نضج الطبخ عملنا حفرة في الأرض ووضعنا عليها قطعة من النايلون لكي تحل محل صحن نأكل فيها حساءنا ولكن النصيرتان أم أمجد وكنار حسبما تذكر عندما أرادتا تفريغ العلبة من الحساء في هذه الحفرة لتناوله لم تسيطرا على العلبة بسبب حرارتها فوقعت وخسرنا الحساء الذي حرصنا على طبخه بعناية بعدما انتشر على الأرض بين التراب ، ولكن رغم ذلك صرنا نغمس خبزنا فيه ونأكله وكأننا في مطعم بمدينة .. كان الحساء طيبا رغم اختلاطه بالتراب.

بعد حلول الظلام توجهنا إلى مكان آخر للقاء الرفاق مرة أخرى وهناك أُبلغت بأنني سأتحرك هذه الليلة مع مجموعة من الرفاق متكونة من توفيق وأبو داود وأبو حازم مع رفيق آخر لا أتذكره من كان إلى قرية (حتارة)5 ... (ولابد لي أن أوضح هنا إن زياراتي خلال هذه الأيام مع

مجاميع من الرفاق إلى هذه القرية والعودة منها إلى جبل خورزان تكررت لتنفيذ مهماتنا واستكمال مستلزمات أمان للخط الذي كنا نربطه بسوريا والعبور بيسر ، وأمام هذا فأنني أعترف إن معلومات أول زيارتين اختلطت لدي أي ربما جاءت متقدمة أو متأخرة .. فمثلا من من الرفاق كان ضمن المجموعة الأولى أو الثانية عدا توفيق وأبو داود..؟ ولكنني أحاول أن أنقل الأحداث كما حصلت ، وإن الأشخاص الذين وردت أسماءهم في هذه المحطة والذين سترد سماءهم في المحطة القادمة كانوا ضمن أول زيارتين إلى مخبأنا في أطراف القرية ومن هناك انطلقوا إلى المدينة) .

وعرفت إن مجموعة أخرى تحركت أو ستتحرك إلى ألقوش من أجل الطعام علاوة على توجه النصيرين علي حاول و(فرهاد)6 نحو الحدود السورية عبر المناطق القريبة من (مجمع خانك)7 عسى أن يستطيعوا من هناك أيجاد منفذ إلى سوريا .. كانت مهمتي تدبير وسيلة لإيصال أبو حازم إلى مدينة الموصل .. وكان على أن اكتب رسالة إلى أحد الرفاق في سنجار أحدد فيه مكان اللقاء (مخبأنا) باسمه المتداول بيننا والسري في أحدى مناطقنا والذي لولا استخدامه (الاسم السري للمخبأ) لما جازف الرفيق بالمجيء إلى هذا المكان فكان هذا الاسم السري متداولا بيني وبينه فقط لا يعرفه غيرنا وهذا كان بمثابة تأكيد له إن الذي ينتظره هو أنا وإننا لازلنا بخير ونحن بحاجة إلى جهوده ، وليس هناك ما يدعو إلى التردد وبذلك فإنه سيتوجه إلى المكان بكل اطمئنان .. كان لابد من كل هذا لأن هذا الرفيق لم يكن مستعدا أن يقدم على ما هو غير مضمون في مثل هذه الظروف المعقدة والمحفوفة بالمخاطر .. وحمل الرسالة إلى هناك أحد الشيوعيون القدامى (ملحم معجون)8 بتكليف من الرفيق توفيق .

تحركنا في نفس هذه الليلة ومعي رزمة مغلفة بعناية لم أكن أعرف محتواها سوى إنها حاجة خاصة بأبو سالار كلفني بإيصالها إلى مكان أمين وإعادتها عند الحاجة (عرفت بعد ذلك بفترة إن هذه الرزمة كانت نقودا بالعملة الصعبة " الدولار " وفيها أكثر من 50000 خمسين ألف منها) المهم وصلنا إلى مخبأنا قبل منتصف الليل وهو يقع خارج قرية حتارة وبعدما ذهبنا لغرض تعبئة عدد من حاويات الماء التي كنا نستخدمها في هذا المخبأ لكي يستفيد منها

الرفيقين أبو حازم والآخر الذي لا أتذكره ، توجهنا إلى القرية ومنها ذهبت إلى رفاق المنظمة للبدء بمهمتي وإعداد سيارة لنقل أبو حازم إلى الموصل أو أطرافها ومن هناك يتدبر أمره ، وتوجه كل من توفيق وأبو داود أيضا للبدء بإعداد بعض الأمور التي ترتبط بنفس المهمة (الإنتقال إلى سوريا) .

دخلت دارا لم يصدق أهله بأنني لازلت على قيد الحياة أو على الأقل لازلت مسلحا وموجودا بينهم وفي الده شت بالذات .. فأجهشوا بالبكاء فرحا .. تألموا كثيرا لما وجدوني في حال غير طيبة .. ملابسي كانت قد تفحمت وتحولت إلى قطعة قماش سوداء جراء النيران التي كانت تشتعل في الغابات التي كنا نمر عبرها وبنيتي كانت قد أصبحت هزيلة بسبب أيام الجوع المتكررة فضلا عن القلق والخوف الدائمان وقلة النوم ووجهي كان متفحما متحولا إلى اللون الرمادي مع بقع وخطوط سوداء تنتشر في كل مكان منه، شبيها بوجوه لسعتها حرارة النيران وأحرقتها خيوط أشعة شمس عمودية ، فلولا صوتي المعروف لدى أهل الدار لما كان بقدورهم التعرف عليَّ بسهولة .. وهكذا وجدت نفسي عندما وقفت أمام مرآة كانت عالقة في غرفة استقبال بيتهم والتي هي غرفة نومهم ، فسرعان ما أحضروا لي ماءا ساخنا لكي أستحم ولما نزعت بذلتي العسكرية وجدت إن سيقاني ليس أفضل لونا من لون سروالي المتفحم ووجهي الشبه محروق . بعد الاستحمام تناولت طعاما طيبا ، شعرت بالنشاط والحيوية ، ثم خرجت واتصلت بعدد من الرفاق فأعددت سيارة ثم وجدت نفسي بين عائلة أخرى ، أعدوا لي فراشا بالقرب من مخبأ كان قد أعد للهاربين من الجيش والحالات الطارئة عندما نحل فيها ضيوفا عليهم ، وفي الواقع إن غالبية الشباب العراقي وخصوصا في المناطق التي تتردد إليها مفارز الأمن والجيش الشعبي كانوا يلجأ ون إلى مثل هذه المخابئ أو الملاجئ ، وأخير ضبط صدام حسين في واحدة مثلها .

في الليل حملت معي طعاما وملابس نسائية ورجالية مدنية تكلف بشرائها من مدينة الموصل عدد من رفاق المنظمة فكان بحوزتنا من أموال الحزب ما يكفي .. ولم يكن هناك قيود حول الصرفيات ... وذهبت إلى المخبأ الذي يقع خارج القرية وعاد كل من توفيق وأبو داود وبعد ذلك

وصل رفيقنا من سنجار ، جرى الاتفاق معه للعبور إلى سوريا لإعداد مستلزمات استقبالنا في الطرف السوري من قبل رفاقنا العاملين في مكتب قامشلي للحزب . على أن تتحرك المجاميع الأولى نحو سنجار بعد أيام قليلة من هذا الوقت. ولهذا السبب عاد الرفيق سريعا لأن الوضع كان يتطلب التحرك بسرعة . نمنا في هذا المخبأ في ليلتنا هذه . وعصرا بدأ أبو حازم يستعد كي يستقل سيارة توصله إلى الموصل أو أحد أطرافها القريبة .

1- (لحفا قاييديا) مجموعة قرى تسكنها عشائر أيزيدية تحت اسم عشائر قائيدي ، وهذه القرى هي سينا وشيخ خدرى وشاريا وخه رشه نيا وكه لى به درى ، جرى تهجير سكانها أثناء فترة الأنفال وإسكانهم في مجمع قسري سمي بمجمع شاريا ومعهم سكان قريتي كه به رتوو وكرى بانى . وفي أحدى قرى هذه المنطقة وهي قرية سينا خاض أنصارنا معركة بطولية أثناء تعرضها للحصار ليلا من قبل قوات الجيش العراقي ، قدم فيها رفاقنا شهيدين وألحقوا خسائر كبيرة بالقوات المحاصرة (تحدث عن هذه المعركة بالتفصيل النصير صباح كنجي ، تحت عنوان ماذا حدث في سينا) وتفاصيلها منشورة في العديد من الصحف ألالكترونية .

2- (سعيد) أحد الأنصار الأوائل الذين التحقوا بصفوف قوات الحزب في ناوه زه نك ومن هناك انتقل إلى به هدينان وشارك بمختلف الأنشطة الأنصارية ، وهو أبن أخ الشهيد أبو ماجد فقد اكثر من 30 فردا من عائلته وأقاربه في حملة الأنفال التي نتحدث عنها بمن فيهم ولده الوحيد البكر ألند ، يعيش الآن في ألمانيا ، لازالت السلطات الكوردستانية لم تفعل ما يساهم على إثبات وفاة أفراد عائلته في هذه الحملة أو تنفيذ معاملاتهم لغرض التعويض أو التقاعد وفق القانون الخاص بهذا الشأن .

3- (نه هداركى) الأشجار التسعة ، قمة في جبل خورزان ينبت فيها تسعة أشجار وهي أكثر أشجار كل المنطقة عمرا ويرتفع قاماتها في مساحة محدودة ، جرى تسييجها بجدار من الحجر ويبدو إنها مقدسة عند أبناء الديانة الأيزيدية . لم يتسنى لي الوقت للاستفسار عنها وأنا انشر

هذه المحطة.

4- كل ما جاء بين قوسين في هذا التسلسل الرقمي إضافة إلى أشياء أخرى عن إبراهيم ساعدني في تذكره الرفيق أبو سربست ، كونه كان الأكثر قدرة في التعامل مع النصير إبراهيم ، وتهدئته في الأوقات الحرجة ، فقد كان يصرف جهدا استثنائيا معه رغم مشاغله المتعددة .

5- (حتارة) وهي قرية حتارة الكبيرة وتابعة إلى ناحية ألقوش _ قضاء تلكيف ، وأنا أنتمي إليها ولكنني لم أولد فيها ، سكانها أيزيديون يبلغ عددهم 13000 نسمة ، لم أستطع زيارتها في ظروف طبيعية أي نهارا منذ بداية 1978 وإلى يومنا هذا . أي بعدما بدأ نظام البعث حملته الهستيرية ضد منظمات الحزب الشيوعي في كل مكان في العراق.

6- (فرهاد) من الأنصار الأشداء ، استطاع خلال هذه الفترة الوصول إلى سوريا مع رفيقه علي حاول وسط صعوبات بالغة ، وهناك في سوريا أعتقلتهما السلطات وأودعتهما السجن وعاشا ظروفا بالغة الصعوبة حتى كثر فيهما القمل وأصابهما المرض ، وخرجا بعد معرفة قيادة الحزب بوصولهما إلى سوريا والتدخل من أجل الإفراج عنهما .

7- (مجمع خانك) وهو تجمع سكاني قسري أقامته السلطات العراقية من قرى عديدة تسكنها عشائر الدنائية والهويرية وهي عشائر أيزيدية ، ويقع هذا المجمع بالقرب من نهر دجلة في ناحية فايدة .

8- (ملحم معجون) كلما أتذكره منذ أن كنت طفلا كان ملحم شيوعيا يتردد إلى بيتنا كثيرا برفقة آخرين من رفاقه ، ولكن شخصيته كانت خاصة تثير الكثير من المرح في الآخرين بسبب حركاته وأنفه الطويل ، ومقابل هذا كان العديد من المنتمين إلى الأحزاب الأخرى يحاولون السخرية والنيل منه بكلمات جارحة . وفي الواقع كانت شخصية ملحم السياسية غير مؤثرة ولكنها مقبولة اجتماعيا بالرغم من نواقصها ، غاب عن هذه الدنيا بغدر اجتماعي غير مقبول .

المحطة السادسة عشرة

كان هناك في الجبل ما ينتظرنا ، ففي زيارة أخرى إليه بعد أن استطعنا تثبيت بعض الأمور المهمة في مخبأ حتارة وكما أوضحت ذلك في المحطة السابقة عدنا إليه (الجبل) وأبلغنا الرفاق إنه خلال أيام قصيرة سيكون الممر آمنا للعبور إلى سوريا ونحن ننتظر عودة الرفيق من سنجار حتى نتأكد من الأمر لذا لابد من تكملة بقية الأمور التي نحتاجها للإقدام على تنفيذ التجربة الأولى ، فتوجب أن نكون في الجبل لترتيب الأشياء والخطط وإعدادها وفي المخبأ لتنفيذ هذه الأشياء والخطط واختراق كل هيبة السلطة والدخول إلى قلب المدينة ومنها ننطلق إلى الحدود مع سوريا ، أجل بعد أن جرى توضيح الأمور للرفاق في الجبل كان علينا أن نعود لمتابعة تنفيذ بعض المهام الأخرى ففي هذه المرة تحركت معنا النصيرتان أم أمجد وكنار وأخذنا عدد من الرزم المغلفة والتي كانت عبارة عن أموال تعود للحزب .. وكان علينا أن نشتري المزيد من الملابس المدنية بمختلف أحجامها .

وفي نفس هذه الفترة كان هناك رفاق آخرين يتحركون في اتجاهات أخرى لإعداد بعض الأمور التي كانت تتعلق بنفس وجهتنا فمنهم من كان يعمل في (كه ند)"1" دوغات هناك في هذا المكان يوجد العديد من المخابئ التي استخدمناها طيلة سنوات البيشمه ركايه تى ، وهي عبارة عن كهوف شقتها مياه الأمطار في اعماق الأرض يصل عمق بعضها إلى أكثر من عشرة أمتار ويمتد أحيانا إلى مسافات بعيدة قد تزيد على مائة متر، وها اليوم نحتاجها مرة أخرى لكي نختبئ فيها الرفاق انتظارا لأدوارهم والذهاب إلى المدينة ومن هناك إلى سنجار .. وكانت مجموعة أخرى قد ذهبت إلى القرى المحيطة بمدينة الشيخان لإيجاد اتصال برفاق عادوا إليها عندما وصلنا إلى مه رانى حيث كانت رسالة من قيادة المحلية تنتظرهم فيها أمرا يحثهم على العودة إلى هناك ثانية دون أي انتظار، لغرض معرفة إمكانياتهم وزجهم في هذه المهمة التي كانت تتطلب جهودا استثنائية حتى تحقق هدفها في إنقاذ الأنصار.

مرة أخرى في مخبأ حتارة أعددنا مستلزمات سفر الرفيقة أم أمجد إلى المدينة وثم التقينا بالرفيق لقادم من سنجار والذي أبلغنا بدوره مؤكدا إن كل شئ على ما يرام وقال يمكننا استقبال المجاميع في أي وقت وصلت إلينا في محطة سرية خصصت لهذا الغرض، وعاد آخذا معه بعضا من هذه الرزم لإيصالها إلى سوريا ولينتظرنا في المحطة السرية في أقرب وقت . نشاطنا كان مكثفا وحركتنا كانت سريعة ، فعملنا كل ما كان في وسعنا كي تسير الأمور على أفضل وجه فكثرت الملابس المدنية في مخبأنا بمختلف أحجامها وألوانها ، كنا نحتاج إلى كل جهد مخلص ونحتاج إلىأشياء كثيرة ونحتاج إلى سيارات وأصحابها ، ونحتاج إلى وثائق ونماذج لهويات والمستمسكات الشخصية وأجازات الجنود ونايلون لكبس ألهويات وتغليفها وغيرها من الأشياء التي تساعدنا في النجاح .

إذن كان أمامنا الكثير من العمل لكي ننجح في غايتنا وإنقاذ أنفسنا من هذا الطوق الذي كان لا زال يشكل تهديدا جديا لنا ، فالجبال التي تركناها وراءنا كانت لا تزال مليئة بالقوات العسكرية لنظام وأمامنا أن نخوض تجربة المدن التي كنا نخشاها كثيرا لأننا إضطرارا سندخلها ولم نكن نحن الذين قمنا باختيار الوقت ولا كذلك شكل الدخول إليها فكان ذلك تحت وطأة الإنسحاب وتجنب الدخول في معركة غير متكافئة مع قوات النظام علاوة على الكثير من المحاولات والخطط التي وضعتها أجهزة الأمن والمخابرات الحكومية من اجل الإيقاع بنا في كماشتها عندما عرفت بتواجدنا في هذه المناطق ... وإلى جانب هذا كان للفترات الطويلة التي قضاها كل واحد منا في الجبال والتي جعلت حتى من أشكالنا جبلية وطريقة سيرنا كانت تشبه وكأننا نسير في الجبل وليس في المدينة وطبيعة تصرفاتنا في المأكل والملبس تحولت إلى طبائع أهل الجبل . فلم يكن الواحد منا يستسيغ الأمر وهو يعود إلى المدينة ويلبس بنطالا بعد سنوات طويلة من فراقه له فكان يعتبره سجنا حقيقيا لسيقانه ويشعر بنفسه مقيدا لا يجيد الحركة بواسطته ، وقميص صيفي رداءه لا يغطي غير نصف ذراعه الذي تعوَّد أن يكون رفيقا دائما مصاحبا وملامسا للبندقية في سيره ونومه وفي كل لحظات حياته وحذاء جلد لا يساعد المرء أن يجري به عشر خطوات لو تعرض لخطر ما ، إذن كيف سنتصرف في المدينة بعد أن نتخلى عن أسلحتنا التي هي سبب بقاءنا أحياء في المعارك رغم إنها أداة قتل .. وكيف سنواجه شرطيا

أو عسكريا وأيادينا فارغة ..؟؟؟ كنت أتوقع إن رجال الأمن والشرطة سيتعرفون علينا لو شاهدونا أو لمجرد دخولنا إلى المدينة ، فكل شيء في دواخلنا هو ذاته الشيء الظاهر قبل أن نلقي بنادقنا في المخابئ ويعتقد المرء من إنه لازال شكلا ومضمونا ذلك الرجل البيشمه ركه ويسير في مدينة لا صخرة فيها يتكأ خلفها وثم سيشعر بعد أن يحاول المقاومة إن لا بندقية معه ولذا لا سبيل أمامه غير أن يطيع ذلك العسكري الذي يتقدم لاعتقاله كي يبدأ برسم لوحته مع الموت تحت يد جلاديه تعلموا الجريمة من مدرسة البعث . هكذا كانت اللوحة تبدو لي ونحن نستعد لبدء نقل أول مجموعة عبر المدينة .. يا ترى هل سننجح ..؟ بلا شك كان قلقي غير اعتيادي في أغلب الأوقات ولكنه لم يكن قادرا على تثبيط همتي وانتزاع الشجاعة الكافية للمواصلة إلى النهاية حتى لو اشتدت هذه المخاطر أكثر ، فكانت قناعات كل واحد منا تشدنا وتزيدنا عزما على أن نخوض هذه التجربة بعد أن كنا نعد لها بدقة.

الأيام التي كانت تفصل بين وجودنا في ملاجئنا الجبلية وتلك الموجودة في الده شت وبين المدينة أصبحت قليلة بعددها ولكنها كانت طويلة بحكم الانتظار والمخاطر التي كانت تتخلله ، أجل الدقيقة تعد ساعة والساعة لم تكن تنتهي ، فكيف لليوم بليله ونهاره .

في القرية اتصلت بذات الرفيق الذي خاض تجربة في إيصال رفيق إلى أطراف الموصل أن يتهيأ لإيصال مجموعة إلى داخل مدينة الموصل نفسها ، أكد استعداده وقال إنه سيكون في الموعد في تمام الساعة المحددة من قبلي ، كان من الضروري أن لا يتخلف عنه ولو لدقيقة واحدة أو ثانية واحدة ، فإن ذلك لو حصل ربما شكل خطورة فادحة على الجميع ، فالدقة في حضور المواعيد كان سببا مهما لنجاحنا ليس في هذه المهمة فقط بل كان يشكل دائما محور نجاح مهامنا الأخرى وخصوصا بالنسبة إلى المجموعات العاملة في التنظيمات الحزبية ، وهكذا ربى رفاقنا في التنظيم والأنصارأيضا وهكذا تطلب الأمر لتجنب المخاطر ، فالدقيقة لها معناها في العمل السري ، بل الثانية الواحدة تحدد مسار قضية معينة ، وأنا شخصيا حاولت تجربة أن أصل إلى مكان الملتقى مع وصول السيارة في نفس اللحظة ، لمعرفة المدة التي سيستغرقها السائق من مكان استدارته من على الشارع العام أي من نقطة (كه ركاميش)"2" وكم سنحتاج

نحن من هذه المدة للوصول إلى السيارة ، هكذا أعددت موعدا معه على أن يكون وصولنا في وقت واحد لكي لا يضطر الانتظار في مكان مثل هذا، كونه إضطرارا يسلك طريقا مريبة بالنسبة إلى الأهالي وهكذا بالنسبة إلى عيون السلطة ، ولكن كان للصدفة أدوارا في تحديد مدى الخطورة .

أجل عدت إلى الجبل وكان هناك في الده شت موعد ينتظرني وكان علي ً أن أتهيأ للسفر إلى المدينة و كان ذلك يتطلب أن يكون لي مستمسكا أو وثيقة تؤهلني أن أعبر نقاط تفتيش (سيطرات) الحكومة ، ولما كنت لا أملك أية وثيقة غير واحدة فقدتها في أيام البيشمه ركايه تي ، فكان علي أن أخضع لأمر النصير كفاح كنجي الذي أوجد لي كنية في مكتبه الواقع في كهف يقع في قمة جبل مشرفة على قرية كرسافا قلما يعرفه أناس تلك المنطقة نفسها ، كانت كنيتي الجديدة تتطابق وعن طريق الصدفة مع كنية أحد سكان قريتي الحبيبة حتارة ، دون أن أعرفه حتى في الشكل والنسب ، ُسجلت في هذه الهوية تحت اسم خيري و..... وعليها صورتي بعد أن أعددتها منذ البداية ، عندما فكرت فيها مليا لتجاوز مشكلتها فتوصلت مع المعارف إن لي صورة واحدة وكبيرة يحتفظ بها صديق لي من قرية دوغات وهو الصديق عبدال محمود وهي معلقة في غرفة من بيتهم ، و تقارب شكلي في الفترة الحالية كان علينا إرسالها إلى المدينة لمعالجتها و هكذا سار الأمر رغم الصعوبات حتى وجدت أمامي صورا تصلح أن تكون ملتصقة بهوية شخصية ... فختمها العزيز كفاح بعد ذهابي وعودتي إلى الجبل ، في موذج لهوية لها حضورها في المعهد الزراعي في مدينة الموصل ، وهكذا حملت هويتي المختومة قبل كبسها أو تغليفها فكان علي أن أرسلها مرة أخرى إلى المدينة لغرض كبسها لكي تكون جاهزة ، ولما كان في مثل هذا الأمر خطورة كان علينا أن نبحث عن وسيلة أخرى لكبس الهويات والوثائق إذ لم يكن من السهل إرسال كل مستمسك يصدر من مكتب النصير كفاح إلى المدينة لغرض التغليف فكُلف الرفيق من سنجار الذي ذهب من اجل ترتيب أمر عبورنا قد أخبر الطرف من سوريا بحاجتنا إلى نايلون بارد لكبس الهويات ، ولابد من التأكيد إن مثل هذه لحاجيات كانت ممنوعة التداول في السوق العراقية ، وخصوصا الصناعات السورية وكانت عقوبتها شديدة ربما كانت تصل إلى الإعدام .

كنت مستعدا بعد كبس الهوية و تغليفها لركوب أية سيارة تتوجه نحو المدينة ، بعد أن تأكدت إن اللذين سيكونون بمعييتي هما كل من (الدكتور حجي)"3" و(ماموستا كوران)"4" .. بعد أن كان من المقرر أن يكون أول من يسافر معي هو أبو سالار ولكن اعتراض عدد من أعضاء المحلية حال دون ذلك .. وهذا ما تأكدت منه فيما بعد ، فلم يكن من المعقول أن يترك رفاقه وهو على رأس هيأتهم القيادية ، فقد كان الأنصار أمانة في أعناق قيادتهم .

ذن بين يدي هوية تنسبني إلى المعهد الزراعي في مدينة الموصل عليها صورة لي ألتقطتها بل سنوات طويلة من هذه الفترة ولكنها كانت لازالت تحتفظ بشبهها القريب لوضعي الحالي أي في الواقع كنت لازلت محافظا على شبابي رغم مصاعب حياة البيشمه ركايه تي ، وكانت هذه الهوية تحمل اسما يتطابق مع اسم أحد أبناء قريتي وكانت مغلفة بشكل جيد علاوة على الختم الذي وضعه عليها كفاح والذي لم يكن من السهل على شرطة نقاط التفتيش اكتشاف أمر تزويرها .

يل الساعة الرابعة عصرا استعد كل من الدكتور حجي وماموستا كوران ينتظران إشارة مني لحركة ، ولما حسبت إن الوقت يسير بشكل اعتيادي بعد مراقبة دقيقة لما حول المخبأ أخبرت الاثنين في الوقت المناسب أن يتبعاني ، فكان ذلك وأنحدرنا حتى كان وصولنا إلى الملتقى وإذا بالسائق يجيء في نفس اللحظة دون أي تأخير ، مرحبا بنا ... أركبوا بسرعة ... إن المكان هنا غير اعتيادي ويجلب الشكوك ... قالها السائق شمو حجي جندي من قرية حتارة الذي كان يقود سيارة من نوع بيكب تويوتا لاأتذكر موديلها .. لم يتوقف سوى ثواني قليلة وتحرك سريعا نحو القرية من جهة (الكه ند) فما كانت السيارات تسلك هذه الطريق بحكم وعورتها ووجود بدائل لها توصل القرية بالشوارع المبلطة والتي تؤدي إلى المدينة ، ولكنها (الساحبات الزراعية) كانت تستخدمها لحراثة الأراضي الزراعية القليلة الموجودة في هذه المنطقة ونقل الحجارة من المواقع المحيطة بمخابئنا للبناء ومن الجدير قوله هنا إن هذه المنطقة من (الكه ند) تحتوي على كميات كبيرة من الرخام (حجر الجبصين) على شكل طبقات من الصخور ، أستخدمه سكان

القرية قديما لصناعة الجص منه، فكانوا ينقلونه بواسطة حيوانات الحمل (حمير) وثم حرقه (قليه) في أكوار يتم إنشاءها من قبل السكان حول القرية وغالبا ما كان العمل يجري فيها بالسخرة وبعد ذلك كانوا يطحنونه بواسطة مطاحن بدائية ويستخدمون الجص الناتج منه بعد تجبله (جبلة) ي تبيض المراقد والمزارات والأماكن الدينية الخاصة بأبناء الديانة الأيزيدية علاوة على ن بعض العوائل كانت تستخدمها في عملية بناء القصور مع الحجر وهذا لم يكن متيسرا عدا لعوائل الميسورة وأعتقد إنه لازال أي حجر (الجبصين) يشكل نسبة كبيرة جدا من هذه المنطقة قد تكون بمثابة ثروة يستفيد منها سكان قريتا حتارة ودوغات .

كان كل واحد منا يحمل في أحدى يديه كيسا يحتوي على ملابس مدنية ومبلغا من المال في جيبه يسهل لنا الحركة بعد الوصول إلى مدينة الموصل في الحالات الطارئة ، فقد كان علينا أن نتصرف وكأننا لا نعرف بعضنا الآخر وإننا مجرد مسافرين اعتياديين جمعتنا الصدفة في سيارة واحدة . مرت السيارة سريعة في طرف من أطراف القرية وبالقرب من مجموعة من البيوت كان أطفالها يتابعون قدوم هذه السيارة من جهة (الكه ند) فكان ذلك بالنسبة لهم أمرا عريبا ، وبالنسبة لي كانت هذه الدقائق السريعة وأنا أمر نهارا في طرف من أطراف قريتي أمرا اختلط فيه الشعور بالقلق والنشوة في آن واحد ، فقد كانت خشيتي أن يشاهدنا أحدا من أهالي لقرية ويستطيع التعرف عليً فإن ذلك كان سيشكل خطرا على السائق حتى وإن لم يستطع التكهن بوجهتنا ، لأنه ليس كل أبناء القرية كانوا يريدون التعاون ، فكان فيها من تستفيد منه السلطات والأجهزة الأمنية وفيها العديد من الكوادر الحزبية لحزب البعث ، وأما النشوة فكانت ناتجة عن كوني سأغادر القرية ولكنني استطعت أن أمر فيها نهارا و ألحظ ما تبقى منها والتي ستبقى في ذاكرتي طالما بقيت بعيدا عنها ، ليس فقط بسبب ملاحقة سلطة البعث لعائلتنا بل لأسباب سياسية أخرى ، مارس فيها البعض جبروتهم على منظمات الحزب ، فتشردت عائلتنا بسببها إلى قرية دوغات وعانت من شظف العيش ما يكفيها .

سرعان ما استدارت السيارة نحو الطريق المؤدية إلى قرية دوغات وفي بدايتها كانت تتفرع إلى فرعين أحدهما يتواصل إلى دوغات بعد أن يقطع شارعا مبلطا والثاني ينحرف يمينا لكي يلتقي

بطريق تللسقف القديمة قلما تسيرعليها المركبات وكان اختيارنا أن نسير عليها لكي نصل تللسقف وثم نستخدم الشارع المبلط ، وكان لابد أن نتوقف في منتصف الطريق لكي نقوم بتغيير ملابسنا ، فجمعنا العسكرية منها في كيس نايلون وأخفيناها في حفرة كي يعود السائق إليها إن أراد وأرتدينا بناطيلا وقمصانا وأحذية جلد ، استعدادا للدخول إلى المدينة .

سار بنا السائق منطلقا على شارع مبلط باتجاه تلكيف ، لا أتذكر جيدا فيما إذا كان أحدنا قد صعد في مؤخرة السيارة أم إننا الثلاثة كنا في المقعد الأمامي عند السائق.لم يكن الأمر سهلا ونحن نتوجه إلى المدينة ، فكان ذلك في غاية الخطورةولذا اتفقنا أن نسلك شارع (بعويزة)"5" لأنه خالي من السيطرات إلا في الحالات الطارئة حيث يجري نصب نقاط تفتيش مؤقتة فيه قبل الدخول إلى المدينة . وصلنا إلى مدينة الموصل دون ان تكون هناك أية سيطرة من تلك المؤقتة وتصرف السائق أثناء كل هذه العملية بشجاعة رجل يعرف مسؤليته ، فقد كان يدرك تماما إن ثمن إكتشاف أمره هو الموت لامحال ، ولكن رغم ذلك أصرعلى تأدية مهمته وأنا شخصيا مدين لهذا الرجل وأعتبره من بين أبطال معركة الخلاص من قبضة أجهزة السلطة التي عملت كل ما لديها من إمكانيات لإيقاعنا في أكثر من فخ لها ولعدة مرات في تلك الفترة ، ولكن همة رفاقنا وحرصهم الشديد وشجاعتهم اللامحدودة فوتت على هذه الأجهزة القمعية كل الفرص وأفشلت كل خططها التي أعدت لها ، كانت فطنة رفاقنا واستخدامنا لأسلوب مخادعة هذه الأجهزة كفيلان لإظهار غباءها ، فبعد أن كانت تنتظر بفارغ الصبر من أجل تنفيذ مخططاتها ، وصل العديد منا إلى سوريا والآخرين عادوا إلى كارة لكي يتحركوا منه نحو الحدود مع تركيا .

وصلنا إلى مكان قريب من كراج الشيخان وأودعنا السائق على عجل وكان علينا عدم التقرب أو الدخول إلى الكراج لأنه قد يكون هناك من يعرفنا لذا كان لابد أن نأخذ سيارة تاكسي لإيصالنا إلى كراج سنجار .

والقصة لم تنتهي بعد .....

1- (كه ند) منطقة متموجة عبارة عن هضاب تمتد من الشارع العام بين شيخان والموصل وإلى الشارع العام الدولي بين دهوك والموصل وعلى خط محدد لا يشمل جميع القرى الواقعة بين الشارعين ، فمثلا تبدأ أو تنتهي هذه الهضبة غربا من قرية بدرية مرورا بقرى حتارة ودوغات وسريشكة و خوشابا ونفيرية وإلى منطقة قريبة من شيف شيرين . ويكثر حجر الرخام (الجبصين) في (كند) حتارة ودوغاتا دون غيرها . ومن الجدير بالذكر إن القرى الواقعة بمحاذات هذه الهضبة جنوبا تسمى بقرى (بن كند) أي القرى الجنوبية للهضبة .

2- (كه ركاميش) كلمة كوردية تعني بركة الجاموس وهي تقع في منتصف الطريق بين تللسقف جنوبا وألقوش شمالا وعلى تقاطع بين حتارة غربا ودوغات شرقا وبالقرب منها خاض أنصارنا ذات مرة معركة بطولية وفريدة من نوعها في ظروف صعبة جدا قتل فيها اثنان من المسؤولين المحليين لما يسمى بالجيش الشعبي ، واستشهد فيها النصير البطل سركون وهو من أهالي ألقوش بعد إصابته بجروح بليغة ، توجد في هذه المنطقة بعض المياه المالحة وهي غير صالحة للشرب ولكنها صالحة للزراعة ، كالطماطة والبطيخ وغيرها من المزروعات الصيفية .

3- (الدكتور حجي) التحق بصفوف الأنصار مبكرا ومارس مهنته كطبيب في مقر الفوج الأول والوحدات التابعة له ، ومن الجدير بالذكر إن عائلته تعرض قسم منها إلى الإعتقال حيث استمر حجزهم أكثر من 18 شهرا في أحد سجون مدينة الموصل ، أم القسم الآخر فقد تم تهجيرهم إلى كوردستان وسكنوا في المناطق المحررة ، وتعرضوا خلال فترة تواجدهم إلى معانات شملت العديد من العوائل.

4- (ماموستا كوران) من الأنصار الأوائل الذين ألتحقوا في صفوف قوات الحزب في 1978 وكان عضوا في اللجنة المحلية ، والآن يشغل موقع المسؤول الأول في مكتب العلاقات الوطنية في الحزب الديمقراطي الكوردستاني بعد أن تخلى عن مسؤولية مشابهة في الإتحاد الوطني الكوردستاني .

5- (بعويزة) قرية يسكنها الشبك والتركمان تقع على طرف من أطراف الموصل وفي القوس الشمالي منه ، ولا يفصلها عن الموصل إلا القليل .

المحطة السابعة عشرة

كان ذلك في 1- 10- 1988 عندما وجدنا أنفسنا وسط مدينة الموصل التي كانت تزدحم شوارعها بالمارة والسيارات وتلفها أبنية وعمارات لم نراها منذ فترة طويلة ولم يكن قسم منها موجودا عندما كنا نتردد إلى المدينة في الظروف الطبيعية ، كنا ننظر إلى وجوه المارة سريعا لم يكن وضعنا مساعدا أو وقتنا كافيا لكي أقرأ في هذه الوجوه ولكن رغم ذلك كانت الكثير من الأشياء تلفت نظري فيها ، فهناك من كان يدفع بعربة محملة يحاول جاهدا عبور الشارع من أي مكان كان دون أن يجد له فرصة العبور فقد كان يتصبب عرقا ويزداد غضبا ويطلق السباب لسواق السيارات ، وكان هنالك متسولون يمدون يدهم للمارة كان بينهم من يدفع له ومن يتمتم بكلمات لا يفهما المتسول ، وكان سقاة مشروبعرق السوس يجوبون الأرصفة المضللة ويروجون لمشروبهم اللذيذ ، كم تمنيت أن أشرب كأسا منه ، ولكنه كان علينا أن نتصرف بسرعة ، وكان هناك باعة صغار يبيعون علب السيكائر والعلك وبعض أنواع المعجنات في صناديق مزودة بأحزمة تساعدهم على حملها على شكل دروع على صدورهم وتتعالى أصواتهم الناعمة للترويج لبضاعتهم فحتى بيع سيكارة بالمفرد كان يزيدهم حماسا في الصياح ويدخل الفرح إلى قلوبهم .

بين كل هذا الزحام و انتظارنا توقفت سيارة تاكسي أمام إشارة يد أحدنا وقال لنا سائقها ما هي وجهتكم ، فأبلغناه إنها كراج سنجار، قال توكلت على الله ، في الطريق إلى هناك لم ينقطع نظرنا عن الحركة النشطة في مثل هذا الوقت في شوارع مدينة الموصل ولا انقطعت عن النظر إلى كل ما كان جديدا بالنسبة لنا ، فمنذ سنين طويلة لم نرى فيها المدينة ، وها نحن على شوراعها وبين أبنيتها الشاهقة وبين سكانها وزوارها الذين (لا يشبهوننا) ، تذكرت عندها حكاية لعم مراد من قرية كابارا كان يرويها لنا عندما كنا نذهب إلى قريتهم ونحل ضيوفا عليهم في

بيتهم قبل هذا الوقت وقبل أن تدمر كابارا في بدايات هذه الحملة وتهجير سكانها إلى مجمعات سكنية قسرية ، حيث كان يقول لنا (عندما أجدكم وأنتم تحملون أسلحتكم وتتجولون بكل شجاعة وتخوضون المعارك وتتحدثون إلينا أشعر إنكم قادرون على إسقاط النظام بين ليلة وضحاها وهذا ما يشعرني بفرح غامر في الحقيقة حتى أقول في دواخلي بأنني سأنهض في صبيحة اليوم التالي وأول ما سأستمع إليه هو البيان رقم (1) يُعلن فيه إسقاط النظام ، ولكنني عندما أسافر إلى مدينة الموصل وأشاهد نقاط التفتيش الرهيبة التي تطوق المدينة وتقع عيناي على قوات الشرطة التي تتجول في المدينة وعندما أشعر بالكم الهائل من عناصر الأمن والإستخبارات وهي تراقب الناس في صغيرها وكبيرها وعندما أجد هذه الأبنية الشاهقة التي لا أستطيع رؤية نهايتها وعندما أجد قوافل الجيش تتحرك من المدينة نحو وجهة معينة أشعر بخيبة أمل وبمرارة وأقول في دواخلي كيف لهؤلاء البيشمه ركه وهم لايملكون غير أسلحة خفيفة وأيمانهم بقضيتهم وإرادتهم أن يسقطوا هذا النظام ويقضوا على جيشه وأمنه و إستخباراته وأن يدمروا كل هذه الأبنية الشاهقة وووووو الكثير من الأسئلة .؟؟؟) .

مر الوقت سريعا .. فوصلنا إلى كراج سنجار وأخذ السائق أُجرته ، واندفعنا بهدوء إلى داخله واحدا تلو الآخر ، سألت عن السيارات الذاهبة إلى ناحية الشمال (سنونى) ، أشار أحدهم إلى سيارة برازيلي مركونة في مكان من الكراج توجهت إليها وقاطعت صوت السائق العالي وهو يصيح (سنونى ... سنونى) فقلت له أنا من يسافر إلى هناك ، قال أنتظر إذن لكي يكتمل العدد وسرعان ما جاء من بعدي احد رفيقاي وثم جاء الثاني فقال السائق علينا أن ننتظر مسافرا آخرا ... قلت له طيب ولكن بعد فترة أخرى من الصياح أكدتٌ له إن الوقت يتأخر ومن المحتمل أن لا يأتي المسافر الرابع أبدا .. فقال إذا كنت مستعدا أو مستعدون أنتم على دفع أجرة المسافر الرابع ، فسنتحرك على الفور وهذا أفضل بالنسبة لي ، إذ سأصل إلى بيتي في وقت مبكر .. فقلت له أنا مستعد ولكن أسأل الآخرين ، وافق رفيقاي الاثنان في الحال بعدما سألهما .

وهكذا سارت الأمور ، فتحرك السائق منطلقا من الكراج عبر شوارع مدينة الموصل التي كنت

أجهل أسماءها أو أسماء الأحياء التي كنا نمر عبرها وحتى أشكالها ولكن الدكتور حجي كان يعرف المدينة بشكل جيد ، وكان ينبغي أن لا يشعر السائق بأننا مجموعة واحدة أو إن وجهتنا هي واحدة ، ولذلك حاول الدكتور الإيحاء إلى أسماء هذه الشوارع والأحياء بشكل لا يثير فضول السائق أو يسأل ما إذا كنا مجموعة واحدة . ولما كان الحديث باللغة العربية أكثر أمنا من أن نتحدث باللغة الكوردية وبلهجتين ، جرى الإتفاق على تجنب التحدث بالكوردية عندما يسال أحدنا الآخر عن أمر ما والتظاهر بأننا لا نعرف البعض أبدا ، فكوران يتحدث اللهجة الكوردية السورانية وهو من أهالي أربيل والدكتور حجي يتحدث اللهجة الكوردية البه هدينية ولكن طريقة تلفظه للكلمات سرعان ما تُعرف مستمعه بمنشأه ، وكان الإتفاق أن لايعرف أحدا إننا ضمن مجموعة واحدة لكي نتجنب المخاطر بشكل جماعي إن تعرض أحدنا لشبهة ما في نقاط التفتيش أو أي مكان آخر، كانت السيارة تسير بنا بسرعة وكنت فرحا أن أستطيع رؤية ما لم أستطيع رؤيته في أيام الجبل ، فهناك في الجبال وفي القرى النائية لم نكن نستطيع رؤية السيارات إلا القليل وبموديلات قديمة وجبلية فغالبا ما كان يجري استخدامها في نقل المحاصيل الزراعية إلى المدينة ، وكثيرا ما كان يتحدث بعض الرفاق والملتحقين الجدد عن موديلات السيارات التي كانت تصل إلى العراق ويتحدثون عن مواصفاتها و سرعتها وغير ذلك من الأمور ، وكنت استمع إليهم مندهشا ، هل استطاع هؤلاء رؤية هذه السيارات العجيبة وربما استخدموها في السفر.. ؟؟ ولذلك أثناء هذا المرور السريع في المدينة أردت أن أعوض عن ما فاتني من رؤية هذه السيارات ومعها كل ما كان موجودا في المدينة ، فكل شيء كان بالنسبة لي جديدا ، ولذلك أشبعت عيناي برؤية كل الأشياء .

ومرة أخرى شعرت أن الوقت يمر سريعا عندما لاحظت أمامي لافتة تقول (قف نقطة تفتيش) كانت هذه أول نقطة تفتيش نلتقيها في رحلتنا هذه ، فحبست أنفاسي وشعرت إن رفيقاي أيضا استعدا لهذه المعركة التي تحتاج إلى الكثير من رباطة جأش وضبط النفس والتعامل بشكل طبيعي مع إجراءات التفتيش المحتملة وغيرها ، وفي الواقع لم يكن من السهولة بمكان أن يستطيع المرء منا السيطرة الكاملة على مخاوفه وخصوصا إنها المرة الأولى التي نواجه فيها نقطة تفتيش طيلة فترة البيشمه ركايه تى ، وأعتقد إن أداء أي عمل بدقة يحتاج إلى شيء من

الممارسة ، فكيف بنا ونحن من أخطر الأشخاص بالنسبة إلى السلطات الأمنية وأمام نقطة التفتيش هذه من غير تجربة سابقة ، نحن الآن بينهم ولا ينقذنا أي شيء في حالة حصول شك لدى الشرطي الذي يقوم بعملية تفتيش ، بين هذه المخاوف ومحاولة مقاومتها بما كان أمامنا من مهمة إنقاذ أكبر عدد من الأنصار ، والتي كانت تتغلب بالنسبة لي طيلة تأديتي لهذه المهمة على نقاط ضعفي وخوفي وقلقي ، تراءت لي هيأة الشرطي (الانضباط) المخيفة على بعد أمتار وهو يقف وسط الشارع وبين حواجز اصطناعية يوقف السيارات أو يؤشر لها بالمرور ، أعددت في دواخلي العديد من الأجوبة على أسئلته المفترضة والمخيفة ، كانت بعضها مرتبكة وأخرى متماسكة وشعرت إنني أمام امتحان عسير وسيتقرر مصيري في نقطة التفتيش هذه ، أما بقية الرفاق في الكند والجبل والذين ينتظرون عودتي ونجاحي في تنفيذ المهمة سيصابون بخيبة أمل وربما سيتعرضون إلى الكثير من المصاعب قد تؤدي بحياتهم ، ولكنه رغم كل هذا السيناريو فإنه (الشرطي) لم يسأل ولو سؤالا واحدا ولا عانيت مشقة الإجابة عليها ، فعندما اقتربنا منه وجدته يؤشر لسائق سيارتنا بالمواصلة بعد أن خفف من سرعته كثيرا استعدادا للوقوف ، أشعرتني إشارته بالمرور دون توقف أو تفتيش بسعادة عظيمة وبنشوة حقيقية وشعور بالنجاح وخففت من مخاوفي شخصيا ، رغم ما كان أمامنا بعدُ من المخاوف ما يكفي .

ارتسم على قسمات وجوهنا شيء من البهجة وتسللت إلى دواخلنا حالة من الإنشراح والإنبساط لم نعلنها ولكننا حاولنا التعبير عنها بالحديث عن أشياء تؤكد هذه الحالة .

كثيرا ما كنا نتحدث إلى السائق بعد أن تكونت بيننا وبينه علاقات الرفقة بوجهة مشتركة ، ففي الدقائق الأولى كانت الأسئلة تطرح من قبل طرفينا بشكل رسمي وهكذا مثّلنا الدور فيما بيننا بإتقان كاف ، وهذا ما يحدث عادة في بداية أية علاقة كانت . وبعدها تحولت إلى علاقة طبيعية يتخللها شيء من المزاح والحديث أصبح سلسا عن المواضيع التي كنا نتناولها ، ولكن رغم ذلك كان علينا أن نتوخى الحذر ونتواصل الدقة في التحدث والتظاهر أمام السائق وكأننا تعرفنا على البعض في سيارته فقط ولذلك كنا نسأل بعضنا الآخر أسئلة معينة ، ونجيب عليها بقصص معينة . فكل واحد منا كانت له قصته.. نسجها من خياله بسبب حاجتنا لها ولكي

يرويها في ساعات سفره للآخرين كما في هذه الحالة ، يشرح فيها عن مكان قدومه ولماذا يسافر إلى سنونى .. ويتحدث عن تحصيله الدراسي وعن عمله وغيرها من الأشياء التي تجعل من كل احد منا مسافرا اعتياديا (لا تشوبه شائبة) كأي مسافر آخر .

ضغط السائق على دواسة البنزين وأنطلق بسرعة وكانت سيارات البرازيلى أنذاك من السيارات المرغوبة جدا بسبب سعرها المنخفض و ربما الجانب الإقتصادي فيها (قلة صرف البنزين) كانت هذه السيارات قد دخلت إلى العراق جديدا ، شعرت إنها تسير بسرعة لم أعتدها في السابق ، وخصوصا كل السيارات التي استخدمتها في التنقل قبل التحاقي كانت عبارة عن سنشآت نقل الركاب أو سيارات أجرة قديمة أو سياراتا تعمل على الطرق الترابية بين أريافنا ومدينة الموصل ، وإنها لم تكن تعرف السرعة التي تسير بها السيارات في الوقت الحاضر . كان الشارع الذي يربط الموصل بسنجار مبلطا بشكل جيد والمسافة طويلة ، لم يكن من السهولة قضاءها دون نخوض في أحاديث بيننا كركاب وبين السائق ولكن رغم ذلك شعرت شخصيا بملل من طول الوقت ، بعد أن تكللت التجربة الثانية من هذه الرحلة بالنجاح أيضا ، حيث أجتزنا نقطة تفتيش بادوش دون أن نتوقف فيها بعدما سمح لنا أحد أفراد الشرطة بالمرور بين الحواجز الاصطناعية دون توقف وهو جالس على كرسي وتحت ظلال بناية مشيدة من الطابوق الأسمنتي تحيطها عدة بنايات أخرى صغيرة المساحة تغطيها قطع من صفائح الألمنيوم (الجينكو).

كانت الحرارة في مثل هذه الأيام الخريفية لازالت قادرة على غرق أجسادنا ونحن محصورين في بطن سيارة صغيرة بالعرق الذي يتصبب في كل مكان منها ، وهذا ما كان يدفعنا لتنزيل زجاج السيارة إلى آخره بين الحين والآخر لغرض التخفيف من الحرارة الموجودة في داخل السيارة ، ولكن الريح التي كانت تدخل إلينا كانت تزعجنا أحيانا بسبب لفحاتها الحارة إضافة إلى إحداثها للكثير من الأصوات التي كانت تقطع أحاديثنا حيث كنا نخوضها بهدف التخفيف من وطأة طول الطريق .

عرفت بكل تأكيد إن السائق لم يشعر أبدا بأي تصرف غريب بادر من عندنا (كاكتشاف قلقنا الداخلي مثلا) ولا شعر إن ركابه من أخطر الممنوعات في العراق ، حيث كنا على حد وصف لسلطات من مرتزقة ومخربي الحزب الشيوعي العراقي العميل فلم تكن هناك أية فرصة للحياة لمن يقع من أمثالنا بين مخالب رجالات أجهزتها الأمنية ، وهذا ما كان واضحا لدينا نحن ولكن السائق كان يجهل من نكون نحن ، فكل ما كان في باله إنه سيصل إلى عائلته في وقت أبكر من الأيام الأخرى ولذلك كنت تجده سعيدا بيومه هذا ، وربما كان يتمنى أن يأتيه مسافرون مثلنا في كل يوم وخصوصا إن جرت الأمور فيما تبقى من الطريق بشكل طبيعي ، ولكنه لو أكتشف أمرنا عندما نتعرض لخطر ما في نقطة تفتيش ونحن في سيارته لأختلف الأمر لديه .

بعد ما يقارب الساعتين من السير تخللتها أسئلة كثيرة كانت تمر كسيل جارف في مخيلتي ، غلبها كانت قلقة ترسم لي ولرفيقاي مصيرا مأساويا سيتقرر بعد أن نصل إلى سيطرة أم لشبابيك وهي من نقاط التفتيش المتشددة مع المارة في إجراءاتها باعتبارها آخر نقطة تفتيش تقع بين مدينة الموصل وناحية سنونى الحدودية الواقعة في شمال مدينة سنجار . ورغم كل ذلك كانت هناك بعض الأسئلة تظهر ما بين كل هذا القلق ترسم لنا لوحة من الأمل ، نصل بها إلى غرب الثلوج والبرد نتدثر فيه بغربتنا وأحلامنا ، هكذا بدأت الشمس تنحدر نحو الغروب حتى أصبح قرصها الذي كان شبيها بكتلة نار حمراء معلقا في جهة من السماء ، مقتربا من الأرض من جهة الغرب لا يفصل بينهما إلا مسافة قصيرة تحتاج إلى دقائق قليلة لكي يختفي لقرص تماما إلا أشعته الحمراء التي تنتشر خيوطها على شكل دائرة واسعة ابتلعت ظلمة الأرض نصفها والنصف الآخر كان يعلو ارتفاعها إلى فضاءات شاسعة و تصل إلى سماء عالية متسللة بين الغيوم التي تظهر من فوق جهة بعيدة من الغرب الآمن وتحولها إلى تموجات تختلط بين اللون الأحمر الغامق واللون الأسود مشكلة بذلك منظرا جميلا يمكنه أن يكون مصدرا ملهما للحالمين والعشاق والأدباء لكي يحلموا أو يتغزلوا بحبيباتهم أو عشيقاتهم أو ينظموا أشعارهم وقصصهم ورواياتهم حبهم برقة تلك الدقائق والدفء الصادر مابين نهاية تلك النقطة من الأرض والتي تحتضن الشمس بحركة شبيهة بلقاء عاشقين يتبادلان الحب ، يستمر المنظر على قدر تخيل المرء ، مقاوما عتمة الظلام القادم ، الذي كان يحمل معه ولما يزل في

صقاع من أرضنا على شاكلة بلادنا قدرا كبيرا من الرعب حينما كانت جيوش الطاغية تتحرك صوب أعداءها الموهومين وهم من البشر وتجبلوا من هذه الأرض الطيبة ومن طينتها ، يريدون عبا وخيرا وأمنا وسلاما ، وهي تتقدم لكي تتحرى عن أسرارهم في مخادع الأطفال والنساء الشيوخ وتدمر قراهم ومزارعهم ، وعندما كانت قطعان جلاوزة القمع تنطلق باحثة عن بشر يحلمون وعن بشر يكتبون وعن بشر يحبون وعن بشر يرفضون منتهكين بذلك كل الحرمات يستبيحون المدن والقرى وكل الأشياء وعندما كانت تنصب المشانق في سباق مع الليل قبل طلول النهار وتنفذ قرارات الموت فجرا و تبدأ عمليات إعدام هؤلاء الأعداء (الخونة) وما كان أكثرهم في بلادنا وفق نظرية السلطة ، فكل من كان مخالفا حتى في أحلامه مع أحلام لدكتاتور كان خائنا ولم يكن جائزا تركه في هذه البلاد حرا وطليقا بل كان ينبغي موته وطرق الموت ووسائله الجديدة كانت تبتكر في كل لحظة من لحظات وطننا ، هذه كانت بلادنا إذ كانت تتمرغ في دماء أبناءها النازفة دون توقف سواءا في الحروب أو في الأقبية والسجون ، أما لأوطان الأخرى في الغرب والشمال والقارات البعيدة فكان ليلها مزيدا من الوقت لمواطنيها للرقص والغناء والطرب والحب .

وأنا أتابع هذا المنظر الجميل والذي تعودت أن أخصص له وقتي في مثل هذا الدقائق كلما كان ذلك ممكنا ، إذ اتكأ على صخرة ما و أتابع نهاية رحلة الشمس اليومية التي تكون في بعض لأحيان وراء جبل كارة أو جبل مامه ند أو جبل قنديل أو جبل متين أو سلسلة الجبال التي تمتد من شيخان وتعبر باعذرة وألقوش لكي تصل إلى داكا وجامبور بالقرب من فايدة أو أي جبل آخر ، فكل جبال كوردستان كانت تشيع الشمس في مثل هذه النهاية الجميلة وكل نهاية كانت تحيك قصة ربما تكون جميلة بين عاشقين أو محزنة يرحل فيها لنا رفيقا أو صديقا عزيزا ، وهذه لمرة كان المقعد الأمامي لسيارة البرازيلي يسند ظهري وأنا أودع الشمس في طقوس خاصة مارسها كما في كل المرات التي لا تستطيع الغيوم حجب الشمس عن الرؤية أو أن لا يكون هناك مخبأ يمنعني من الوقوف أمامها في مكان ما من الأرض ، وأنا مندمج في طقوسي الوداعية وفي الدقائق الأخيرة منها وجدت إن بداية سلسلة جبل سنجار بدأت تتسلل مابين تلك لخيوط الذهبية المتوهجة من شمسنا الحمراء التي تقاوم الغروب حتى شعرت إنها تأبى الغروب

وتنتظر بعناد عبورنا نقطة التفتيش فهي قلقة كما قلقي في طقوسي من أجلها في غروبها .. وما بين خيوط الظلام التي بدأت تنتشر من سطح كرتنا الأرضية الطيبة ، وجدت إن كل الأشياء الواقعة في أسفلها تظهر واضحة للعيان .. أبنية تتناثر في المكان .. لمعان السقوف المصنوعة من ألواح الألمنيوم (الجينكو) وهي تبعث بتلك الأشعة الحمراء التي تسرقها من الشمس تخدع المرء وكأنه أمام مياه بحر .. وأحيانا كانت أضواء السيارات المارة عبر نقطة التفتيش تتراقص خاطفة .. و يلاحظ المرء من هذا المكان الذي نسير عليه إن هناك خطان يزدادان لمعانا ، يعانقان السلسلة الجبلية وهما مفترق شارعين أحدهما يستمر لكي يصل إلى مدينة سنجار ، تلك المدينة التي قذفتني إليها الأقدار لكي أواصل فيها دراستي عندما كنت تلميذا في الصف الثاني المتوسط ، حينها ضاقت بنا الأحوال بسبب الأحداث المؤسفة التي وقعت بين حزبنا الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكوردستاني في بداية السبعينيات من القرن الماضي جرى فيها حرق منزلنا في قرية حتارة وتشرد أهلي من القرية وعاشوا في دوغاتا سنين طويلة ، وبسبب الظروف المعيشية السيئة أضطر أهلي على الموافقة لكي أذهب إلى سنجار وأدرس في ثانوية المدينة ، إذ كان مسئول منظمة الحزب فيها حينذاك من أهالي قريتنا وكانت تربطه علاقات وثيقة بالعائلة كلها وقد عاش بيننا كفرد من العائلة .

هناك في سنجار واصلت دراستي لمدة سنتين ، مر شريط ذكرياتها سريعا أمام عيني وجدت فيه أصدقائي وهم من عوائل شيوعية مرموقة ، قدمت الكثير ضمن مسيرة الحزب الكفاحية ، كان بينهم ثائر ابن الشيوعي المعروف في المدينة المرحوم سليمان صولبه ند .. وكان هناك نبيل ومحمد وعواطف ، كان والدهم الشيوعي إبراهيم (أبو نبيل) كاتبا في قائمقامية المدينة منفيا من الجنوب (الناصرية) إليها .. تذكرت أول اجتماع لنا بقيادة الرفيق فارس أبن سليمان صولبه ند الأكبر.. وجدت في شريطي سعيد شيخ جوز ، وجدت قوال ، وجدت العديد من الشيوعيين كانوا يحضرون الاجتماعات الحزبية في البيت الذي أسكن فيه ، مرت في خيالي صور أول اجتماع للشبيبة حضرته في سنجار عقد في بيت سليمان صولبه ند وفي غرفة معزولة كانت تقع في طرف من البيت تستخدم لحفظ ما هو قديم .. تذكرت إن رجلا كان يعرفني أرشد شرطيا من أمن سنجار على مكان كنت أبتاع منه بعض الحاجيات ، حيث

قتادني من هناك إلى دائرتهم ، وهناك قرأوا عليَّ لائحة تتضمن كل المعلومات عني وقال أحدهم إنك شيوعي ، فقلت له هذا ليس بسر وأنا أقر بذلك ، فحصلتٌ من أحدهم على مكافأة كان قدرها الكثير من الضرب المبرح والتهديد بتعليقي في مروحة سقفية حتى صعُب عليَّ بعد حوالي ساعتين من الاستجواب والضرب العودة إلى البيت .. وتذكرت أيضا عندما تجمع حوالينا أنا وصديق طفولتي كامل حسين في أحد شوارع المدينة وأمام أنظار الشرطة أكثر من عشرون طالبا من أعضاء ما كان يسمى بالإتحاد الوطني ومن نفس المدرسة وأدموا كل بقعة من جسدنا ، بعدها تركونا أن نذهب إلى البيت ، كان هناك شيوعيا من سنجار هو الآخر تعرض إلى ضرب شديد أصابت عدة أماكن من جسده بجروح عميقة ، لم يرغب أمامنا أنا وكامل أن يعترف إن ضرب البعثثين هو سبب جروحه التي لم تندمل بعد ، فقد كان يقول إنني وقعت من الدرج فأصبت بما تشاهدون ، ولكننا عندما دخلنا البيت ورآنا نحن في مثل حالته صفق وقال ضاحكا أنا لست وحدي ، ها أصبح لي صديقان في نفس المحنة .

وهكذا عرفت إن منظمات البعث في سنجار كانت قد نظمت حملة واسعة للنيل من رفاق حزبنا ، إذ إنها لم تكتفي بالضرب والتهديد ، بل مارست القتل الفعلي إذ راح ضحية هذه الأعمال الإرهابية شقيقين من رفاقنا شهداءأ أثر معركة غير متكافئة كان رفاقنا فيها عزل عن السلاح .

وسط كل هذه الذكريات وجدت شرطيا واضعا بيريته الحمراء تحت كتافيته اليمنى وواضعا يده اليمنى على قمرة سيارتنا مقربا رأسه عبر نافذة السائق وهو يقول (وين رايحين الشباب) أجابه السائق ، إلى سنونى ، فرد تفضلوا .

كانت لحظات سريعة لم تترك لي الوقت أن اشعر بالقلق بخلاف نقاط التفتيش التي سبقتها ، بالتأكيد كان لشريط ذكرياتي في سنجار الدور الأهم في ذلك وعدم فسح المجال للخضوع لمسلسل الخوف من نقطة التفتيش هذه ، في الواقع كان لعبورنا هذه السيطرة الأثر العميق على ارتفاع معنوياتنا وظهر هذا واضحا على ملامحنا نحن الثلاثة ، ولكنه رغم ذلك لم نعبرعن هذه الحالة بكلمات معينة خشية من السائق الذي لا يعرف عنا أي شيء لحد الآن وهو يتصور بأننا

سنرافقه فعلا إلى سنونى ولكنه فجأة وبعد مسيرة استغرقت وقتا معينا طلبت منه أن يتوقف أمام أحدى المجمعات السكنية ، فقال ولكنكم كنتم تقولون إن وجهتنا هي سنونى نفسها ، فقلت له ها نحن قريبون من منها علينا زيارة بعض المعارف هنا ، لم يقل أكثر من هذا وسط نظرات ستغراب حين وجد إننا مجموعة واحدة ، لم يستطع معرفة ذلك طوال الطريق ، فذهب قائلا الله معاكم .

كان عليّ بعد هذا أن أجد محطتنا السرية وهي عبارة عن بيت لأحد رفاقنا من منظمة الحزب في سنجار ، لم أكن أعرف البيت ولا شاهدت المجمع في السابق ولكنني كنت حافظا في ذاكرتي خريطة دقيقة عن موقع البيت رسمها لي الرفيق من سنجار بشكل جيد ورغم ذلك وربما الفرح أو القلق أو شيء آخر كان سببا لأن نسير عكس ما كان في الخريطة حتى أدركت هذا الأمر في وقت ما مما اضطرنا الدخول إلى المجمع وسألنا بعض الناس عن اسم هذه العائلة فنفوا علمهم بمعرفتها ، أدركت إننا في ورطة فقد كان من الممكن أن نلتق بناس يتعاونون مع السلطات الأمنية ، لذلك قررنا العودة سريعا إلى خارج المجمع لئلا يكتشف أمرنا ، كان الظلام حالكا والرؤية غير واضحة ، وجدنا أنفسنا أمام مجرى شقته مياه الأمطار كان عمقه قريبا لقامة رجل ، طلبت من رفيقاي البقاء في هذا المكان لفترة محددة ، لكي اذهب للبحث عن محطتنا السرية بعد أن أعدتُ حساباتي قررتُ العودة إلى مكان ترجلنا من السيارة لكي استعيد تفاصيل الخريطة بدقة وأتعرف على ملامح الأرض التي ستوصلني إلى المحطة ، ومن هذا المكان فعلا تحركت وفق مخطط الخريطة ، فوجدت نفسي أمام العلامة الأخيرة التي تقابلها المحطة ، قتربت من البيت وبعد التفافي يمينا ويسارا طرقت الباب سمعت صوتا يقول من الطارق أعطيته كلمة السر ، فسرعان ما فتح الباب ، لم أكن قد ألتقيته من قبل ولكنني عرفته في الحال لأنه ثيرا ما كان عمه يحدثني عنه ، كان شابا حسنا الهندام أبدى قدرا كبيرا من الاحترام في استقباله لي ، وقال إذن أنت ناظم ، أجبته بنعم ، كان الرجل هادئا متمالكا أعصابه ، يتصرف بشكل دقيق ، وقال لماذا أنت وحدك ،؟ قلت له لست وحدي ولكنني أريد بسرعة التحدث إلى عمك ، فأدخلني إلى غرفة ما ، وقال سأذهب لمناداة عمي ولا تقلق كثيرا ، إنه لن يتأخر كثير ، خرج الشاب وجاء والده مرحبا بي بحرارة ، وبدأنا نتحدث عن هذه الأوضاع المعقدة وسأل عن

رفاقي ، وكيف يمكن لهم التخلص من هذا الحصار المحكم ، أجبته نحن نعمل المستحيل على كسر طوق الحصار ولنا الثقة في إننا سننجح في مساعينا ونفشل مخططات السلطة مهما امتلكت من إمكانيات ، وفي هذه الأثناء دخل رفيقنا من سنجار حائرا يسأل عن رفيقاي ، قلت له لا تقلق أنهما قريبان من هذا المكان وتحدثت له سريعا عن ما حدث لنا من خطأ في الاتجاه ، فقال هل ستتعرف على المكان ..؟ قلت له بالتأكيد ، قال إذن أستعد في الحال لكي نذهب إليهما ، خرجنا من المنزل بهدوء واتجهنا نحو مكان تواجد الرفيقين ، ولحسن الحظ لم أخطأ في إيجاد المكان إذا وجته بسهولة ، لذلك عدنا سريعا إلى المنزل ، ثم سألت عن إمكانية العودة في نفس الليلة ، عرفت إن ذلك مستحيلا بعد أن أكد لي الرفيق عدم وجود سيارات في مثل هذا الوقت تتوجه إلى الموصل ، ثم إن نقاط التفتيش ليست سهلة في الليل وقال أين ستقضي بقية الليل عندما تصل إلى الموصل .؟ ولذلك غضيت النظر عن العودة في نفس الليلة .

لازال للحديث بقية

المحطة الثامنة عشرة

في غرفة معزولة ضمن هذا المنزل تحدثنا كثيرا بعد أن تناولنا طعاما شهيا ، وأكدت للرفيق ضرورة أن أعود إلى الـ (كه ند) في اليوم التالي وذلك لأن الرفاق هناك ينتظرون بلهفة نجاحنا في إيصال أول مجموعة إلى المحطة السرية وكذلك لغرض تهيأة مجموعة أخرى وإرسالها ، وقلت إنني لن أعود مع هذه المجموعة في المرة التالية إن لم أضطر لذلك ، خشية من السفر المتتالي عبر نقاط التفتيش أوأن يتعرف عليً أحد أفراد الشرطة و يشك بأي شيء يسيء إلى مهمتنا ، فقد كنت أفضل البقاء لتأدية بعض المهام في الـ (كه ند) والجبل وعلى أن تفصل بين زيارة أو مرافقة مجموعة من الأنصار إلى المحطة السرية وأخرى عدة أيام .

خلال الليل تحدثنا أنا والرفيق من سنجار عن بعض جوانب المهمة التي كانت تقع على عاتقنا وتعرفت على خطة العبور إلى سورية ولذلك كان لابد أن تستعد المجموعة الثانية للتحرك نحو

المحطة السرية حالما أعود إلى المنطقة الـ (كه ند) ، لأن موعد العبور إلى سوريا وبالاتفاق مع الطرف الآخر أصبح قريبا ، وتحدثت قبل الذهاب إلى النوم مع شباب هذه العائلة فتكونت بيني وبينهم وبين أغلب أفرادها علاقة وثيقة ، وتعرفت كذلك عبر الرفيق على مخبأ جرى إعداده بشكل جيد وذلك لغرض استخدامه في الحالات الطارئة ، كمداهمة قوات الحكومة للمنزل ، تحدثنا في هذه الليلة كثيرا على ضوء المصابيح الكهربائية عن أمور كثيرة كلها كانت تتعلق بكيفية تحقيق المزيد من النجاح في خطتنا هذه ، توضحت لدينا أغلب ما كان ينبغي أن نخطوه في الجولات القادمة ، بقينا نتحدث الى الضياءات الأولى من صبيحة اليوم التالي ، وثم ذهبنا إلى النوم في نفس هذه الغرفة .

كان عليَ أن أغادر المحطة السرية في وقت محدد من النهار على أن أصل إلى مدينة الموصل وقت الغروب أو ما بعده كي أتجنب صدف اللقاء بأناس من مناطقنا يأتون إلى المدينة لتبضع ، ولذلك بقيت إلى ما بعد منتصفه ، حينها خرجت من البيت بعد مراقبة دقيقة من قبل الشباب لما حول البيت حاملا معي ملفوفا من نايلون كبس الهويات (صناعة سوريا) علاوة على رسالة خاصة من رفيق لنا في سوريا أرسلها لأهله ، وضعتها في مكان ما من ملابسي ولكن النايلون بقي في قبضة يدي وهو مغلف بجريدة من الصحف العراقية . ابتعدت من البيت دون أن يلاحظني أحدا من أي بيت خرجت وخصوصا إن الحرارة كانت لما تزل عالية تجبر الناس على التزام منازلهم في مثل هذا الوقت ، توجهت نحو الشارع المبلط ، وقبل الوصول إليه سمعت صوت سيارة قادمة من الخلف فتوقفت وأشرتُ لسائقها بالوقوف ولكنه أمتنع عن ذلك ، واصلتُ السير إلى الشارع وانتظرتُ طويلا حتى جاءت سيارة ماليبو، في الواقع لم أكن أعرف في وقتها إنها سيارة ماليبو ولكنني في وقت أخر رأيت سيارة شبيهة بتلك فسألت صديقا لي عن ماركتها ، أجابني إنها ماليبو .

توقفت السيارة كان سائقها رجلا متوسط العمر يلبس بذلة مدنية لونها سماوي ، ويربط في عنقه ربطة لا أتذكر لونها ، كان حليق الوجه ، ضعيف البنية ، لون بشرته يميل إلى الاحمرار ، قلت في نفسي إنه لابد أن يكون ذو شأن على مستوى هذه المنطقة ، أي إنه من المسئولين فيها

، فتح لي زجاج نافذة سيارته قائلا أين هي وجهتك ، أجبته أنا ذاهب إلى الموصل ، فقال ولكنني سأذهب إلى سنجار ، ثم واصل وهو يقول يمكنك إذا كنت ترغب أن تسافر معي إلى نقطة تفتيش أم الشبابيط ومن هناك ستدبر أمرك بسهولة ، حيث حركة السيارات هناك كثيفة بأتجاه الموصل ، قلت معك حق ، فهناك أفضل من أن أنتظر هنا وخصوصا أنا أنتظر منذ وقت طويل ، قال إذن اصعد ، أخذت مكاني في المقعد الأمامي ، رحب بي الرجل وقدم لي سيكارة روثمان من علبة كانت مليئة لأكثر من نصفها ، كنت وقتها أدخن ، أشعلت سيكارتي بمقدحة كانت في جيب قميصي مع علبة سيكائر أحنبية ، بادر بالسؤال قائلا ، أراك غريبا عن هذه المنطقة ..؟ قلت له هذا صحيح ، فقال إذن ما سبب وجودك هنا ..؟ قلت في الحال إن الحكومة أصدرت عفوا عن الهاربين من الخدمة العسكرية كما تعلم ، قال بالطبع ، فقلت وأنا لي أخ هرب من الجيش قبل فترة معينة وبعد ذلك جند نفسه جحشا مع المستشار أحمد إسماعيل مطو ، فسرعان ما ألتفت نحوي وقال ماذا كان شقيقك ..؟ أدركت حالا إنني أخطأت وأسأت استخدام المصطلح الشهير في غير مكانه فعرفت إنني لست في كوردستان أو في مكان آمن أو بين رفاقي ، لذا أسرعت بمعالجة الموقف ، قائلا إن أخي جند نفسه ضمن فرسان أحمد إسماعيل مطو ، إذ كان مخطئاً عندما هرب من الجيش ، ولهذا تجدني أقول له جحش ، ولهذا أيضا جئت لكي أحصل على أوراقه من السيد أحمد وتأييدا منه رغبة منا أن يستفيد أخي من (مكرمة الريس) ، أبتسم قليلا واستمر في التحدث عن أشياء أخرى لها صلة بمنطقتنا ، كنت أُجيبه عن بعض الأشياء التي أعرفها وأنفي علمي بأشياء أخرى .. حتى جاء الحديث مرة أخرى عن الجحوش ، فكررت ما كنت قائله بشأن قضية الجحش ، وكرر يسألني هو الآخر ما إذا كنت أقول شيئا ما ، فعرجت مضطرا لمسألة أخرى ، حتى نسي صاحبي سؤاله .. ووقتها وجدت أننا نقترب من نقطة التفتيش فقال سأقف هناك وأنت تترجل وتذهب إلى هناك في الطرف الثاني من الشارع ، أشار إلى مكان كان فيه مسافرين اثنين ينتظران السيارات القادمة من سنجار كي يسافرا بواسطتها ربما إلى مدينة الموصل أو تلعفر أو أي مكان آخر .

كان عليً أن أتصرف بشكل طبيعي جدا ، ولحسن الحظ إن السيارات القادمة من سنونى والتي تذهب إلى سنجار لم تكن لتفتش ، ولذا وجدت ضرورة استغلال هذه المسألة ، سألت الرجل عن

جرته ، فطلب دينارا واحدا ، ترجلت من السيارة بعد أن أعطيته الدينار ، وبسبب الحركة لكثيفة للسيارات في الموقع لم ينتبه أحدا لي إلا أن انضباطا عسكريا وجدني وأنا أحييه وأطلب منه أن يوقف لي سيارة كي اذهب بواسطتها إلى الموصل ، فقال الانضباط (أطبك مع الجماعة) ، حيث كان هنالك رجلان ينتظران خارج حدود التفتيش ، فعرفت إنني تخلصت من جراءاتها ، ذهبت إلى المكان ووقفت مع الرجلين ، لم ننتظر كثيرا حتى جاءت سيارة تويوتا بيكب ، فطلب الانضباط من سائقها أن يأخذ معه شخصين منا نحن الثلاثة ، لم يمانع السائق الذي كان يرتدي بذلة عسكرية عرفت إنه جندي مكلف يؤدي الخدمة العسكرية . صعد الاثنان في المقعد الأمامي كان أحدهم عسكريا أيضا والثاني مدنيا وأسرعت بالصعود إلى الحوض الخلفي للسيارة ، ناداني الانضباط العسكري قائلا أنتظر كي تأتي أية سيارة أخرى وتذهب معها ، فالليل قادم وهو يحمل معه البرد ، قلت له لا بأس لأنني على عجلة من أمري ، قال ، (بكيفك) .

تحركت السيارة وشعرت بسعادة لأنني نجوت من أول سيطرة في طريق عودتي ، وكان أمامي نقطتا تفتيش أخريين ، ولكنني كنت أعتقد وعلى حد معرفة العديد من الأصدقاء والرفاق أنهما من نقاط التفتيش الشكلية لا تبالي كثيرا بإجراءات تفتيش المارة ، وهذا ما تأكدت منه عندما كنا ذاهبون في الأمس إلى محطتنا السرية .. كانت السيارة سريعة وتخترق رياحا قوية تعمل ما تشاء بشعري الذي حرصت عليه أن يكون طويلا لكي أبدو في الشكل قريبا إلى المواليد الذي سجلني به النصير كفاح على الهوية التي كنت أستخدمها ، وكان قميصي يرفرف بقوة وكأنها (الرياح) كانت تريد انتزاعه مني ، حاولت تجنبها والاختباء وراء قمرة القيادة ولكن دون جدوى ، ربطت شعري بمنديل جيب كان معي في أحد جيوب بنطالي ، وعيناي لم تتوقفا عن التدمع بسبب هذه الرياح فمضطرا اندمجت مع موسيقاها وكيف كانت تولول ويتغير الصوت مع حركة السيارة نفسها والسيارات القادمة من الجهة المعاكسة حتى كادت تأخذني إلى هذه المساحات الشاسعة من تلك السهول المترامية الأطراف التي لا أرى لها نهاية ، تتخللها بين مسافة وأخرى قرى وتجمعات بشرية ...أحيك منها قصصا وأحلاما لم تتحقق ... وبين فترة وأخرى كانت أبواق السيارات تمزق وتقطع خيوط قصصي وأحلامي ... في وقت ما شعرت إن السيارة أصبحت

خفف من سرعتها فرفعت رأسي عندها تراءت أمامي مجموعة من أصحاب البذلات الزيتونية مع عدد من السيارات يطوقون مكانا محددا من الشارع زارعين عليه حواجزا في بدايات مدينة تلعفر ... توقفت سيارتنا في منتصف دائرة تتشكل من هذه المجموعة المسلحة من عناصر الجيش الشعبي كلما وصلت إلى نقطتهم سيارة قادمة من سنجار أو من الموصل ... قامت تفتيش وثائق الراكبين في قمرة القيادة مع السائق بشكل دقيق ... أنتظرت دوري في هذه العملية الرهيبة .. أعددت خلالها عددا من الأجوبة لأسئلة محتملة ... حاولت أن أكون ذو رباطة جأش ... كانت تلك الدقائق بالنسبة لي امتحانا عسيرا وتهديدا خطيرا... شعرت إنها امتدت وقتا طويلا ... وضعت رؤوس أصابعي في جيب قميصي أتلمس خلالها هويتي التي أحملها والتي تعد المستمسك الوحيد لإثبات شخصيتي ... كنت أقول في دواخلي هل إنها قادرة على إنقاذي من هذه الدائرة المشكلة من أفراد الجيش الشعبي .. وهل أخذ النصير كفاح مثل هذا الأمر في الحسبان عندما صنع أختامه بما لا يترك المجال للشك فيها ...؟؟ كنت واثقا من أنه عمل المستحيل وكان دقيقا في عمله ونتيجة تلك الدقة كان الاطمئنان يدخل قلبي عندما حملت لأول مرة هوية قام بإصدارها ، ورغم ذلك كان الأمل يتضاءل عندما كنت أجدهم منهمكين بدقة في تفتيش زملائي في قمرة القيادة ... كنت أقول ربما سأرتبك أمام أسئلتهم ودقتهم في فحص الهوية حتى يكتشفوا في النهاية إنها ليست لي ، ولكن قبل أن تصل الأمور إلى سيناريو اكتشاف أمري وما بعده رأيت وفي لحظة ما ودون أن يكون ذلك في الحسبان إنهم يسمحون للسيارة بالمرور دون إعارة أي اهتمام بمن كان راكبا في الحوض الخلفي لسيارة البيكب ، وكأنني كنت غير موجود ، فلم يقترب أحدا من هؤلاء أفراد الجيش الشعبي إلى ناحيتي ولا كلف نفسه بالنظر إلى ما في الحوض وهذا ما أسعدني كثيرا ... ولكنني رغم فرحي الكبير حاولت عدم نسيان أجوبتي لأسئلة محتملة في أية نقطة تفتيش قادمة ، ثابتة كانت أم متحركة .

في خضم معركة الأسئلة ، التي لم تدعني أن أشعر بالوقت ، وجدت مرة أخرى وعلى شاكلة المرة السابقة إن سيارتنا تقف بين حلقة أخرى من عناصر الجيش الشعبي ، تكرر المشهد بكل تفاصيله ... من حيث تدقيق الوثائق الشخصية للركاب في قمرة القيادة دون أن يلتفت على وجودي أحدا في حوض السيارة...غادرت سيارتنا نقطة التفتيش المتحركة ... فتنفست الصعداء

تيقنت إنني سأدخل الموصل دون عراقيل لأن ما تبقى من الطريق عليه نقاط تفتيش شكلية ، وهذا ما حصل فعلا فبعد أن بدأت خيوط الظلام تفترش الأرض كانت السيارة دخلت إلى بدايات مدينة الموصل بعد أن اجتازت نقطة التفتيش الأخيرة وعندها طرقت بيدي على قمرة السيارة فتوقف السائق ودفعت له أجرته .

في الحال أوقفت سيارة تاكسي لكي أواصل بها ما تبقى من مشواري إلى كراج الشمال وهناك بالقرب من الكراج دخلت إلى مطعم يقابله لكي أفي بوعدي ، فقد كنت واعدا رفاقي أن أجلب لهم كبابا من المدينة إن بقيت طليقا واستطعت العودة إليهم ثانية ، فطلبت من عامل المطعم أن يجهز لي وجبة من الكباب كي أتناولها أنا ، زائدا 14 وجبة أخرى لأخذها معي ، فلما فرغت من تناول وجبتي كانت حصة الرفاق جاهزة ، عندها دفعت 15 دينارا ثمنا لهذه الوجبة التي ينتظرها الرفاق ، حملتها ودخلت الكراج كان الوقت مناسبا أن أتحرك من المدينة باتجاه رفاقي ، وجدت عددا قليلا من السيارات وأصحابها ، لم يكن هناك من يعرفني أو أعرفه أنا ، فسألت مجموعة كانت تتحدث لهجة دهوك وضواحيها إن كان هناك بينهم من يريد أن يأخذني إلى دهوك ، انتظر الجميع دون أن أتلقى جوابا سريعا ، ولكنه في الأخير قال أحدهم كم تريد أن تدفع ..؟ قلت له وكم تريد أن تحصل عليه ..؟ قال 20 دينارا .. قلت إنه مبلغ كبير .. فقال لكنه الليل والوقت متأخرا .. فقلت له سأدفع لك 15 دينارا ..في الحال تدخل ثالث وقال ادفع له 17 دينار ، فوافقنا نحن الاثنان تقدم الرجل أمامي وأشار إلى سيارة لاندكروز وقال تفضل سنتحرك على الفور .

رأيت الموصل ليلا بعد أن تحركت السيارة .. رأيت مصابيح شوارعها تتراقص وأضواء السيارات فيها تخترق ما يقابلها في هذا الليل وأصوات أبواقها لا تنقطع أبدا ، فهناك من كان يحي زميلا له أو أحد معارفه وهناك من كان يطلق بوقا عنيفا يعلو صداه فضاءات المدينة يطلب عبره فسح الطريق له لكي يضغط على دواسة البنزين وينطلق بسرعة وكان هناك من يشتم الأخرين وكأن الشتيمة كانت تقال بلسان فصيح ولذلك كان يتلقى مثيلها أو ربما أعنف مقابلها ... وكان هناك من يزمر من غير معنى سوى إنه يقود سيارة ويسير في الشارع كل ذلك كان يحدث عبر

الأصوات الصادرة من هذه الأبواق فلغة كهذه يعرفها سواق بلادنا أكثر من غيرهم . حسدت أشياءا من ليل الموصل وعبر شوارعها وتمنيت أن يتكرر ذلك في كل قرية ومدينة من وطننا وتمنيت أشياءا أخرى غير الفوضى التي تعج بها حركة المرور في المدينة رغم اندماجي معها باعتبارها جانبا من الحياة في مدننا .

تجاوزنا نقطتا التفتيش التي تقع أحداها في نهاية المدينة وعلى الشارع الدولي المؤدي إلى دهوك والثانية بالقرب من قرية فلفيل ، وبعد عدة كيلومترات من هناك قلت للسائق وجهتي هي قرية حتارة وليست دهوك ، فقال ولكنك تعرف إن الطريق إلى هناك وعر ، قلت له هذا يكون دائما في الشتاء أما في الصيف فلا توجد أمطار تدمر الطريق ولذلك سنصل إلى القرية بكل سهولة ، بعد الذي والتي ، أقتنع أن يوصلني إلى القرية مقابل زيادة أجرته من 17 دينارا إلى 20 دينار ، تحدث السائق عن معارف له من القرية وهم زملاء له في سلك الأفواج الخفيفة ، أكدت له معرفتي بهؤلاء ولكنني قلت إنني لم أنخرط في هذا الجهاز لأنني لازلت طالبا .

طلبت منه أن يتوقف في ميدان القرية وعندها شكرته كثيرا بعد أن دعوته وكتقليد يتبعه الأهالي لتناول شايا أو طعاما ، فلما رفض دخلت سريعا بين أزقة القرية حتى وصلت بيتا لتسليمهم أمانة ما ، ولما عرف كبير العائلة بأنني قادم من الموصل قال والله أنتم أجنة وإن الحكومة لا تستطيع إنهاء وجودكم من العراق مهما تمتعت بإمكانيات استخبارية وأمنية .. وقال من يتصور إنكم بعد تركككم للجبل سيكون لكم مأوى ..؟؟ وها أراكم تدخلون الموصل وكأن شيئا لم يحدث !!...

تناولت هناك قدحا من الشاي وأكدت للرجل بأنني على عجلة من أمري ، فقال الرجل لا أريد أن أسأل ، ولكنني مضطرا الآن أن أسال بسبب قلقي ، أين ستذهب..؟ وماذا ستفعلون ..؟؟ قلت سنرانا بين فترة وأخرى وعندما سنختفي ستسمع أخبارنا ، وسنكون في مأمن في الأيام القريبة القادمة ، قال أرجو ذلك .!!

أسرعت للوصول إلى الرفاق في مخبأ الـ (كه ند) ، فبلغته في ما يقارب الساعة الثانية عشرة ليلا وجدت إن الرفاق على أهبة الاستعداد لمغادرته ، ولكنهم فرحوا كثيرا عندما وجدوني بينهم بعد إعطاءهم كلمة السر ، وسرعان ما انهالت عليَ أسئلتهم ، ولكنني امتنعت عن الإجابة عليها سوى إنني قلت إن كل شيء يسير وفق الخطة ، والآن تعالوا لتناول وجبة الكباب التي وعدتكم بها .

انزويت بعد الطعام مع الرفيق توفيق وأبو داوود لكي أتحدث عن نتائج سفرتي تلك ، فظهرت علامات الارتياح عليهما ، ولكن الرفيق توفيق عكر مزاجي بعد أن أبلغني بقرار اللجنة المحلية كي أعود إلى سنجار مع مجموعة أخرى من الرفاق والعودة مرة أخرى إلى الـ (كه ند) وعندها سأقوم بتأدية مهام أخرى أما مهمة مرافقة الرفاق إلى سنجار سيتولاها رفيق آخر بعد عودتي منها ، إذ عندها ستكون الأمور أكثر وضوحا ومستلزمات السفر ستكون أكثر جاهزية ، وافقت على تنفيذ هذا القرار بعد أن شعرت إن الرفاق بحاجة إلى موقف ايجابي مني حول المسألة وبعد أن أبديت العديد من التحفظات والملاحظات عليه .

_____

–أقدم أشد اعتذاري لأخوتي بسبب قصة الجحش ، حيث استخدمت هذه الرواية للتضليل ليس إلا ، وقد كانوا دائما عونا لي أو رفاقا حقيقيين ومشاركين في تنفيذ مهماتي طيلة فترة البيشمه كايتي التي امتدت لأكثر من عقد ونيف ، إذ لعبوا دورا متميزا في هذه الفترة الحرجة مع بقية أفراد تنظيم قرية حتارة الشجعان .

محطة التاسعة عشرة

قبل بلوغ الفجر استعدت مجموعة من هؤلاء الرفاق المتواجدين في مخبأ حتارة لمغادرته باتجاه مخبأ دوغات ، كنت واحدا من بين هؤلاء لكي أرافق مجموعة ثانية من هناك عبر مدينة

الموصل مرة أخرى إلى المحطة السرية في سنجار يقوم بأعدادها الرفيق توفيق الذي أنتقل معنا إلى المخبأ . المسافة بين المخبأين لم تكن تتعدى ساعة واحدة سيرا على الأقدام ، عرفت إن عددا من الأنصار والرفاق يتواجدون في الموقع كان بعضهم يعمل بكل جهده من أجل أكمال مستلزمات الانتقال إلى سوريا وآخرون ينتظرون أدوارهم للسفر.

وصلنا إلى هناك في وقت مناسب أي قبل مجيء النهار كان ذلك في صبيحة الثالث من أكتوبر ، وجدت في الموقع رفاقا لم ألتقي بهم منذ أن غادرنا جبل كارة ، وكان بينهم رفيق افترقنا معه منذ وقت أطول ، فقد أشرت سابقا بأن رفيقين لنا كانا يتواجدان في مدينة شيخان وأطرافها عادا إليها بأمر من اللجنة المحلية قبل أن تصل عساكر النظام إلى مقراتنا ومناطقنا ، وكان هما كل من الرفيقين (كسر)* و(كوران)* وهذه المرة هما اللذان قاما بترتيب أمر السيارة التي ستأخذنا إلى المحطة السرية في سنجار بعد جهود بذلها الرفيق أبو سربست ونجاحه في اللقاء بهما داخل مدينة الشيخان ، فأحدهما أي كسر وصل إلى المخبأ في نفس هذه الليلة بعدما أعد موعدا لليوم التالي وكانت فرحتي به كبيرة ، وكان كوران ينتظر دوره لكي يقوم بإرسال السيارة من هناك أو مرافقتها وإدلاء السائق على نقطة الالتقاء في كه ند دوغات ، ومن المهم هنا أن أشير إلى أن كوران كان يتعرض إلى الكثير من الضغوطات من قبل أهله وأقاربه لغرض تسليم نفسه إلى السلطات ، ولذلك خلق هذا الوضع إلى جانب محاولات السلطة لإفشال خططنا إرتباكا جديا في دواخل كل رفيق ونصير عرف بهذا الموضوع رغم معرفتهم بإخلاص كوران الذي يتواجد في شيخان ، ولكن شراسة أجهزة السلطة الأمنية لم تكن تترك خيارات كهذه أمام العديد من الأبطال ، بسبب وحشية إجراءاتها ضدهم وضد كل من يرتبط بأي مناضل إلى الدرجة السابعة من القرابة . ومن هنا كان أغلب معارضي النظام وخصوصا الشيوعيون أما خيارات محدودة في الأوقات الحرجة . فأما التضحية بأرواحهم وترك أهله وأقرباءه فريسة لهذه الأجهزة وهي تمارس شتى وسائل الإرهاب ضدهم وحرمانهم من كل الحقوق وكثيرا ما كانوا يخسرون أرواحهم . وأما القبول بالتعاون وهذا كان يعني سقوطا سياسيا وتقديم معلومات لهذه الأجهزة وكان ذلك يكلف الشيوعيون أرواحهم وانهيار تنظيماتهم.

ومن بين أهم مستلزمات نجاحنا في الوصول إلى المحطة السرية وما كنت أصر عليه قبل القبول بالمهمة هو معرفة صاحب السيارة الذي سيقوم بعملية إيصالنا ، وهكذا عرفته فدخل الاطمئنان في قلبي لأنني كنت على دراية بأنه أكتسب خبرة جيدة في هذا المضمار بسبب تأديته للعديد من المهام لصالح منظمة شيخان للحزب. ولكن بقي أمر هذه الجولة يقلق العديد من الرفاق .

ارتباطا بهذا القلق وهذا الوضع تبادلنا الأحاديث كثيرا وعملنا على تحديد الرفاق الذين سيكونون في المجموعة التالية ، فتارة كان الاختيار يقع على عدد من الرفاق وتارة أخرى يتم التراجع عن هذا الاختيار. وتارة يقبل رفاق آخرون لكي يكونوا من بين أفراد تلك المجموعة وتارة أخرى يتراجعون عن ذلك . الأمر كان معقدا وتشوبه مخاوف عديدة وجدية ، فمحاولات السلطة المتكررة والهادفة للإيقاع بنا زرعت العديد من الشكوك بين الرفاق ، ولم تترك واحدا إلا وكان لابد من التأكد من إخلاصه ونزاهته ، استمر تشكيل مجموعة وحلها وقبولها السفر أو رفضها وقتا طويلا ، فمثل هذه الظروف والتهديدات الناجمة عن محاولات السلطة وملاحقتها لنا عبر كل الوسائل ، كانت تثير ألف سؤال وسؤال لدى كل واحد منا ونحن نقدم على السفر إلى سوريا عبر مدينة الموصل ونقاط التفتيش العديدة التي تقع على الطريق . ولكن كان لابد أن نحسم الموضوع ، فالوضع لم يكن يحتمل التعامل معه دون اتخاذ قرارات جدية وحاسمة ، لذا تقرر أن تتحرك مجموعة من الرفاق في الموعد المحدد عند وصول السيارة في اليوم التالي .

كان حال هذا المخبأ ، كحال مخبأ حتارة مليئا بالملابس والأحذية الجديدة وحاويات الماء وأكياس فيها مختلف الأطعمة وأغطية قديمة كان يستخدمها الرفاق العاملين في التنظيمات أخرى جديدة دخلت إلى المخبأ بسبب تزايد عدد الأنصار ، يعمل الرفاق فيه على تجهيز أنفسهم ، فيحلقون ذقونهم ويبحثون عن ملابس وأحذية على مقاساتهم ، يلبسون بناطيلا وقمصانا أحذية ويستعرضون بقيافاتهم أمام غيرهم حتى يستقر بهم الرأي في النهاية على ملابس محددة للسفر بها ، آخرون يبحثون عن وسائل وطرق أخرى للوصول إلى سوريا وآخرون يعملون باستمرار على تهيأة حاجيات الرفاق من الأكل والشرب ، كل هذا كان يحصل ليلا ، ففيه كانت

تتيح فرصة الحركة ، فقد كنت تشاهد إن الجميع يعمل كخلية نحل يتحركون في كل الاتجاهات ، اتصالات تجري مع رفاق التنظيم ، رفد الرفاق في الجبل بمعلومات وأكل وشراب ومستلزمات أخرى كان متواصلا .

كان الليل ينقضي وحركة المجاميع لاتتوقف إلى آخر ساعة منه وفي النهار يخلد أفرادها إلى النوم عدا الرفاق الذين مضت على وجودهم عدة أيام وبذلك يكونون قد نالوا قسطهم من الراحة ، وعندما يحين وقت الحركة ننهض ونستعد ، و لابد من القول إنه لم يكن الليل وحده وقتا مناسبا للحركة وتأدية المهام بل كان وقت الظهيرة وما بعده مجالا مناسبا لاستغلاله وتنفيذ بعض الأعمال كإيصال بعض الرفاق إلى أماكن اللقاءات مع أصحاب السيارات من رفاقنا في التنظيمات أو إلى الطرق العامة لاستخدام السيارات المارة من هناك والوصول إلى أهدافهم في المدن .. وفي هذا اليوم شعرت إن النهار انقضى سريعا فلقد أيقضنا احد الرفاق بعد ما اقترب موعد وصول السيارة إلى مكان ما بالقرب من الشارع ، والتردد لما يزل كان يلازم الرفاق ولكن كان لابد من حسم للموقف بعدما لم يكن هناك متسع من الوقت للكلام أكثر مما حصل ليلا وإلى الصباح ، فلذلك استعد كل من الرفيقين أبو أمل وأبو ظاهر للسفر بشكل نهائي وأنا معهما ، خرجنا من المخبأ سريعا وسرنا في الوادي الذي يؤدي بنا إلى نقطة الالتقاء ، رافقنا إلى هناك كسر القادم من شيخان لغرض تسليمنا إلى السائق فرغم معرفتي بهوية السائق إلا أنني لم أكن قد التقيته في السابق .. أكثر من عشرون دقيقة نقفز من واد إلى آخر حتى وصلنا إلى مكان اللقاء ، فقد كان هناك شاب يتكأ من ناحية ظهره على سيارة (برازيلي) حمراء ، أنتفض حين وجدنا قريبين منه وتقدم نحونا وتعانقنا وكأننا نعرف بعضنا البعض منذ سنوات طويلة ، قال كسر والذي رافقنا إلى مكان اللقاء ، هذا ناظم وهذا أبو أمل وهذا أبو ظاهر وأقدم لكم بالمقابل يا جماعة العزيز (عائد)* فهو سيقوم بعملية إيصالكم إلى سنجار ، ولكنه التفت وقال أين (كوران) ..؟ ، قلنا حقا أين هو فنحن مشتاقين لرؤيته ..؟ أجاب عائد متأسفا ، إنه ذهب لتسليم نفسه إلى السلطات ، قلنا بصوت واحد .. ماذا تقول ..!! قال كما سمعتم وواصل القول ، فبعد أن شرح لي كيفية الوصول إلى هذه النقطة أودعني وذهب إلى مكان ما تمهيدا للإستسلام ، وقال بلغ تحياتي إلى الرفاق وقل لهم سأبقى وفيا .. تسمرت وجوهنا .. لم نستطع قول أي شيء لعدة

ثواني التي كانت بمثابة وقت طويل في مثل هذا الوقت ونحن ننتظر بالقرب من الشارع العام .. ولكن أحدنا قال وماذا بعد هذا الذي حصل ..!! وخصوصا إنه ربما يعرف وجهتنا ، وهذا يشكل خطرا جسيما .. قال كسر ، كلا إنه لا يعرف عن الخطة أي شيء سوى إن المجاميع ستدخل إلى الموصل ، ولا يعرف أي شيء عن ما بعد الدخول إلى المدينة ، وحتى إن كان يعرف كل التفاصيل ، فإنه سيحافظ عليها ، وأنا أثق به ولذلك ادعوكم إلى السفر باطمئنان ، نظرنا إلى وجوه بعضنا . حسمت الموقف وقلت سأسافر رغم كل شيء ولا اعتقد إن كوران سيخاطر بأرواحنا ، كانت قناعات أبو أمل وأبو ظاهر تذهب بنفس الاتجاه فطرحنا سؤالا على عائد ، وقلنا له ، هل تخشى شيئا ، أجاب كلا قلنا إذن فلنتحرك والانتظار هنا ليس لصالحنا ، وعلينا الإبقاء على المكان هادئا لكي يبقى بعيدا عن الشبهات وخصوصا إننا سنحتاجه كثيرا .. لم نحدد أي حل احتياطي في حالة عرقلة خطتنا ، أسرعنا بالصعود إلى السيارة ، فإلى جانب مهارته في قيادة السيارة ، شعرت إن عائدا يمتاز بجرأة فريدة ، إذ قاد سيارته دون أي ارتباك ودون شعور بالتردد والخوف ..أنطلق نحو مدينة الموصل وكأنه ذاهب لأمر هين ، لم تفارقه روح الدعابة طيلة الطريق .. سرعان ما وجدت فيه رفيق درب ، مندفعا ووفيا لتنفيذ المهمة .. وجدته صديقا كأنني عشت معه لفترات طويلة تبادلنا أحاديث كثيرة ، واتفقنا على وقت الخروج من مدينة الموصل بعد الوصول إليها بخير وسلام ، كان يقول لا تقلقوا إننا سندخل الموصل بكل سهوله ، وأضاف قائلا إنني أعرف طرقا احتياطية وأعرف أوقات نصب نقاط التفتيش الجوالة عليها ، إذ بلغت بي التجربة أن أتعرف على العديدة من خطط المفارز الجوالة ومتى وأين يضعون نقاط التفتيش هذه ..؟؟

إذن هذه هي المجموعة الثانية التي أرافقها إلى المحطة السرية ونحن ذاهبون إليها عبر مدينة الموصل والتي دخلناها دون أن نتعرض إلى أية مشاكل ودون أن تعترضنا أية عوائق ، كان وقت وصولنا إلى المدينة مبكرا فأقترح عائد أن نذهب إلى مطعم لتناول شيء ما ، فنال مقترحه موافقتنا في الحال ، ولكننا تركنا أمر اختيار المطعم له ، لذلك قادنا إلى أحد مطاعم الطلبة في حي الجامعة ، كان مطعما نظيفا ويزدحم فيه الطلبة رغم صغر مساحته ، أخترنا طاولة منصوبة في الخارج بالقرب من الباب الرئيسي ، سرعان ما تقدم العمال نحوها ووضعوا عليها

سلة مليئة بخبز التنور الحار ، امتدت أيادينا إليها دون شعور منا . جاء العامل فأوصاه عائدا كبابا ، ربما ارتبكنا نحن الثلاثة ، كيف نتناول الكباب .. بأيادينا أم بواسطة الشوك .. حرك الرفيق أبو ظاهر أحدى يديه يبحث عن شيء ما في الخبز .. سأله عائد فيما إذا كان يريد شيئا .. فقال (ماكو جطل) ! فهتف عائد مناديا العمال (جيبوا جطلات للرفاق) تجمدنا نحن لا نستطيع الحراك وننظر إلى عائد باندهاش.. ما هذا يا عائد ..؟! أجاب .. إن الذين سمعوني كلهم سيعتقدون إنكم رفاق بعثيون .. ولذلك فإن وقتنا سيمر بأمان وسنتناول وجبتنا دون قلق .. وستكون الخدمة لنا في أشدها من قبل عمال المطعم ، هذا من جانب ومن الجانب الآخر أريد ن أطمئنكم بأن تصرفاتي ليست عفوية ، إنما أقصد من وراءها بأننا أناس اعتياديون، ونتواجد في المدينة بشكل طبيعي وكي أبعد الشبهات عن أي منكم ، لذلك أرجو التصرف بعفوية تامة دون أن تفكروا إنكم قادمون من الجبل .

بعدما انتهينا من تناول وجبتنا وشعرنا بضرورة الانطلاق والوقت المناسب للوصول إلى سيطرة أم الشبابيط والمدة التي سنحتاجها في الطريق ، أمرنا عائد بأن ننهض ، قائلا إن الوقت مناسب لكي نتحرك الآن . أخذت مكاني في المقعد الأمامي جنب السائق والمقعد الخلفي كان من نصيب الرفيقين أبو أمل وأبو ظاهر .. مرة أخرى أعدنا ما كان ينبغي علينا أن نعرفه أو ننتبه إليه أثناء تعرضنا لأي طارئ ،أي إننا ركاب اعتياديين في سيارة عائد ، وليست لنا أية علاقة به إلا نعرفه سوى من كراج سنجار في مدينة الموصل ، واتفاقنا معه لإيصالنا إلى جهات عدة من سنجار مقابل أجرته ، وكذلك لا توجد بيننا أية علاقة سوى إن الصدفة جمعتنا في هذه السفرة .. إضافة إلى إنه كان لكل واحد منا قصته وسبب زيارته في هذا الوقت إلى تلك الجهات. ونحن نبحث هذه الأشياء التي كررناها لأكثر من مرة إلا ووجدنا أنفسنا خارج المدينة بالقرب من أول نقطة تفتيش تقع في نهايتها ، لذا كان علينا أن نصمت ، وربما أعاد كل واحد منا أو هيأ قصته لأي طارئ قد يقع في أية لحظة ونحن ندخل إلى حدود هذه النقطة رغم إننا كنا نعلم إنها من نقاط التفتيش الشكلية ، ولكن كان ينبغي أن نحسب حسابنا لأية مفاجأة .

ي المسافة التي كانت تفصل بين نقطة صمتنا وبين نقطة التفتيش تزاحمت السيناريوهات في

مخيلتي ، لم تكن ولا واحدة منها ترحم بل جميعها كانت قاتمة تدخل وفق أحداثها أيادينا في سلاسل حديد ويقودنا جنود وعناصر من شرطة الأمن إلى سيارات تحضر سريعا بعدما تصل نداءات عناصر نقطة التفتيش إلى مصادرها تبشرها بضرورة الوصول لنقل صيد ثمين إلى مختبرات التحقيق في دوائر أجهزة القمع .. مرت العديد من هذه السيناريوهات كشريط سينمائي أمام عيني قبل أن نعبر نقطة التفتيش هذه والتي لم تعر أي اهتمام بمرورنا سوى إشارة من يد أحد أفراد الانضباطية تسمح لنا بالمرور دون توقف وهو يتابع مرور السيارات من أمامه بكسل واضح وكأنه هناك ليس من أجل تفتيشها بل يتأمل فيها لغرض آخر .

بعد عدة أمتار من عبورنا نقطة التفتيش انتفضنا فرحين باجتياز خطر آخر ، الأمر الذي شجعنا كثيرا وزاد من قناعتنا بأننا سنتجاوز كل نقاط التفتيش دون خطورة جدية . بدأنا نتحدث عن أشياء كثيرة ، وعائدا لم يتوقف عن أحاديثه المرحة ، وأعدنا قصة الشوك والرفاق في المطعم ، ضحكنا بسببها كثيرا .. تحدثت للرفاق عن تجربتي الأولى وكيفية إيصال رفيقين إلى المحطة السرية دون أن أعرف عنها عمليا أي شيء غير معلومات رسمت لي على خريطة لم أحملها معي لأسباب أمنية ، أما هذه التجربة فإننا نخوضها بعدما أصبح الهدف لدي واضحا وكيفية الوصول إلى المحطة دون الاضطرار إلى البحث عنها ، وإن ما يقلقنا اليوم هو العبور من نقاط التفتيش المتبقية دون مشاكل ، فبالرغم من أن نقطة تفتيش بادوش كانت تتعامل مع حركة المرور مثلما كانت تفعلها نقطة التفتيش التي كانت تسبقها أي تلك التي تجاوزناها والتي كانت تقع في نهاية مدينة الموصل ، إلا أن سيطرت أم الشبابيط أوقفتنا في اللحظة الأخيرة .

وتفاصيلها سنرويها في المحطة القادمة .

المحطة العشرون

أشار الانضباط بيده يسمح لنا بالمرور ولكن عائدا أخطأ فهم الإشارة أو لم يشاهدها ، وبقي منتظرا من غير أن يتحرك على الفور ، مما أدى ذلك إلى أن يحتار الانضباط في اللحظة

لأولى ما بين أن يتحرك نحونا أو يتراجع ، ولكنه يبدو إن شيئا ما دفعه إلينا في نهاية الأمر ، بدأ يخطو خطوة ويتوقف ثانية ، لم تكن المسافة بيننا وبينه طويلة ، ولم يكن واثقا مما كان عليه أن يفعله إزاء سيارة أخطأ سائقها إشارته أو لم يشاهدها ، هل يكررها ويدعوها لمغادرة نقطة التفتيش أم يتقدم للاستفسار عن وجهة ركابها أو ما إذا كانوا يريدون سؤاله عن أمر ما ..؟؟ بدأت خطواته ثقيلة نحونا ، ولكنه أصر على أن يتقدم .. شعرت بمرارة تقدمه وخشية شديدة من خطواته واقترابه من السيارة .. كنت أنظر إليه وكأنه وحش جاء ليقضي علينا ، كنت أتابعه كيف يحرك أطرافه .. كان رجلا ضخما ، يرتدي بذلة عسكرية خاصة بالانضباطية .. يحمل بيريته الحمراء في يده اليمنى .. يتقدم بخطوات كسولة .. كان يقترب منا شيئا فشيئا ... ربما لم يكن يأبه بشيْ سوى تأدية عمله بشكل روتيني ولا كان مخططا لأي شيء ضدنا .. من يدري ..!! .. ولكننا كنا على أهبة الاستعداد للإجابة على أسئلته التي سوف لا يقتنع بها ، كنت أقولها بيني وبين نفسي .. إذن هذه هي النهاية.. هكذا شعرت .. ولكن كونوا رابطي الجأش .. رددتها في دواخلي مع أشياء أخرى .. والوقت لم يكن كافيا حتى أن ألتفت إلى رفيقاي .. لا تفشوا أسراركم إلى النهاية ..كونوا مصرين على إنكم بشرا من العراق .. قولوا له أننا ركاب هذه السيارة عن طريق الصدفة وقادمون إلى هنا كل لغرض مهمة اجتماعية .. لا نعرف بعضنا البعض .. لنا أقرباء وأصدقاء ومعارف في هذه الناحية أو تلك من هذه المنطقة البعيدة الواقعة على الحدود .. تلك الحدود التي ينشط على تخومها الطرفان .. أي طرفا البعث في سوريا والعراق .. قاتلنا البعث في الطرف الأخير وها هو يلاحقنا بالأسلحة الكيماوية التي أجبرتنا على ترك قلاعنا الجبلية في كوردستان واضطررنا اللجوء إلى دولة البعث في الطرف السوري.. إذن سنخترق ليلا تلك الحدود الممنوعة نهارا بين طرفي البعث إن لم نقع في قبضة هذا الرجل .. لا تبادل في الدخول إلى دولتا الطرفين عبر هذه الحدود شرعا وفق قرارات خلافية بين البعثيين في الطرفين .. سنوات طويلة والحرب المخابراتية هي الوحيدة (الشرعية) و الناشطة ليلا بينهما عبر هذه الحدود .. ويصادف أن يعبرها المهددون بالفناء في الطرفين أناس من أمثالنا .. يجري استقبالهم في الطرفين ليس لأنهما حريصان على هؤلاء الضحايا بل همهما الوحيد استخدامهم كأوراق ضغط كل ضد الطرف الآخر .

حان الوقت أن نجرب قدرتنا على مواجهة أسئلة ربما محرجة سيوجهها إلينا هذا الانضباط ، فقلت ينبغي أن أتظاهر بأنني لست مهزوما من حرب رجحت كفتها لصالح الفيالق العسكرية التي ينتمي إليها هذا الانضباط .. فسرعان ما تذكرت إن لي سببا دفعني لزيارتي إلى هذه الزاوية من نهاية أرض بلادنا في هذه الحدود المحفوفة بالمخاطر والشبهات والحرب الجاسوسية ، كانت قصة أعددتها علها تقنع سامعيها من أفراد شرطة هذه السيطرات في الأوقات الحرجة قبل أن يتخذوا قرارهم بتوقيفي أو شدة التحقيق معي .. هذه الزاوية التي تكون منقذا في أحيان كثيرة لأناس كثيرين مثلنا رغم وجود البعث في الطرفين .. واستعدت للدفاع عن هذه القصة طالما بقيت الاستفسارات والأجوبة محصورة بيننا وبين الانضباط .. شعرت إن من كان في صحبتي سواء كان عائدا أم رفيقاي كانوا حريصين على قدر كبير بالظهور بشكل طبيعي أمام تقدم هذا الرجل الأمني نحونا .. يا ترى ماذا سيسأل وماذا سيقول ...؟؟ لحظات بطول عقد من السنين تفصل بيننا وبين سؤاله الأول .. ماذا سيكون هذا السؤال الأول ونحن بين يديه ؟! هل هناك من مخبر دعاه يتقصدنا أم إنه تقدم نحونا بسبب خطأ فهم عائدا له أو لإشارته وعدم ملاحظته لها .. ؟؟ هل سنرتبك أمام سؤاله أم سنكون واثقين من أنفسنا ، ونستطيع خداع الانضباط ..؟ بدأ يقترب من سيارتنا .. حاولت أن أعرف ما إذا كان قد أعد لنفسه سؤالا محددا لكي يوجه به إلينا . لم أدرك ذلك تماما ولكنني كنت مصرا على قصتي التي وجدتها مناسبة لمثل هذا الموقف الحرج .

الصمت أصبح سيد الموقف ، ولازلنا ننتظر وصول الانضباط .. لازلنا ننتظر السؤال الأول الذي يوجه في نقاط التفتيش في حالة حرجة كحالتنا .. هل سيشبه هذا السؤال الأسئلة الاعتيادية أي عندما يكون المرء في وضع طبيعي ويوقف في نقاط التفتيش..؟ وسط كل هذه التساؤلات والرهبة اخترق صوته مسامعنا قائلا ، وين رايحين شباب ..؟؟ سأل ولما تزل بطنه المنفوخة الضخمة التي يدور حولها حزام عسكري تقترب من نافذة السيارة من جهة السائق وهو يتكأ على قمرتها بكلتا يديه ، حاجبة عنا رؤية أي شيء عبرها ، إذن هذا هو سؤاله الأول ، وعلينا أن نجيبه ، لم يكن هناك أي أتفاق حول من يبدأ بالحديث أولا .. ولكن عائدا حسم الموضوع وأجبر الانضباط أن يختار من يسأله ، لكي يتلقى إجابته وما سيتخذه من إجراء ، إذا

قال أنا سائق سيارة أجرة وهؤلاء هم ركاب سيارتي مقابل أجرتهم لذا تستطيع توجيه هذا السؤال إليهم .. أعاد رأسه قليلا إلى الخلف سائلا أبو أمل (هويتك عيني) أعطاه أبو أمل هوية باسمه كانت لطلبة الجامعات وكانت تلك هويته الأصلية عندما كان طالبا في الجامعة ولكن النصير كفاح تدخل لغرض تصغير عمره وبما يتناسب مع المرحلة الدارسية المفترضة لأبو أمل ، فلما رآها الانضباط وقرأ فيها إنه من أهالي بغداد قال له (يابه أنت من بغداد أش جابك هنا) رد أبو أمل قائلا أنا طالب وأدرس في الجامعة ولي زميل يدرس معي في نفس الكلية وهو صديق عزيز عليً ومن أهالي ناحية سنونى .. سمعت بأنه مريض ، لذا أسرعت بالذهاب إليه وزيارته للاطمئنان على صحته .. أقترب أكثر من نافدة السيارة الخلفية وأعاد هويته إليه من غير أي تعليق على روايته ، ولكنه بدأ موجها حديثه هذه المرة إلى أبو ظاهر .. (وأنت أخونا هويتك بدون زحمة) مد أبو ظاهر يده ليقدم هويته إلى الانضباط ، فتفحصها وأردف قائلا (وأنت أش عندك هنا أستاذ)،(لما وجد إن هويته هي هوية مهندسين)كان قد أجرى النصير كفاح بعض التعديلات عليها لكي يستطيع أبو ظاهر التنقل بها .. وجدت أن أبو ظاهر هو الآخر قد أعد له قصة أراد منها أن تقنع الشرطة في نقاط التفتيش والتي رواها قائلا .. كما تلاحظ فأنا مهندس واعمل في مدينة الموصل في مقاولات وأعمال مختلفة واشتركت مع زميل لي وهو من أهالي أحدي المجمعات القريبة من هنا في مشروع معين ، ومنذ عدة أيام جاء بزيارة إلى أهله وبالرغم من مرور الفترة التي كان من المفترض أن يعود خلالها إلى حيث عمله ، فإنه لم يأتي لحد الآن لذا تجدني هنا للذهاب إليه بخصوص ضرورة التحاقه بالعمل ومتابعة المشروع .. فكما لم يعلق على رواية أبو أمل فإنه لم يعلق على رواية أبو ظاهر أيضا ، بل أعاد جسمه مرة أخرى نحو النافذة الأمامية للسيارة مناديا (أنت الكاعد لكدام أنطيني هويتك) أخرجت هويتي من جيب قميصي وقدمتها إليه مع ابتسامة خرجت بصعوبة بالغة ولكنها غير شكوك فيها ، قرأ في هويتي عنواني الأصلي الذي حرصت على أن أدونه في هويتي المزورة .. فقال (وأنت أش جابك من ألقوش لهنا يابه) كانت قصتي جاهزة ولكن كان عليً أن استرسل في سردها بشكل طبيعي كي تكون قادرة في التأثير بالانضباط وأبعاده عن أية شكوك ربما مرت في خاطرته ضدنا ، وكنت واثقا من أن كل من أبو أمل وأبو ظاهر بذلا جهدا في هذا الاتجاه .. فقلت أن والدتي أصلا من التجمع .... الفلاني ، وهناك في القرية سمعنا إن

خالي مريض وفي حالة حرجة ولما كانت والدتي كبيرة السن كلفتني كي أتحمل عنها عناء ومشقة الاطمئنان عليه ، وخصوصا لما كنت الوحيد من بين أخوتي متفرغا في هذه الأيام .. عاد الهوية لي مرة أخرى دون تعليق في هذه المرة أيضا ، ولما انهمك لكي يتراجع ويتركنا كي نواصل طريقنا الأمر الذي أثلج قلوبنا ونحن على وشك الخلاص من أسئلة محرجة قد تخطر على باله وجدته في لحظة ما يقول مخاطبا الجميع (نحن) ، هل ستعودن هذه الليلة ..؟؟ لم أنتظر طويلا وحاولت أن احسم الموضوع ، فقلت أنا شخصيا سأعود لأن والدتي تنتظر بلهفة أي خبر عن شقيقها ، ولن أتأخر عنها وخصوصا إذا كان الوقت مساعدا لعودتي .. أما أبو أمل فقد قال أنا لا أستطيع العودة في هذه الليلة ولكنني بالتأكيد سأعود غدا .. وكانت إجابة أبو ظاهر .. إن عودتي تتوقف على رغبة زميلي المهندس ولكنها في كل الأحوال لن تتجاوز الغد ... مرة أخرى انتظرنا قراره الصعب ، هل سيتركنا أن نواصل ، هل تولدت لديه شكوكا حول رواياتنا .. هل كانت رفقتنا في سيارة واحدة موضع ريبة لديه .. هل يتركنا و اقتنع بأنه أدى مهمته على أكمل وجه ..وليكون هؤلاء من يكونون ..؟؟ هكذا نظرت إليه وهو يتوقف للحظة سريعة قبل أن يقرر أي شيء بخصوصنا وجدته يريد أن يفعل شيئا عندما تحركت بجسمي مقتربا من نافذة السائق أنتظر قراره واضعا يدي على كتف عائد ولكنني لم أستطيع تخمين ما سيقدم عليه ، وجدته ينحني مرة أخرى وهو يقول أعيدوا هوياتكم إليً .. لم يكن هناك متسع من الوقت أن احدد مدى قلقنا ، فلاشك إنه كان عظيما وكم تمنيت أن لا تتواصل الأسئلة ، و لم ندرك ما سبب دعوته بإعادة هوياتنا إليه ثانية ، هل سيفحصها ثانية أم ماذا..؟ هل هذه بداية اعتقالنا .. ؟ و هل يعتقل المرء هكذا بسهولة لا حول ولا قوة له ..!! بعد أن جمعها في يده اليمنى ومسك بها من أحدى زواياها وأصبح يضرب بها على يده اليسرى قائلا عندما تعودون في هذه الليلة أو غدا ، يمكنكم مراجعة تلك الغرفة للاستفسار عن هوياتكم .. ولكن حذا ري أن لا تعودا .. إذ عندها سنضطر إلى غلق الحدود .. كانت إشارته إلى الحدود أمرا خطيرا شعرت أن شكوكا حادة تدور في رأسه ولكنها لم تصل لحد إعلان قراره أو تنفيذه بإيقافنا ووضع أيادينا في سلاسل حديدية وقيادتنا إلى جهة مجهولة ينتهي أمرنا هناك . بعدها قال (يله) تفضلوا .. بين أن نصدقه أو لا نصدقه قرصت عائدا من مكان ما في جنبه اليمين كي ينطلق .. ولما ابتعد عدة خطوات دعوته أن يسرع بقدر ما يستطيع .

كانت آمال بقية الأنصار والرفاق معقودة على نجاحنا في هذه المرة لكي يبدأوا بإرسال المجاميع بأكثر من سيارة واستغلال أكثر من مصدر ونقطة إنطلاق إلى المدينة والإسراع في نقل الرفاق ولكن ما حصل سيكون عاملا معرقلا للعمل المقبل وسيؤثر سلبا على حماس الرفاق ... قلت لعائد إنني لم أعد قادرا على العودة ثانية ، لأنهم بالتأكيد سيتعرفون عليَّ بعد فحص هوياتنا ، لذا فإن في عودتي خطورة بالغة ، ولهذا السبب ستعود وحدك وبالتأكيد ستبلغ الرفاق بتفاصيل ما جرى ، حال عودتك من هنا في الغد وعليك أن لا تغامر بالعودة في هذه الليلة ،عد غدا فهو أفضل .. وأحكي لرجال نقطة التفتيش أية قصة تجنبك مشاكلهم ، إن أوقفوك وسألوك عنا ، فردني قائلا ، سأتأخر إلى الغد إذ سأذهب إلى أحد معارفي في أحدى هذه المجمعات و سأعود غدا في وقت متأخر ، وسأتدبر أمري في نقطة التفتيش أيضا ، ولكن هلا قلت لي كيف يمكنني الاتصال بهم ، أي بالرفاق في الكه ند ..؟ في الحقيقة كان هذا الأمر صعبا لم استطع أن أدله في الحال على طريقة للاتصال ، لأنه كان الاتفاق أن أعود مع عائد وتحديد أماكن اللقاءات لاستلام المجاميع وإيصالهم إلى المحطة السرية بعد هذه الجولة ، ولكن الأمر أختلف اليوم ، فحدث ما لم نكن نتمناه ، ومما يؤسف له إننا لم نحسب لمثل هذا الأمر جيدا . أي لم نضع خططا بديلة تساهم على تمشية العمل بشكل سلس في مثل هذه الحالات ، على أية حال كان قلقنا كبيرا على الرفاق وأن يؤدي ما حصل معنا في نقطة التفتيش إلى عرقلة العمل بشكل كامل .. و لكنه رغم الذي حصل شعرنا بفرح غير قليل بعد انفلاتنا من قبضة ذلك الانضباط الذي سيعض أصابعه إن كان عنصرا سيئا أو يتعرض إلى عقوبة من وزن ثقيل إن كان من الطيبين جراء (حماقته).

قلت لعائدا أن يذهب إلى نفس المكان الذي التقى بنا فيه ، وفي نفس الوقت الذي كان ينتظرنا فيه ، عله أن يجد أحد رفاقنا هناك وبذلك ستصبح المهمة سهلة وسينقذ الرفاق من حرج التفكير بأسباب عدم عودتي وسلامة وصول الرفيقين أبو أمل وأبو ظاهر إلى المحطة السرية بسلام ، وعندها سيتحدث لهم عن قصتنا في السيطرة.. وكررت قولي له .. أن يؤكد للرفاق بأننا بخير وسأعبر الحدود مع أول مجموعة . إلى جانب أشياء أخرى كانت عالقة لحين عودتي . ولكن

العودة لن تتم وهذه الأشياء ستحسمها الصدف وإقدام بقية الرفاق .. تعانقنا مع عائد على عجل .. وتركنا بالقرب من المحطة السرية دون أن اخبره بأنها قريبة من هنا ، طلبت من الرفيقين أبو أمل وأبو ظاهر أن يسرعا باللحاق بي ، فدخلنا زقاقا وجدنا فيه مجموعة من الناس ، حاولتْ معرفة شيء عنا فأسرعنا ندور دورة كاملة حول المنزل الذي يعد المحطة السرية ، وكان للمنزل جدار خارجي علوه كان على طول قامة رجل ، طلبت من الرفيقين القفز من فوقه بسرعة كي نتجنب أية مشكلة قد تحدث لنا جراء ملاحقة هذه المجموعة و التي أصرت على تقفي أثرنا ، لحظات سريعة ونجد أنفسنا في حديقة صغيرة ضمن باحة المنزل بعد قفزة سريعة وخفيفة من فوق الجدار ، جلسنا هناك ننتظر ماذا سيحدث بعد ذلك دون حراك وبصمت مطبق ، وبعد لحظات قليلة وصلت تلك المجموعة إلى نفس الجهة من البيت ، ولما لم يجدوا أي أثر لنا قال أحدهم من كان هؤلاء وأين ذهبوا.. ؟ عرفنا مدى حيرتهم .. ولكنهم تركوا هذه الحيرة وراءهم وذهبوا إلى حيث ما أرادوا بعدما يأسوا من معرفة الاتجاه الذي سرنا أو اختفينا فيه .. فبعد دقائق قليلة ابتعدت أصواتهم ، وفي هذه الأثناء خرج أحد مستقبلينا من غرفة كانت تقابل الحديقة التي كنا نختبيء بها ، إذ عرف بوجود حركة لم يتأكد منها ، لذا انتفضت من مكاني و اقتربت منه وقلت له لا تقلق ، نحن هنا بعد أن أعطيته كلمة السر ، ففي الحال حثنا من جانبه على الإسراع بالدخول ، وأرشدنا إلى مكان تواجد رفيقنا من سنجار وكل من الرفيقين الدكتور حجي وماموستا كوران . الذين وجدونا في حالة غير طبيعية ، فسألنا رفيقنا بقلق ، هل هناك من خطر ..؟ قلت له نعم ولكن أهدأوا فإنه ليس مباشرا .. تحدثنا له عن ما جرى لنا في نقطة التفتيش ، وعن المجموعة التي لاحقتنا بالقرب من المنزل .. فقال ينبغي أن نحتاط للأمر فقد يشكل هذا خطرا جديا علينا ، فَطُرحتْ مسالة البقاء ضمن المحطة واستخدام المخبأ في حالة حدوث أي طاريء .. ولكنني عبرتُ عن قناعتي بضرورة اتخاذ إجراء آخر أكثر أمنا لنا و للعوائل .. فقال رفيقنا من سنجار نعم توجد هناك إمكانية أخرى إذ في هذه الحالة فإن الجبل هو أفضل ملاذ لنا .. فقررنا دون تلكأ الالتحاق بالجبل . عمل رفيقنا على إعداد بعض المستلزمات الضرورية للجبل كالماء والخبز و غير ذلك ، لم يمر وقتا طويلا حتى كانت استعداداتنا كاملة للخروج من المنزل نحو الجبل ، وجرى تزويدنا بقطعتي كلاشينكوف مع عتاد قليل .

اتخذ الشباب كل أسباب الحيطة والحذر للخروج بسهولة من المحطة السرية باتجاه الجبل حتى شيعونا في ظلام حالك .. لم تكن المسافة للوصول إلى الجبل طويلة أو شاقة ، إذ وصلنا إلى هناك بسهولة لم نشعر بضجر من السير بأحذية جلدية مدنية وبناطيلا تعيق حركة أطرافنا أو من تعب أعاقنا .. هناك في الجبل وفي أول صعود بلغنا قمته أمرنا الرفيق من سنجار بالتوقف عندها .. كانت تلك القمة المنخفضة بداية لصعود جبلي كان يحتاج إلى وقت أطول من الذي قطعناه .. قبل أن أعرف أي شيء عن الموقع شعرت إنه ربما لا يكون كفيلا بحمايتنا في حالة حدوث أي طارئ ، ولذلك وجدتني حائرا .. أتفحص ما حولي وأختبر الصخور التي بدأنا نجلس أو نهيأ لنا بينها أماكن نوم ربما إلى وقت متأخر من النهار التالي ، وربما كان شعور بقية الرفاق يذهب بهذا الاتجاه والخشية من هذا المكان .. شعر رفيقنا من سنجار بحيرتنا ، وأدرك إن سببه هو الموقع الذي أختاره لنا . لذا حاول أن يتحدث معي جانبا ، إذ أخبرني في خلوة بقصة صخرة كانت قريبة من الموقع ، وقال أرجو أن لا نحتاجها .. وواصل قائلا ، ترى أمامك هذه الصخرة التي تتوسط هذه الدائرة والتي يتوزع فيها أماكن نومنا .. فقلت وما بها ..! قال ، إنها غطاء مغارة تقينا من أي خطر قد يداهمنا في النهار ، قلت له وكيف ..؟ قال لأنها مغارة طويلة وفي الطوارئ ربما نجد أنفسنا في موقع آخر بعيد عن هذه النقطة بعد أن ندخل إليها اضطرارا ، بدأ قلقي يزول وازداد فضولي لمعرفة بعض التفاصيل عن هذه المغارة ، حينها لم يكن الوقت يساعد كثيرا للخوض في تفاصيل أمر ليس له أهمية ، بقدر أهميته كمخبأ لنا و أن يكون الموقع الذي نتواجد فيه آمنا وقادرا على حمايتنا ، تحدث لي رفيقنا بعجالة عن بعض مزايا المغارة وقال هناك البعض من المعارف يؤكدون إنها من المغارات الغير مكتشفة لحد الآن بالنسبة إلى الكثير من أهالي المنطقة ولكن بعض الهاربين من الخدمة العسكرية اكتشفوها بسبب الحاجة وعن طريق الصدفة وبدأوا يستغلون سريتها في الاختفاء أثناء ملاحقة مفارز الأمن أو الجيش اللاشعبي لهم .. وكانت المغارة وحسب وصفه شبيهة إلى حد كبير بتلك الموجودة في (حمبس)* في جبل خورزان ، التي كان يصل عمق بعضها إلى 20 م أو أكثر ، قضينا فيها سنوات طويلة نؤدي منطلقا منها مهامنا الحزبية وأوقاتا عصيبة أثناء تقدم قوات العسكر والجحوش وتطويقها للموقع وكان فيها العديد من مخابئنا السرية التي تعتبر مجهولة حتى الآن بالنسبة إلى أهالي قريتا خورزان وطفطيان القريبتان من هناك ، إلا أن رفيقنا أكد إن

بعض الهاربين أكدوا إن هذه المغارة يمتد طولها إلى عدة كيلومترات ولها مخارج في أماكن أخرى بعيدة عن نقطة اختباءنا ، وهذا ما يميزها عن أخواتها في حمبس .

ما كان يدور في خلدي قبل أن استمع إلى حديث الرفيق من سنجار حول الموقع الذي توقفنا فيه لكي نمكث فيه ليلتنا هذه والنهار الذي يليها بطوله ، كان يدور في خلد الرفاق الآخرين أيضا لذا طمأنت من سألني عن الموقع وقلت إنه كفيل بحمايتنا ، دون أن أذكر عن وجود مغارة أفصح عنها رفيقنا من سنجار .. لم يكن النوم ممكننا في الليل ونحن لا نرتدي على أجسادنا غير قميصا وبنطلونا صيفيان .. لذلك وجدتنا نتحدث إلى بعضنا البعض إلى الصباح حتى أشرقت الشمس التي أدخلت الدفء في أجسادنا والتي رضخت في النهاية إلى الخمول وثم النوم لبضعة ساعات .. أما بقية النهار فقضيناها بالحديث عن مواضيع مختلفة ، ربما كان الأهم من بينها أن ينقضي النهار بسلام دون مشاكل ، قلت كان معنا ما يكفي من المأكل والمشرب فلم نضطر اللجوء إلى أكل أوراق الشجر كما كنا نفعله في جبل كارة .. قضينا تجربة جديدة في هذه النقطة لم نعتادها في السابق وهي أن نكون في الجبل دون سلاح متكامل وهذا ما لم يحدث لنا طيلة وجودنا في جبال كوردستان الأخرى إلا قليلا .. فقد كان المرء منا دون سلاح يشبه كمن ينقصه أهم ميزة جبلية .. فكيف بنا ونحن في الجبل وبملابس مدنية لا تساعدنا على المناورة فيه لا في الحركة ولا في أي شيء آخر.

لم يكن سهلا أن تمر ساعات النهار الطويلة بسرعة .. حرصنا على شكل حركتنا .. لم نكن نحتاج إلى عناء كبير كي نقدر هذا الحرص .. إذن إنها ساعات وستبدأ مرحلة قصيرة وجديدة من الخطورة تفصل بين أكداس من الأخطار أقحمناها وبر الآمان الذي ننتظره .. كان رفيقنا من سنجار واثقا من سهولة تجاوزها .. ولكن كان من الصعب علينا أن نشعر باطمئنان إزاء ها مثلما كان يطمئن إليها .

عشرات المرات كانت أيادينا ترتفع دون إرادة منا وتقترب من عيوننا لكي تعاين الساعات وتحسب الوقت المتبقي ونقيس على ضوءها مدى الخطورة المشكلة المتبقية على تواجدنا هنا ..

وكأننا سندخل الجنة عندما يحين موعد الحركة ونحن نغادر وطن المحن والعذابات الذي لم يبقى لنا فيه ما يحمينا ، قلق وأحاديث ومعاينة ساعاتنا وشعور بالفرج وأحلام الخارج كل ذلك كان يصطدم بأرقام ساعاتنا لاحتساب الوقت الذي كان يسير بطيئا قاسيا مثلما كان كل شيء في هذا الوطن قاسيا ولكن رغم ذلك فإنه تقدم إلى الأمام حتى أعلن رفيقنا من سنجار ذات لحظة قراره وقال استعدوا فالوقت حان لكي نتحرك .. لم يكن هناك ما يؤخر استعدادنا .. إذ ليس هناك من ملابس عسكرية خاصة بالبيشمه ركه كي نتأخر في ارتداءها أو شد (البشدين) * ومخازن العتاد عليها ولملمة حاجياتنا ووضعها في حقائب خاصة بنا (عليجة) وشدها على ظهورنا ، لم يكن هناك العفاروف ولا الـ ربي جي لكي نحمل عن حامليها ذخيرتها (ذخيرة هذه الأسلحة) .. ليس هناك حرس ندعوه لترك قمة جبل ولكي ينظم إلينا ونبدأ المسير .. لم تكن هناك نيران أشعلتها المجاميع نقوم بأطفاءها بماء زمزمياتنا ، فكل الذي كنا نمارسه من طقوس البيشمه ركايتي في الجبل توقف منذ أن بدأت عساكر النظام المدججة بالأسلحة الكيماوية تتقدم نحو مواقعنا وقرى وقصبات كوردستان ، وكل الذي كان معنا تركناه في الكه ند ولم نأتي إلى هنا سوى بقميص وبنطلون صيفيان وحذاء جلد ومبلغا متواضعا من المال في جيب كل واحد منا وهوية مزورة جرى توقيفها في نقطة التفتيش الأخيرة ... وهموم جمة ، كلما غصت فيها تجد أبرز مابينها صورة الوطن التي بدأت تشكل عبئا ثقيلا لمن يريد الحفاظ عليها .. فإن كنت تحملها وتدافع عن الوطن وتحمل رايته فإن حكومة بلادك (الوطنية) لها حق ملاحقتك من مدينة إلى مدينة ومن قرية إلى قرية ومن صخرة إلى صخرة ومن شارع إلى شارع وحتى عبر الحدود وها تلاحظون كم من أدوات قذرة استخدمتها في هذه الملاحقة .. وها تتتابعون رحلة انسحابنا من الوطن مهزومين منه تحت ضغط الأسلحة الكيماوية .. فهل ننفض من على جسادنا غباره الذي تراكم عليه منذ أن ولدنا فيه ذات وقت محدد (عراقيين) أم نبقى نحملها معنا إلى منافينا الإجبارية ، أي قدر يتحكم بنا بهذه القسوة .. أن نجبر على الانسلاخ من وطننا الذي لا يشبه في أي شيء أوطان الناس الآخرين .. !! فثمن انتماء العراقي إلى وطنه هو العيش بائسا أو الانتقال من سجن إلى آخر أو الموت بأقذر الأساليب أو التشرد إلى بلاد الآخرين .

حين وصلنا إلى مرعى ومزرعة كان فيها بئرا ارتوازيا وعددا من الأشجار لم أحاول معرفة نوعها كان الظلام قد فرش بجناحيه على هذه المنطقة الواقعة في أسفل الجبل الذي كنا نختبئ فيه أثناء الليلة الفائتة والنهار الذي كان ينقضي بهدوء وسكينة إلا من صراعات حادة في دواخل كل واحد منا .. استقبلنا هناك رجلا يتواجد في المكان باعتباره راعيا لقطيع من الماشية ، استلمنا من الرجل كمية من الخبز وماءا للطريق ، لم نتأخر هناك بالقرب من المزرعة كثيرا بل تحركنا بعد وقت قصير باتجاه المجمع ، عبرنا الشارع بحذر ودخلنا في واد يذهب باتجاه الحدود السورية وبعد مسافة قصيرة دعانا الرفيق من سنجار أن نتوقف في نقطة ما عرفنا إنها ستكون نقطة التقاءنا مع رفاقنا القادمين من سوريا والذين سيقودوننا إلى داخل حدودها ، في الحقيقة لم نكن نعرف من سيكون هؤلاء الرفاق وكم سيكون عددهم ، بقينا ننتظر وصولهم بلهفة شديدة ، وقدومهم إلى نقطة الالتقاء لم يتأخر إذ لم يتعدى انتظارنا إلا دقائقا محدودة حتى سمعنا أصوات أرجل تدق الأرض خفيفا تقترب منا ، بعدها بلحظات لاح شبح شخصين يتقدم نحو مكان تواجدنا ، قال رفيقنا من سنجار ، إنهم رفاقنا ، وبعد لحظات أخرى وجدنا كل من الرفيقين (أبو نادية)* و(سردار دهوكي)* بيننا ، كانت فرحتنا بوصولهما شديدة . عبرا عن اعتزاز هما بما أقدمنا عليه وعدم الاستسلام لهمجية النظام الدكتاتوري و إقحامنا لهذه المخاطر ، وعملا من أجل التخفيف عنا بسبب ما عانيناه خلال الأسابيع الماضية ، سألا على عجالة عن بقية الرفاق ، وبعد دقائق قليلة قال أحدهما من الأفضل أن نبدأ بالحركة ، فصاحبنا رفيقنا من سنجار إلى سوريا عبر الحدود التي تستعر فيها الحرب المخابراتية على طول ما يربط البلدين منها ليلا ، نهارا تتراجع جيوشهما المخابراتية إلى داخل حدودها لتقييم ليلة معاركها وحصادها وإعداد خطط لليلة القادمة وزرع الطرف الآخر بعناصرها . في هذا المكان توقفنا ومنه بدأنا نراقب الشارع لمعرفة ما إذا كانت هناك كمائن في طريقنا . فكان الوضع على ذلك الخط من الحدود طبيعيا لم نشعر بأي شيء خلال فترة المراقبة يعرقل عبورنا الحدود ، لم نفكر أن نشارك الرفاق في اتخاذ أي قرار بخصوص العبور فكل شيء كان متروكا لأبو نادية وسردار دهوكي والرفيق من سنجار، كنا نصغي أليهم جيدا وننصاع لقراراتهم في الحذر وعدم إخراج الأصوات والسير سريعا أو بطيئا أو منفردا أو في رتل متقارب أو التوقف أو الانبطاح أرضا .

أذن لم يبقى بيننا وبين أن ننسلخ من جلد أرضنا التي كستنا منذ الولادة إلا دقائق تتوقف حركتها على قرار الرفاق في العبور سواء اتخذوه سريعا أم بطيئا . تلك الأرض التي أتعبتنا وأرعبتنا ، سنغادرها إن كانت تلك المسافة القصيرة من نهايتها غير مزروعة (بحماة الحدود) .. هذه الدقائق التي كنا ننتظر فيها على الحدود كانت دقائق صفح وتسامح بيني وبين العراق .. ذلك العراق الذي لم يستطع حمايتي بعد أن عملت ما كان بوسعي من أجل حمايته ، يوم تركت مقعدي الدراسي قبل أن أنهي تعليمي في المرحلة الثانوية وإلى الأيام الأخيرة التي أوصلتني إلى الحدود والتي انشغلت فيها خائضا في الجبال ضمن مجاميع صغيرة لا حول ولا قوة لها إلا إرادتها في التحمل وإقحام المخاطر والحفاظ على الحياة وشرف الانتماء الحزبي وسط جيوش هائلة تحتل كل بقعة من أرض حريتنا ، ومتسللا بهوية مزورة مستولى عليها في النهاية ، عبر مدن مسجونة يحرس مخارجها وأزقتها الداخلية شرطة أمن وأمن خاص ومخابرات واستخبارات وعناصر الجيش اللاشعبي و قوات الحرس الجمهوري وفدائيي وأصدقاء صدام وعدد ما شئت من مغتصبين ينتمون إلى أجهزة تغتصب مدننا وقرانا ليلا ونهارا ، انشغلت فيها هذه المرة من أجل النفاذ بجلدي ومن أجل رفاقي الذين غصت معهم في سنوات قاسية من تاريخ أفتخر بأنني لم أركع أمام أهوالها ، وهذه المحطات هي جزء من ذلك التاريخ المليء بالدماء والويلات والمعانات والتي كانت تجتاح بلادنا من كل جهة من جهات هذا التاريخ في ظل وجود دولة بوليسية يحكمها دكتاتور بقبضة من الحديد ... رفاق وأصدقاء أنقياء كانوا ضحايا ضمن صفحات هذا التاريخ ... عوائل بكاملها تشكل جزءا مأساويا ضمن صفحات هذا التاريخ .. سجون .. ملاحقات .. اعتقالات .. معارك .. قتل .. مقتول ..جرح .. مجروح .. انتصارات .. هزائم .. قيم .. جوع .. عطش ..إعدام .. كلمة .. بندقية .. قصة .. قصيدة .. جريدة سرية .. رسالة ملفوفة .. تنظيم سري .. تخطيط لعملية .. مسرحية .. كتاب .. التسلل إلى الداخل ، كلها كانت مفردات هذه الصفحات من التاريخ .

أي زمن سنخلفه وراءنا ، وأي بشر سنتركهم مرغمين في ذلك الجحيم الذي حل ببلادنا .. ؟؟ كيف سنتواصل مع أحبتنا ..؟ هل ستكون الدقائق القليلة القادمة فاصلا أبديا بيننا وبينهم وسنغترب عنهم وعن وطن بدأت أخشى منه لأنني لوحقت في كل زاوية من زواياه وعلى طول

ما يقارب عقدين من الزمن ..؟ إذن دقائق قليلة تفصل بيننا وبين أن نعبر من هذه النقطة حدود البقاء أو حدود عراق الموت .. الليل كان هادئا ونسيم هواء منعش مائل إلى البرودة يهب في سماء هذه الزاوية من نهاية الوطن .. نواظير رفاقنا فحصت بدقة ذلك الشارع الذي يخترق أرضا منبسطة شبه رملية تغوص في عمقها أقدامنا التي تحتذي جلدا غير مؤهل للسير عليه مسافات طويلة .. ولكننا نسير في نهاية العراق وهي (النهاية) أكثر إلحاحا من حذاء يعيق أرجلنا من أن تخطو خطواتها الأخيرة نحو نهاية العراق وتعبر حدوده .. همسة رفيق تحثني على عبور الحدود وهمستي تحث آخرا وفي دقائق سريعة تركنا الشارع وراءنا ولما يزل يحثوننا على العجلة لأن الأرض منبسطة وضوء القمر بدأ منذ وقت قصير ينيرها لمسافات بعيدة .. علينا أن نركض إلى أن نصل إلى الساتر وعندها سنكون في مأمن ، قالها رفيقنا من سنجار الذي صاحبنا إلى داخل الحدود السورية .

في الصباح الباكر من يوم 5- 10 – 1988 كنا في (البيت الكبير)* – محلة الغربية – مدينة قامشلي وبضيافة الرفيقين (أبو أفكار)* و(علاء)* تناول فطورنا جبنا ومربى وخبزا حارا وشايا أعده أبو أفكار على نار طباخ غاز وليس موقد لحطب البلوط .

لازال هناك ما أقوله في محطات أخرى .

– (كسر)* هو الدكتور ألياس مراد جندي التحق بصفوف الأنصار تاركا دراسته الجامعية في بداية الثمانينات ، عمل في التنظيمات السرية بقضاء شيخان لفترة طويلة ، اضطرارا ترك الوطن خلال هذه الفترة التي نتحدث عنها ، وثم سافر إلى الإتحاد السوفيتي السابق وهناك أتم دراسته الجامعية ، ويعيش الآن في جمهورية ألمانيا الاتحادية .

– (كوران)* هو من الأنصار القدامى عمل لفترة طويلة في الفوج الأول ضمن سراياه متجولا في ريف المنطقة ، واكتسب خبرة جيدة في العمل الجماهيري ، وعاد والتحق بالحزب في مدينة دهوك بعد انتفاضة آذار المجيدة لكي ينشط فيها بعدة مجالات وأخيرا ترك الوطن وهو مستقر

الآن في هولندا .

– (عائد)* وهو عائد سفو من أهالي مدينة شيخان قدم في بداية شبابه خدمات عديدة إلى رفاقنا في منظمة الحزب في القضاء ، ورغم مخاطر الفترة التي حدثت فيها عمليات الأنفال والجرائم التي ارتكبت ، فإنه لعب دورا متميزا في إنقاذ عدد من الرفاق ونقلهم إلى المحطة السرية في سنجار ، كان مقداما في تنفيذ مهمته ، لا يهاب السلطة وماكنتها القمعية ، شعرت باطمئنان تام برفقته معنا في هذه الجولة . فأنا أحييه بحرارة لما قدمه من خدمة كبيرة إلى رفاقنا ولي شخصيا ، يعيش الآن في ألمانيا ، بعد أن ترك الوطن في نفس هذه الفترة التي نتحدث عنها .

– (حمبس)* مكان ما في الجبل ضمن السلسلة الجبلية الممتدة بين شيخان وجامبور بالقرب من قريتا طفطيان وخورزان ، يبدو إنه تعرض في تاريخ قديم إلى انهيار، وعلى أثره تشكلت بين صخوره كهوفا ومغارات ، جرى استخدامها كمخابيء وأوكار من قبلنا والهاربين من الجيش في فترة الحرب العراقية الإيرانية ، كنا ننطلق من هذه الأوكار السرية إلى عملنا في عمق الده شت وإلى المدن.

– (البشدين)* قماش يلف على البطن وهو جزء ملازم مع الملابس الكوردية ، وعادة كان الأنصار والبيشمه ركه يكثرون من طوله لأنه كان كفيلا بحماية الخاصر من ضغط قبوريات مخازن العتاد.

– (أبو نادية)* من الأنصار الأوائل ضمن مقرات الحزب في كوردستان ثم انتقل للعمل ضمن مفارز الطريق ، والآن يعيش في بريطانيا .

– (سردار دهوكي)* أيضا كان من الأنصار الأوائل ، ثم انتقل للعمل ضمن مفارز الطريق ، وألان يعيش في دهوك يقود العمل الحزبي هناك وهو عضو في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكوردستاني / العراق

– (البيت الكبير)* بعد وصولنا إلى هناك ووصول أعداد أخرى من الرفاق عبر طرق أخرى الذين بلغوا بالعشرات ، كان لابد للحزب تأجير المزيد من الدور السكنية لايواءهم ، فتعددت هذه الدور ولكن هذا البيت كان أقدمها وأكبرها ، وكانت الأنشطة الثقافية والإجتماعات وغيرها من الأمور تتم هناك ، ولذا سمي بالبيت الكبير . حيث كان عدد غرفه 8 غرف إضافة إلى المطبخ والمنافع ، وكان مشيدا من اللبن الطيني .

– (أبو أفكار)* من الأنصار الأوائل ، عمل في عدة مقرات وقواعد أنصار ثم انتقل للعمل ضمن مفرزة الطريق ، يحب هوايته في الطبخ ، فيعد أطباقا شهية ، يعيش الآن لاجئا في ألمانيا .

–)*(علاء)* كان من بين أنصار مفرزة الطريق ، تعرفت عليه فقط هناك في قامشلي . يعيش الآن في أحدى الدول الأوروبية ، انقطعت أخباره عني منذ سنة 1990 عندما التقينا في موسك